

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأَخاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء العاشر

المطبعة

طبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بيان

بحمد الله وحسن توفيقه ، وفي عهد مليكتنا المعظم نصير العلم ورافع مناره ، وحامل لواء الأدب وحامى ذماره ، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" أدام الله على البلاد ظله ، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة ، وبعد تصحيح ما وفّقنا له ، وضبط ما ينبغى ضبطه من لغة وأسماء ، وتحرّى وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة ، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعاً في تصدير الجزء الأول . وتقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطّلحنا على أن نرمز لها بحرف « ا » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي ، كتبه — كما هو وارد في آخر صفحة منه — بنغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجماً من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمتراً ، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطراً . أما سائر الأجزاء فهى دونه فى الحجم وفى عدد السطور . وأول هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب ، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويتبدى هذا المجلد بأخبار عنتر بن شدّاد العبسى التى تقع فى أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

بيان

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها وسلك في رقمها . وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب . وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من مجلة العلماء والأدباء في القرن الثالث عشر الهجري .

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أن توسعنا في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوى إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه ، ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه . وإنا نعتذر إلى القراء من التأخر في صدور الأجزاء؛ فان العمل شاق، والأصول التي بين أيدينا، على قلتها، كثيرة التحريف، والأمانة ثقيلة .

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدى جميل الثناء والحمد لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور "منصور فهمى بك" المدير العام لدار الكتب المصرية على ما كان، ولا يزال، يوالينا به من حسن التوجيه والإرشاد . والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد في القول والعمل ما

أحمد زكى العروى

رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر

من كتاب الأغاني

٢
٩

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . وأسم الصَّمَّةُ ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّةَ بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلَامَ : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

ودريد بن الصَّمَّةِ فارس شجاع فحل ، وجعله محمد بن سَلَامُ أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطول الفُرسان الشعراء غَزَوا ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظَفَراً ، وأيمنهم نَقِيبةً عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصَّمَّةِ .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصَّمَّةِ سيِّدَ بني جُشَمَ وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيبة ، وغزنا نحو مائة غَزَاةٍ ما أَخْفَقَ في واحدة منها ، وأدرك

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلام فلم يُسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مظاهراً للشركين، ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عوف من قتل يوم حنين، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دُرَيْدٌ يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفان، وعبد يغوث قتله بنو مرة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بينه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ * يُوَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعَهُ * وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وكان لدريد ابنٌ يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ * إِنْ سَمَّادِيرٍ لِمَنْ تَوْسَمَةٌ
* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِعَوسَ الْمُسَلِّمَةِ *

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عمرة^(٤) [وكانت] شاعرة، ولها فيه مرثيات كثيرة.

أخبرني بغيره هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار

شعره في الصبر على التواب

(١) في أ، ح، م: «أمرأ». (٢) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى

الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين. (٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.

(٤) الزيادة عن ح.

له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضا بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى * مكان البكا لكن بُنيتُ على الصبر
لمقتل عبد الله والمالك الذي * على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبد يغوث أو خليلي خالد * وعزَّ مصاباً حثوثاً^(١) على قبر
أبي القتل إلا آل صمة إنهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فإما ترينا ما تزال دماؤنا * لدى وائر يشق بها آخر الدهر
فإننا للحم السيف غير نكيرة * ولنلحمه حيناً وليس بذى نكر^(٢)
يغار علينا وائر ينشفي * بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكُتَيْب بن زيد يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزاً غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

يوم اللوى ومقتل
أخيه عبد الله
وما رثاه به من
الشعر

(١) في ١ : « حتى قبر » يقال : حثوت عليه التراب أخوه حثوا وحثته أحتيه حثبا ، والباء أعلى .

(٢) لجه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفي الصحاح : « ولا تقل ألمه والأصمعي بقوله » .

- أخوه دُرَيْدُ : يا أبا فُرْعَانَ — وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنًى : أبو فُرْعَانَ ، وأبو ذُفَّافَةَ ، وأبو ذُوؤَفًى ، وكلُّها قد ذكَّرها دُرَيْدٌ في شعره — : نَشَدْتُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ فَإِنَّ غَطَفَانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فَأَقْسَمَ لَا يَرِيحُ حَتَّى يَأْخُذَ مِرْبَاعَهُ وَيَنْقَعَ نَقِيعَهُ ^(١) ، فَيَا كُلَّ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ سَطَعَتِ الدَّوَاحِنُ ، إِذَا بُغْيَارُ قَدْ أَرْفَعَ أَشَدَّ مِنْ دُخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَهُ وَأَشْجَعُ قَدْ أَقْبَلْتُ فَقَالُوا لِرَبِّتِهِمْ : انْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ أَرَى قَوْمًا جَعَادًا كَأَنَّ سَرَابِلَهُمْ قَدْ غُمِسَتْ فِي الْجَادِيَّ ^(٢) . قَالَ : تِلْكَ أَشْجَعُ ، لَيْسَتْ بِشَيْءٍ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا كَأَنَّهُمُ الصَّبِيَّانِ ، أَسِنَّتُهُمْ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ . قَالَ : تِلْكَ فَزَارَةٌ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا أَدْمَانًا كَأَنَّمَا يَحْمِلُونَ الْجَبَلَ بِسَوَادِهِمْ ، يَخْدُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَدًّا ، وَيَجْرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قَالَ : تِلْكَ عَبَسُ وَالْمَوْتُ مَعَهُمْ ! فَتَلَا حَقُّوا بِالْمُنْعَرَجِ مِنْ رُمَيْلَةِ اللَّوَى فَاقْتَتَلُوا فَقَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبٍ وَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الصَّمَّةِ فَتَنَادَوْا : قُتِلَ أَبُو ذُفَّافَةَ ! فَعَطَفَ دُرَيْدٌ فَذَبَّ عَنْهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَجُرِحَ دُرَيْدٌ فَسَقَطَ فَكَفُّوا عَنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ قُتِلَ ، وَأَسْتَنْقَذُوا الْمَالَ وَنَجَا مَنْ هَرَبَ . فَتَرَى الزَّهْدَمَانَ وَهُمَا مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَهُمَا زَهْدَمٌ وَقَيْسُ أَبْنَا حَزْنِ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَوَاحَةَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزَّهْدَمَانِ تَغْلِيًّا لِأَشْهُرِ الْأَسْمِينِ عَلَيْهِمَا ، كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ لِأَبْنَى بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَالْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . قَالَ دُرَيْدٌ : فَسَمِعْتُ زَهْدَمًا الْعَبْدِيَّ يَقُولُ لَكَزْدَمِ الْفَزَارِيَّ إِنِّي لَأَحْسَبُ دُرَيْدًا حَيًّا

٤
٩

- (١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية .
(٢) تقع الشيء في الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع ، ومثله أقمعه . نبذه : أى اتخذ منه النبيذ .
(٣) الربيثة : الطليعة .
(٤) الجادى : الزعفران .
(٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وجران . والآدم من الناس : الأسمر .
(٦) في ج ، م : « الأرض » . (٧) يخدون : يشقون .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ مَاتَ ، قَالَ : أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سَبْتِهِ هَلْ تَرْمِزُ؟ قَالَ دُرَيْدٌ :
 فَسَدَدْتُ مِنْ حِثَارِهَا أَى مِنْ شَرَجِهَا ، قَالَ فَنَظَرُ فَقَالَ : هِيَ مَاتَ ، أَى قَدْ مَاتَ ، فَوَلَّى
 عَنِّي ، قَالَ وَمَالٌ بِالزَّجِّ فِي شَرَجِ دُرَيْدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ آحَقَّنَ فِي جَوْفِهِ ،
 قَالَ دُرَيْدٌ فَعَرَفْتُ الْحَقَّةَ حِينَئِذٍ فَأَمَهَلْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ
 قَدْ تَزَفَى الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ ، فَخِزْتُ بِجَمَاعَةٍ تَسِيرُ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ
 عُرْقُوبَيْنِ بَعِيرٍ طَعِينَةٍ ، فَتَفَرَّ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَأَنْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ
 الْحَيَّ بِمَكَانِي ، فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوْدْتُ زَادًا وَسَقَاءَ فَتَجَوْتُ ، وَزَعَمَ بَعْضُ
 الْغَطَفَانِيِّينَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَرَارِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عَلِمُوا بِمَكَانِهِ فَتَرَكُوهُ فِدَاوَتُهُ الْمَرْأَةَ
 حَتَّى بَرَأَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، قَالَ : ثُمَّ حَجَّ كَرَّدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَقْرِ مِنْ بَنِي عَبَسَ ، فَلَمَّا
 قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدٍ تَسَكَّرُوا خَوْفًا ، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ ، فَبَعَلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ
 مِنْ هُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ كَرَّدَمَ : عَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدٌ ، وَقَالَ : أَمَّا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ
 فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا ، وَعَانَقَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي
 يَوْمَ اللَّوَى .

وَقَالَ دُرَيْدٌ يَرِثِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَرَّتْ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ * بَعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ
 وَبَانَ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا * وَلَمْ تَرْجُ مَنَا رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْغَدٍ

(١) السبة بالضم : الاست . وترمز (يحذف إحدى نائبيها) : فضطرب وتتحرك .

(٢) الحثار بالكسر : ما أحاط بالشيء كخثار الغراب والمنخل .

(٣) يقال : نَزَفَ الدَّمُ فَلَانَا فَهُوَ مَزْزُوفٌ وَزَيْفٌ أَى سَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ حَتَّى يَضْعَفُ .

(٤) فِي أ ، م : « قَيْس » .

(٥) بَعَاقِبَةُ أَى بَأْنَمَةُ .

وهي طويلة وفيها يقول :

أعاذلتي كل أمرئ وابن أمه * متاع كواد الراكب المستود
أعاذل ابن الرزة أمثال خالد^(١) * ولا رزة تما أهلك المرء عن يد
نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى^(٢)
فقلت لهم ظنوا بالتي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا صحنى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأننى غير مهتد^(٣)
وهل أنا إلا من غزيرة^(٤) إن غوث * غويت، وإن ترشد غزيرة أرشد
دعاني أنى والخيلى بينى وبينه * فلما دعاني لم يحذنى بقعد^(٥)
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فإن يك عبد الله خلى مكانه * فلم يك وقافاً ولا طائش اليد^(٦)

٥
٩

- (١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالد وعبد الله . والتصریح بهذا الاسم في هذا الشعر الذى قاله دريد في رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالد وعارضاً (المذكور في البيت التالى) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالد ، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفاقة وأبا فرعان أو أبا فرغان » . (٢) رهط بنى السوداء . يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهوى . (٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بالفين من الأعداء واصدين لكم يرقبونكم . والمدجج : التام السلاح ، من الدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شئ ، والمدجج يستتر نفسه بالسلاح . وسراتهم : أسرارهم وسادتهم . والفارسي المسرد عنى به الدروع المتتابعة الخلق في نسجها . (٤) كذا في حد والحماسة . وفي سائر الأصول : « أو » . (٥) غزيرة : قبيلة من هوازن . (٦) وهي رهط الشاعر . (٦) القعدد كقنفذ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

ولا برماً إذا الرياحُ تناوحتُ * برطبِ العِضاهِ والمِشيمِ المعضد
نظرتُ اليه والرماحُ تنوشه ^(٢) * كوقع الصباصى فى النسيج الممدد
فطاعتُ عنه الخيلَ حتى تبددتُ * وحتى علاني أشقر اللون مُزبد ^(٣)
فأرمتُ حتى خرقتنى رماحهم * وغودرتُ أكبوا فى القنا المتقصد ^(٤)
قَالَ آمري وأسَى أخاه بنفسه * وأيقن أن المرءَ غيرُ مُخلد
صبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غد

فى بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صوت

تمثل على عليه
السلام بشعره

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى * غوايتهم وأنتى غير مهتد
وهل أنا إلا من غزية إن غوت * غويت وإن ترشد غزية أرشد

١٠

الغناء ليحيى المكيّ ثانى ثقيلى بالسبابة فى مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره
إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى الله عنه عند منصرفه من صفين .

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية
الجذب . والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والمشيم : الثبت البابس المتكسر . والمعضد : المقطع
بالمعضد . (٢) تنوشه : تناوله . والصباصى : جمع صبيبة وهى شوكة الحائك التى يسوى بها
السداة واللحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،

١٥

فطاعتت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علاني حالك اللون أسودى
قال التبريزى : ويروى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل فى الأحمر أحرى وفى الدقار
دقارى ثم خففت بآء النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

٢٠

حدَّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ قال حدَّثنا حسين بن نصر بن
مُزَاحِم قال حدَّثنا عمر بن سعيد عن أبي مُحَمَّد عن رجله أن عليّاً عليه السلام لما
اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحَكَمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر
الحَكَمين وتبّ وأعترف بأنك كفرت إذ حَكَمْتَ ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه
وفارقوه تمثّل بقول دُرَيْد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللَّوى * فلم يستبينوا الرُّشدَ إلّا صُحَى النَّد

الأيّات :

قال أبو عُبَيْدة : كانت لعبد الله بن الصَّمّة ثلاثة أسماء وثلاث كُنَى : عبد الله
ومُعَبَّد وخالد ، ويكنى أبا ذُفَافَة وأبا فُرْعَانَ وأبا أَوْقَى . أخوه عبد الله
وأسماءه وكناه

وقال دُرَيْد :

أبا ذُفَافَة مَنْ لِلخَيْلِ إِذ طُرِدَتْ * فَاضْطَرَّهَا الطَّمَنُ فِي وَغَى وَإِيحَافِ^(١)
يافارس الخيل في الهَيْجَاء إِذ شُغِلَتْ * كَلْنَا الْيَدِينَ دُرُورًا غَيْرَ وَقَافِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة عن
يونس أنه كان يقول : أَفْضَلُ بَيْتِ قَالْتِه الْعَرَبُ فِي الصَّبْرِ عَلَى النَّوَائِبِ
له أَفْضَلُ بَيْتِ
فِي الصَّبْرِ عَلَى
النَّوَائِبِ

ابن الصَّمّة :

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلصُّبِّيَّاتِ حَافِظٌ * مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزُّبَيْرِ عن أبي المُهَاجِرِ ، وذكر مثله أبو عمرو
الشَّيْبَانِيّ ، أَتَى أُمَّ مَعْبَدٍ الَّتِي ذَكَرَهَا دُرَيْدُ فِي شَعْرِهِ هَذَا كَانَتْ أَمْرًا فَطَلَّقَهَا ، لِأَنَّهَا
عَاتِبَتْهُ زَوْجَتَهُ
أُمَّ مَعْبَدٍ عَلَى بَكَائِهِ
أَخَاهُ فَطَلَّقَهَا وَقَالَ
شَعْرًا

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والإيحاف : سرعة السير .

رأته شديد الخزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته، فطلقها وقال فيها :

أرث جديد الحبل من أم معبد * بعاقبة وأخلفت كل موعِد
وبانت ولم أحمد اليك جوارها * ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

$\frac{6}{9}$

فقالت له أم معبد : بئس والله ما أنثيت على يا أبا قرّة ! لقد أطعمتك مأدومي، وبشمتك مكتومي، وأنثيتك بأهلاً غير ذات صرار وما استفرمت قبلك إلا من حيض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك :

أعبد الله إن سبتك عرسى * تقدّم بعض لحى قبل بعض
إذا عرس أمرئ شمت أخاه * فليس فؤاد شائشه بمحض^(٢)
معاذ الله أن يشتمن رهطى * وأن يملكن إبراى وتقضى

١٠

حارب غطفان يوم
القدير طابا بئار
أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال :

أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم^(٤) حياً حياً، وقتل من بنى عبس ساعدة بن مرّة، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مرّة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فاديناها ! فأبى ذلك دريد عليهم، وقتله بأخيه عبد الله، وقتل من بنى فزارة رجلاً يقال له حزام وإخوة له، وأصاب

١٥

(١) الباهل في الأصل : الذاقة لاصرار عليها، تريد أنها أباخته نفسها . (٢) كذا في ح، واستفرمت المرأة : تضيقت بالفرم (يفتح أوله واسكان ثانيه) أى عابحت ذلك الموضع منها ليضيق ويستحصف، وربما تتعاجل بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها . (٣) فؤاد حض : فاسد متغير . (٤) استقراهم : تلبمهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفي القرآن الكريم (وإن يأتوكم أسارى فادوهم وهو محرم عليكم إجماعهم) .

٢٠

جماعة من بنى مُرّة ومن بنى ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك فى يوم
الغدِير . وفى هذا اليوم وفى مَنْ قُتِلَ فيه منهم يقول :

تأبّد من أهله معشر * بجو سويقة فالأصفر^(١)
فجزع الحليف إلى واسط * فذلك مبدى وذا مخضر^(٢)
فأبلغ سليمى وألفافها^(٣) * وقد يعطف النسب الأكبر
بأنى ثارت بإخوانكم * وكنت كأنى بهم مخفر^(٤)
صبحنا فزارة سمر القنا * فمهلًا فزارة لا تضجروا
وأبلغ لديك بنى مازن * فكيف الوعيد ولم تقرروا
فإن تقتلوا فتية أفردوا * أصابهم الحين أو تظفروا
فإن حراماً لدى معري * وإخوته حولهم أنسر
ويوم يزيد بنى ناشب * وقبل يزيدكم الأكبر
أنرنا صريح بنى ناشب * ورهط لقيط فلا تفخروا
نحت الضاع^(٥) بأوصالهم * ويلقحن منهم ولم يقبروا

(١) تأبّد : أفر . ومعشروجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف بالكسر .

(٤) أخفروه : نقض عهده وغدره . والهزرة فيه للإزالة أى أزال خفارتها كاشكاه إذا أزال شكواه .

(٥) يشير إلى ما هو معروف عن الضيع من أنها إذا لقيت قتيلاً بالبراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه
فتركه وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية
والحيوان لم يحفظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول في ذلك أيضا دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى :

جَزِينَا بَنَى عَيْسٍ جَزَاءً مَوْفَرًا * بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ^(١)
ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرَّمْثِ والأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ^(٢)
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ دِيَاتِهِ * ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

٥ قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد

دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم . فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرَّمْثِ والأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه .

$\frac{7}{9}$

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا في هذه الواقعة :

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ دِيَاتِهِ * وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْ ضَمَّ أَجْمَعًا
ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ * مَتَيْتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا^(٣)
فَتَى مِثْلَ مَتْنِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى * كَعَالِيَةِ الرَّيْحِ الرُّدْنِيِّ أَرْوَعَا

١٠

وقال ابن الكلبي : قالت ريمحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حوله من
مقتل أخيه : يا بني إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعين بجالك وعشيرته .
من زبيد ، فأيف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيبا ولا يأكل
لحما ولا يشرب نحرأ حتى يدرك ثأره ، فغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله
بفنائها ، وقال : هل بلغت ما في نفسك ؟ قالت : نعم متعت بك ! وروى عن ابن
الكلبي ريمحانة في هذا المعنى أبيات لم تحضرن وقد كتبت خبرها .

١٥

أغسره أمه
بالاستعانة بأخواله
في ثأر أخيه فأبى
وقتل ذؤاب بن
أسماء

(١) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغاني ج ٥ ص ٣٥ - ٦٣ طبع دار الكتب

المصرية) . (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نباتان . (٣) أجرى إليها : قصد إليها .

أخوه فبس بن
الصمة ومقتله

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْس بن الصِّمَّة، قتله بنو أبي بكر
أَبْنِ كِلَاب . وكان السَّبَبُ في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَاز عن
أبي عُبَيْدَةَ، أنه غزا في قومه بنى خُرَاعَةَ من بنى جُشَمَ، فأغاروا على إبل لبني كَعْب
ابن أبي بكر بن كِلَاب، فأنطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلَاب في طلبها حتى
إذا دنوا منهم قال عمرو بن سُفْيَان الكِلَابِيُّ، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى .
هو متكرراً حتى لقي رجلاً من بنى خُرَاعَةَ فسَلَّم عليه وأستسقاء فسقاه وأنسب له هِلايلاً،
فسأله عن قومه وأين مَرَعَى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم،
فخبره الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيَتَهُ، فصَبَحَ القَوْمَ فظفرت بهم
بنو كِلَابٍ وقتلوا قَيْسَ بن الصِّمَّة، وذهبوا بإبل بنى خُرَاعَةَ وارتجعوا إبلهم . وكان
يقال لعمرو بن سُفْيَان ذو السيفين، لأنه كان يَلْقَى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من
أن يخونه أحدهما . وإياه عَنَى دُرَيْدُ بن الصِّمَّة بقوله :

لَمَّا أَمْرًا بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتِهِ * عَمْرُو بن سُفْيَانُ ذو السِّيفَيْنِ مَغْرُورُ
يَا آلَ سَفْيَانَ مَا بَالِي وَبِالْكُو * هَلْ تَتَّهِنُونَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَأْثُورُ
يَا آلَ سَفْيَانَ مَا بَالِي وَبِالْكُو * أَتَمَّ كَبِيرٌ فِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورُ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ * إِذْ تَشْرَبُونَ وَغَاوَى الْخَمْرُ مَدْحُورُ
لَا أُعْرِفَنَّ لِمَّةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةً * تَدْعُو كِلَابًا وَفِيهَا الرَّجْحُ مَكْسُورُ
لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتُمْ شَرَفًا * عُقْبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُجْحُ الْخَصَائِيرُ

(١) في ب، س، ح : «زائرا» وهو تحريف . (٢) في ب، س : «أموالم» .

(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف في عدده .

(٤) في ب، س : «أهملكم» . (٥) الفجج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع أفعج أو فحجاء،

وصف من الفجج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والداية .

(٦) الخفاير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره .

خبر الحرب بين
بنى عامر وبنى
جشم وبين أسد
وغطفان

وأخبرنا بنجر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على
أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال :

أغار بنو عامر بن صمصمة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان، وكان
دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذى الحجة متساندين^(١)، فدريد على بنى جشم
ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه :

إني غير مُعْطِيكَ الرِّياسَةَ، ولكن لي في هذا اليوم شأنًا. ثم اشترك عبد الله وشراحيل
ابن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بنى أسد ستين وأصاب القوم
ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جذيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن
الصمة : أرجع فإني كنتُ شاركتُ شراحيل بن سفيان ، فإن استطاع دريد

فليأتِهِ وليأخذ مالى منه . وأقام دريد في أواخر الحَيِّ فقال له عمرو : أرثيَلُ بالناس
قبل أن يأتِكَ الصُّراخ^(٢)، فقال : إني أنتظر أخى عبد الله . حتى إذا أطل عليه قال
له : إن أخاك قد أدرك فوارس من الحُلَيْفِيِّين يسوقون بَطْعَنَهُمْ فقتلوه . فأنطلقوا
حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشرّاحيل^(٣) : إن عبد الله أنبأني ولم يكذبني
قط أن له شركة مع شراحيل فأدوا إلينا شركته . فقالوا له : ما شاركناه قط .

فقال دريد : ما أنا بشارككم حتى أستحلّفكم عند ذى الحَلِصَةِ (وثنٍ من أوثانهم) .
فأجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاؤوه ينشدونه الشُّركَ .
فقال لهم دريد : ألم أُحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلّفنا
وجعلوا يَنَاشِدُونَ عبدَ الله أن يُعْطِيَهُمْ، فقال : لا ، حتى يرضى دريد ، فأبى
أن يرضى فتوعّدوه أن يَسْرِقُوا إبلَه . فقال دريد في ذلك :

(١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة .

(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثلُ قلبك في الأهواء معذورٌ * والحبُّ بعدَ مَشِيْبِ المرءِ مغرورٌ

وذَكَرَ الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشون به * كما تهْدَم في الماء الجَـاهِرُ^(١)

وأنتُم معشَرٌ في عِرْفِكُم شَنِجٌ^(٢) * بُزْخُ الظهورِ وفي الأَسْتَاهِ تأخِرُ

قد علم القومُ أني من سرّاتهم * إذا تَقَبَّضُ في البطن المَدَاكِرُ^(٣)

وقد أروغُ سَوَامِ القوم ضاحيةً * بالجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشُعْتُ المَفاوِرُ^(٤)

يَجْلِنُ كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرِ^(٥)

أَوْعَدُمُو إِيْلِي كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةٍ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

وأما عبدُ يَفُوثَ بن الصَّمَّةِ وخبرُ مقتله فإنه كان يترل بين أظهرِ بني الصَّادِرِ

فقتلوه . قال أبو عُبَيْدَةَ في خبره : قتله مُجَمِّعُ بن مُزَارِحِمِ أخو شُجْبَةَ بنِ مُزَارِحِمِ وهو

من بني يَرْبُوعَ بن غَيْظَ بن مُرَّةَ . فقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :

أُبْلِغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِنْ لَقِيْتَهُمَا * إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌّ

فما أنحى بأنحى سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ * إِذَا تَقَارَبَ بَابِنِ الصَّادِرِ الْقِسَمِ

أخوه عبد يَفُوثَ
ومقتله وما رثاه
به

(١) الجاهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

(٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل

هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع

أجرد وهو القرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المنعر الرأس المتليد الشعر . والمفاوير جمع مفوار

وهو المقاتل الكثير الفارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر

الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شارب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب

وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أجور وهو المائل .

حرفي ح ، أ ، م « ولا عور »

ولن يزال شهياً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِك الصَّممُ^(١)
عاري الأشاجع معصوب بلمته * أمر الرعامة ، في عِرْنِينِه شَمَّ^(٢)

قال أبو عبيدة : أما قوله "أو نديمي خالد" ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنو الحارث بن كعب غزت بنى جشم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عنى . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٣)

$\frac{9}{9}$

عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شعوة) ، وكان دريد بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملاً يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن

الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالد الأيسار والنّادى * وخالد الرّيح إذ هبّت بَصْرَادُ^(٤)

وخالد القول والفعل المعيش به * وخالد الحرب إذ عصّت بأزْرَادُ^(٥)

وخالد الرّكب إذ جدّ السّفارُ بهم * وخالد الحى لما ضنّ بالزاد^(٦)

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هى عروق ظاهر الكف
واحدتها أشجع . والعرين : الأنف .

(٤) كذا فى الأصول . ولعله : « خالد الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصرّاد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا فى ١ ، م . والأزّاد : جمع زرد وهى الدرع المزرودة ؛ مميت بذلك للينها وتداخل
بعضها فى بعض . وفى سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

هل مثل قلبك في الأهواء معذور * والحب بعد مَشِيْبِ المرء مغرور
وذكر الأبيات التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشُونَ به * كما تهْدَمُ في الماء الجَـاهِرُ^(١)
وأتمَّ معشرٌ في عِرْقِكُمْ شَنْجٌ^(٢) * بُزْخُ الظهورِ وفي الاستاء تأخيرُ
قد علم القومُ أني من سرَّاتهم * إذا تَقَبَّضُ في البطن المَدَاكِرُ^(٣)
وقد أروغُ سَوَامِ القومِ ضاحيةً * بالجرْدِ يَرْكُضُها الشُعْتُ المَغَاوِرُ^(٤)
يَحْمِلُنْ كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكْرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرِ^(٥)
أَوْعَدُمُوا بِلِي كَلَّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةٍ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

وأما عبد يغوث بن الصَّمة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهرِ بني الصَّادِرِ
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمِّعُ بن مُزَاحِمٍ أخو شُجْنَةَ بنِ مُزَاحِمٍ وهو
من بني يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيْد بن الصَّمة :

أُبْلِغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِنْ لَقِيْتَهُمَا * إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌّ
فما أخى بأخى سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ * إِذَا تَقَارَبَ بَابُنِ الصَّادِرِ الْقِسَمِ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرْد : جمع
أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعْبُ جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر . والمغاوير جمع مغوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في هـ . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخيل الدقيق النجصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أجور وهو المائل .
وفي هـ ، أ ، م « ولا عور » .

ولن يزال شهياً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ ^(١) مالم تَهْلِكِ الصَّمَمُ ^(٢)
عَارِي الْأَشَاجِعِ ^(٣) مَعْصُوبٌ بِإِثْنِهِ * أَمْرُ الزَّعَامَةِ ، فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ

قال أبو عبيدة : أما قوله " أو نديمي خالد " ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عَنَى . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي ^(٤)
عناه دُرَيْدٌ هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شُوءة) ، وكان دُرَيْدُ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن
الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدُ بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالدَ الأَيْسَارِ والنَّادِي * وخالدَ الرِّيحِ إِذْ هَبَّتْ بُصْرَادُ ^(٥)
وخالدَ القَوْلِ والفعل المَعِيشِ به * وخالدَ الحربِ إِذْ عَصَّتْ بِأَزْرَادُ ^(٦)
وخالدَ الرُّكْبِ إِذْ جَدَّ السَّفَارُ بِهِمْ * وخالدَ الحَيِّ لَمَّا ضَنَّ بِالزَّادِ

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدًا أشجع . والعرينين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في ١ ، م . والأزرد : جمع زرد وهي الدرع المزودة ؛ سميت بذلك لئنها وتداخل

بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عبيدة: قال دريد يرثي أخاه خالدا :

- أُمِّمَ أَجْدَى عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي * وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَاسِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا * كَمَثَلِ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعْفَ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ * وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسٍ
وَأَلَيْنَ مِنْهُ صَفْحَةً لِعَشِيرَةٍ * وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا لِمَجْلِسٍ
تَقُولُ هَلَالٌ خَارِجٌ مِنْ غَمَامَةٍ * إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوْنَسٍ^(٢)
يَسُدُّ مَتَوْنَ الْأَقْرَبِينَ بِهَاوِهِ * وَيُخَيِّثُ نَفْسَ الشَّائِي الْمُتَعَبِّسِ
وَلَيْسَ بِمَكْجَابٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ * نَوْمٍ إِذَا مَا أَدْبَلُوا فِي الْمَرْسِ^(٣)
وَلَكِنَّهُ مَدْلَاجٌ لَيْلٍ إِذَا سَرَى * يُنْشِدُ سُرَاهُ كُلَّ هَادٍ مُمْلَسٍ^(٤)
هذه رواية أبي عبيدة .

١٠

يوم ثيل

- وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه أن
خالد بن الصمة قُتِلَ فِي غَارَةٍ أَغَارَتْهَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى بَنِي نَصْرٍ مِنْ مَعَاوِيَةِ
فِي يَوْمٍ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ ثَيْلٍ، فَأَصَابُوا نَاسًا مِنْ بَنِي نَصْرٍ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ بَنِي جُثَمَ فَلِحَقْوِهِمْ،
وَرَأَيْسَ بَنِي جُثَمَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ حَزْنٍ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِمَ بَنِي
نَصْرٍ، فَأَصَابُوا ذَا الْقُرْنِ الْحَارِثِيَّ أَسِيرًا وَفَقُّوا عَيْنَ شَهَابِ بْنِ أَبَانَ الْحَارِثِيَّ بِسَهْمٍ،

١٥

- (١) كذا في الأصول . (٢) الشليل : الفلانة تلبس تحت الدرع . والقونس
أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة . (٣) المكجاب : الكثير النظر إلى الأرض .
(٤) يند : يشرد وينفر . (٥) كذا في الأصول . والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو
القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع ، ومثله «العمرس» .
(٦) لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفي ياقوت : « ثيل بالفتح ثم السكون ماء .
قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة » .

٢٠

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَكَانَ مَعَ مَالِكِ بْنِ حَزْنٍ، وَأَصَابَتْ بَنُو جُثَمَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَكَانَ رَيْسُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَوْمَئِذٍ شَهَابُ بْنُ أَبَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلُوا ذَا الْقَرْنِ بِخَالِدِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ لِنُضْرَبَ عُنُقُهُ، صَاحَ بِأَوْسَ بْنِ الصَّمَّةِ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَلَمْ يَكُنْ أَوْسَ حَاضِرًا، فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا قَدِمَ أَوْسُ غَضِبَ وَقَالَ: أَقَتَلْتُمْ رَجُلًا أَسْتَجَارَ بِأَسْمَى! فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ:

تُبَّيْتُ أَوْسًا بَكَى ذَا الْقَرْنِ إِذْ شَرِبَا * عَلَى عُكَاظٍ بِكَاءَ غَالٍ مَجْهُودَى^(١)
إِنِّي حَلَفْتُ بِمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ * وَمَا ذُبَحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ السُّودِ
لَتَبْكِينَ قَتِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا * إِنِّي رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قِصَّةَ زَوَاجِهِ
وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ
الْأَعْرَابِيِّ قَالَ:

تَزَوَّجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَمْرَأَةً فَوَجَدَهَا ثِيًّا، وَكَانُوا قَالُوا لَهُ إِنَّهَا بَكَرٌ، فَقَامَ عَنْهَا
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَأَقْبَلَ بِهَ إِلَيْهَا لِيُضْرِبَهَا، فَتَلَقَّتهُ أُمُّهَا لَتُدْفَعَهُ عَنْهَا،
فَوَقَفَ يَدَيْهَا (أَيَ حَزَّهَا وَلَمْ يَقْطَعْهُمَا)، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ مَعْصُوبَةٌ فَقَالَ:

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَيْهَا * وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ
فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَهَبَ جَدًّا * وَوَاقِيَةٌ كَوَاقِيَةِ الْكَلَابِ
قَالُوا: يَرِيدُ أَنْ الْكَلْبُ يُصْبِيهِ الْجُرْحُ فَيَلْحَسَ نَفْسَهُ فَيَبْرَأَ.

(١) في ج: « مجلودي » .

ما جرى بينه وبين
عياض الثعلبي

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أسردريد بن الصمة
عيلصاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريدا أتاه بعد
ذلك يستثنيه . فقال له : إيت رحلك حتى أبعث اليك بثوابك ؛ فأنصرف دريد .
فبعث اليه بوطين نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى
أغار على بني ثعلبة ، وأستاق لإبل عياض ، وأفلت عياض منه جريحاً ؛ فقال دريد .
في ذلك من قصيدة :

فإن تنج يدعي عارضك فإننا * تركنا بذك للضباغ وللرخم^(٢)
جزيت عياضاً كفره وعقوقه * وأخرجته من المدفأة^(٤) الدهم^(٤)
الآهل أتاه ماركبنا سراتهم * وما قد عقرنا من صفي ومن قرم^(٥)

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :
هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جندعان التيمي تيم قریش فقال :
هل بالحوادث والأيام من تنجب * أم بآبن جندعان عبد الله من كلب
استحيت وهي في عكم ربته * في يوم حر شديد الشر والهرب^(٦)
إذا لقيت بني حرب وإخوتهم * لا يأكلون عطين الجلد والأهبط^(٧)
لا ينكحون ولا تشوي رماحهم^(٨) * من الحكمة ذوى الأبدان والجلب^(٩)

هجا عبد الله بن
جندعان ثم مدحه .

- (١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم .
(بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رنحة (بفتح الراء والخاء) . وهي طائر أرفع على شكل النسر خلقة إلا أنه
مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الإبل الكثيرة الأربار والشحوم .
(٥) الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحيت : المتين . والعكم (بكر
العين وسكون الكاف) : المدل يجعل فيه المناع ويشد عليه بالعكام أى الحبل . وبلاحظ أن هذا الشطر
غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوي : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى :
الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجلب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .

فَأَقْعُدْ بَطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا * وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرَصَّدُنِي * إِذَا تَلَّسَ مِنْكَ الْعِرْضُ بِالْحَقَبِ
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقْرِ ظَلَّ يَرُصُّهُ * مِنْ قَبْلِ هَذَا يَجْنِبُ الْمَرْجَ مِنْ خَرَبِ

قال : فلقية عبد الله بن جُدعان بُعَكاظ فُخَيَّاه وقال له : هل تعرفني يا دُرَيْد ؟ قال
لا . قال : فلم هجوتني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك
لأنك كنتَ امرأً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن
كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برجلها . فقال دُرَيْد يمدحه :

إِلَيْكَ ابْنُ جُدْعَانَ أَعْمَلْتَهَا * خَفَفَةً لِلْسَرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تُلَاقِيَ أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْحَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى * شَيْبَةَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سَوَى مَلِكٍ شَاخٍ مَلَكُهُ * لَهُ الْبَحْرُ يُجِيرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ مَوْفُوقًا عَلَيْهِ لَمْ يَتَجَاوِزْهُ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَحَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ
شَيْبَةَ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ الْمَرْزُبَانِ

نزل في الخنساء
ونخطها فأمنت
وتهاجيا

(١) ثقفه : صادفه . (٢) العرض هنا : الجسد ، والحقب شئ . تنقذه المرأة تعلق به

معالق الحلى تشده على وسطها . يريد اذا صادفك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت .

(٣) كذا في الأصول . ولعله « المرخ » وهو شجر سريع الوري يقتتح به . (٤) الحرب : ذكر
الحباري ، وقيل الحباري كلها .

قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة^(١) عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني
عني قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٢)، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم
في هذا الموضع، أن دريد بن الصمة مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد، وهي
تهنأ بغيرها لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فأغسلت ودريد بن
الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته، فأنصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حيوا مَاضِرَ وَارَبَعَا صَحْبِي * وَفَقُوا فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي

أُخْنَأَسْ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ * وَأَصَابَهُ تَبَلُّ مِنْ الْحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كالיום طَالِي أَيْتُ جُرْبِ

مَبْدَلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ * يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٣)

مَتَحَسِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ * نَضَحَ الْعَبِيرَ بِرِيطَةِ الْعَصَبِ^(٤)

فَسَلِّمْ سَمْعِي خُنَأَسَ إِذَا * عَصَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي

— قالوا: وَتَمَاضِرُ اسْمُهَا. وَالْخُنَاسَاءُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهَا — فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها^(٥)

إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرّة! إنك للكريم لا يُطعن في حسبه، والسيد لا يردُّ

عن حاجته، والفعل لا يُقرع أنفه. — وقال أبو عبيدة خاصة مكان "لا يُطعن في حسبه"

"لا يُطعن في عيبه"^(٦) — ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذا كرك لها

(١) الذي في ج ١٤: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو نوبة... الخ».

(٢) في ١٤، م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٣) الهناء: الفطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المنفرقة من الجرب.

والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الجرب. (٤) في ب، س: «العطب». والعطب (بالضم

وبضمين): الفطن. (٥) في الأمل ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطها إلى

أخيها معاوية. (٦) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبه» بالعين المعجمة.

وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساء ، أذاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، ودريد يسمع قولها . فقالت : يا أبت ، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناحكة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا . فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد امتنعت ، ولعلها أن تجيب فيما بعد . فقال : قد سمعت قولكما ، وأنصرف . هذه رواية من ذكرت . وقال ابن الكلبي : قالت لآبيها : أنظرنني حتى أشاور نفسي ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها : انظري دريدا إذا بال ، فإن وجدت بوله قد حرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه . فاتبعته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباه فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة ، ثم أنشأت تقول :

أتخطبني ، هيلت ، على دريد * وقد أطردت سيد آل بدر^(٢) !
معاذ الله ينكحني حبركي * يقال أبوه من جشم بن بكر^(٣)
ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر^(٤)

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقاك الله يا بنة آل عمرو * من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * إذا ما ليلته طرقت بنحس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غدا ؛ إذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ،

والأنثى منه حبركة . وقد ورد هذا البيت في اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديي حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علم المراضعُ في جُمادى * إذا استعجلنَ عن حُرِّ بَنَسٍ^(١)
 بأنِّي لا أَيْتُ بغير لحمٍ * وأَبْدَأُ بالأرامل حينَ أُمِسِي
 وأُنِي لا يَنَالُ الحَيُّ ضَيْفِي^(٢) * ولا جَارِي يَبِيتُ خَبِيثَ نَفْسِ
 إذا عَقِبَ القُدُورِ تَكُنَّ مَالًا^(٣) * تَحْتُ حَلَالِ الأَبْرَامِ عِزِّي
 وأَصْفَرُ من قِداحِ النَّبْعِ صُلْبٍ * خَفِيَ الوَسْمُ في ضَرْسٍ وَلَمِسِ^(٤)
 دَفَعْتُ إلى المَفِيزِ إذا اسْتَقْلُوا^(٥) * على الرُّجَاتِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ^(٦)
 فَإِنِ اكْدَى فَتَامِكَةً تُودِي^(٧) * وإنِ أَرَبِي فَإِنِي غَيْرُ نَكْسِ^(٨)
 وَتَرْعَمُ أَتْنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ * وهل خَبَرْتُهَا أَنِي أَبْنُ أُمِسِ

(١) الحز: القطع. والنس: تغرق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأماي:

١٠ * وأُنِي لا يهر الضيف كَلِي * *

أى لا ينجح في وجهه لأنسه به. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تكن ملاي»
 وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في الأماي واللسان (في مادة برم): «إذا عقب القدور عددن مالا». وعقبه القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه إذا اشتد القحط وعذت عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: التام، الواحد: برم، وهو
 ١٥ في الأصل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. (٤) ضرس السهم: مجمه. (٥) المفيض: الضارب بالقداح. (٦) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن الأماي؛ ويرى فيه:

دفعت إلى النجى وقد تجاثوا * على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط؛ إنما هو مغرب كل شمس،

٢٠ لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٧) اكدى: أخفق ولم يصب.

(٨) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث.

والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والتكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شربث^(١) القدمين شئنا * يُيادر بالجدائر كل كرس
وما قصرت يدي عن عظيم أمر * أهم به ولا سهمي بنكس
وما أنا بالمزجي حين يسمو * عظيم في الأمور ولا بوهس
قال : فليل للنساء : ألا تُحيييه؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه .

٥ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما أسنّ دريد
جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أمةً تخدمه ، فكانت إذا أرادت أن
تُبعد في حاجة قيّده بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت
يادريد ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت أقذف أهداف المنون كما^(٣) * يرمي الدريشة أدنى فوقة الوتر^(٥)
في منتصف من مدى تسعين من مائة * كرمية الكاعب العذراء بالبحر^(٦)
في منزل نازح مالحى منتبذ * كمرّبط العير لا أدعى الى خبر

(١) الشربث : الفليظ . والشئن : الفليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض .
والجدائر : جمع جديرة وهى الخطيرة . وقدرواه أبو على فى الأمانى :
تريد أفيحج الرجلين شئنا * يقطع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : وروى :

تريد شربث الكفين شئنا * يقطع بالجدائر كل كرس
(٢) المزجي من القوم : المزج وهو الملتصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة ، والدون من
كل شيء ، والبخيل . والوهس : الذليل الموطوء . (٣) فى ١ ، م : « السنين » . وفى ح :
« المئين » . (٤) الدريشة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي ؛ قال عمرو بن معد يكرب :

ظلمت كأتى للرماح دريشة * أقاتل عن أبناء جرم وفزت
(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زمتاه . وهذيل تسبي
الزمتين فوقتين . (٦) منتصف الشيء : وسطه

آخر أيامه وشعره
بمد أن أسن
وضعف جسمه

(١) كَأَنِّي نَحْرُ قَصَصْتُ قَوَادِمَهُ * أَوْ جُنَّةً مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرِ
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا * مَنِّي عَزِيمَةً أَمْرٍ مَا خَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَّعْتُ * وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوَى وَمِنْ عُمْرِي
وَأَتْنِي رَأَيْتِي قَبْلُ حُسْبْتُ بِهِ * وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشِّي عَلَى أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِينَ إِذَا قَرَّبَنَ مِنْ مَائَةٍ * لَوْ يَنْ مَرَّةً ^(٢) أَحْوَالٍ عَلَى مَرَرِ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة
دريد له : قد أَسَنَنْتَ وَضَعُفَ جِسْمِكَ وَقُتِلَ أَهْلُكَ وَفَنِيَ شَبَابُكَ ، وَلَا مَالُ لَكَ
وَلَا عُدَّةٌ ، فَعَلَى أَيْ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيْ شَيْءٍ تُخَلِّفُ أَهْلَكَ إِنْ
قُتِلَتْ ؟ فَقَالَ دُرَيْدُ :

صوت

١٠

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبِي فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلَّ جِسْمِي * وَأَقْرَحَ طَائِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَاءِ تِلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُغْمِي * وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسِ الْقِيَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي * وَيَقْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

١٥

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدُرَيْدٍ ، وغيره يرويه لعمر بن معد يكرب ، وقول
أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ^(٦)

(١) الخرب : ذكر الحباري . (٢) كذا في الأصول . ولعلها « هصر » . ويقال ليث هصور
وهصر (ككتف) وهصر (كصرد) . (٣) تمتع : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم منضم البطن .
(٦) في الأصول هنا . « ولا بن محرز ... الخ » .

٢٠

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن لأبن سُرَيْج فيها ثانی ثقیل بالبنصر . وخط
المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحين :

أريد حياته ^(١) ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

ولو لاقيتني ومعى سلاحى * تكشف شتم قلبك عن سواد

وقال أبو عبيدة فيما روينا عن دماذ عنه : قتلت بنو ربوع الصمة أبا دريد
فقدرا، وأسرأ ابن عم له ؛ فغزاهم دريد بنى نصر فأوقع بنى ربوع وبنى سعد جميعا ،
فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب ؛ وقال فيهم :

دعوت الحى نصرا فاستهلوا * بشبان ذوى كرم وشيب

على جرد كأمثال السعالي * ورجل مثل أهية الكتيب ^(٢)

فما جبنوا ولكنا نصبنا * صدور الشرعية للقلوب ^(٣)

فكم غادرنا من كاپ صريع * يمجج نجيع جائفة ذئوب ^(٤)

وتلكم عادة لبني رباب * إذا ما كان موت من قريب

فأجلوا والسوأم لنا مباح * وكل كريمة خو عروب

وقد ترك ابن كعب في مكر * حيسا بين ضبعان وذيب

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعرا ، وهو الذى يقول في حرب الفجار كان أبوه شاعرا
التي كانت بينهم وبين قریش :

(١) في ب ، س : « حياء » . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، ح : « أهية »

ولا معنى لها . فلعن الصواب « أهيلة » جمع هيال وهو ما انحال من الرمال .

(٣) الشرعية : الطويلة ، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطمعة التي تنفذ الى الجوف .

وذئوب : طويلة الشر والأذى ؛ ومثله قولهم : يوم ذئوب إذا كان طويل الشر لا يقضي .

لَا قَتَ فُرَيْشٌ غَدَاةَ الْعَقِيدِ * بَقِيَ أَمْرًا لَهَا وَجَدَتْهُ وَيَلَا
 وَجئْنَا إِلَيْهِمْ كَوَجِ الْأَقْبِ^(١) * يعلو النِّجَادُ وَيَمْلَأُ الْمَسِيلَا
 وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَهُ^(٢) * وَرَمَحَا طَوِيلَا وَسَيْفَا صَقِيلَا
 وَمُحْكَمَةً مِنْ دُرُوعِ الْقُبُورِ * نَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

٥ قال : وكان أخوه مالك بن الصِّمَّة شاعرا ؛ وهو القائل يَرْتِي أَخَاهُ خَالِدَا :
 شاعرا

أَبْنِي غَزِيَّةَ إِنِّ شِلْوَا^(٣) مَاجِدًا * وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعُ كَرْكَ^(٤)
 لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِن لَمْ أَلْتَمِسْ * بَاخِلِيلَ بَيْنَ هَبُولَةٍ وَالْقَرْقَرِ^(٥)

١٤ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ :
 ٩ تحالف دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَتَوَاتَقَا إِنْ هَلَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ
 يُرِثِيَهُ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يُطْلَبَ بِثَأْرِهِ . فَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ،
 قَتَلَهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ . فَرثَاهُ دُرَيْدُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَلَا هَبَّتْ تَلُومٌ بَغِيرَ قَدِيرٍ * وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
 وَإِلَّا تَتْرُكِي لَوَيْ سَفَاهَا * تَلُمُكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصْرِ

وَفِيهَا يَقُولُ :

١٥ فَإِنَّ الرُّزَاةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو * فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى * حَثِيثَ السَّعْيِ أَوْلَا تَأْكَ يَجْعَى
 بِشِكَّةٍ^(٦) حَازِمٍ لَا عَمَزَ فِيهِ * إِذَا لَبِسَ الشِّكَاةَ جُلُودَ نَمِرٍ^(٧)

(١) الأَقْبِ : السَّيْلُ لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى . (٢) الْخَيْفَانَةُ : الْقُرْسُ .

(٣) الشَّلْوُ : بِالْكَسْرِ هُنَا : الْجَسَدُ . (٤) كَرْكَ : عَلِمَ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعٍ .

(٥) هَبُولَةُ وَالْقَرْقَرُ : مَوْضِعَانِ . (٦) الشِّكَاةُ : السَّلَاحُ . (٧) يُقَالُ : لَبَسَ

فُلَانٌ لِفُلَانٍ جِلْدَ الْفَرِّ إِذَا تَنَكَّرَ . وَكَانَتْ مَلُوكُ الْعَرَبِ إِذَا جَلَسَتْ لِقَتْلِ إِنْسَانٍ لَبَسَتْ جِلْدَ الْفَرِّ ثُمَّ أَمَرَتْ
 بِقَتْلِ مَنْ تَرِيدُ قَتْلَهُ .

عرفت مكانه فعطفت زورا^(١) * وأين مكان زور يابن بكر
على إريم وأحجار يقال^(٢) * وأغصان من السلمات شمر
وبنيان القبور أتى عليها * طوال الدهر شهرا بعد شهر

أخبرني عبدالله بن مالك الحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :
حدث عارض الجشمي عنه وقد نرف

وقف عارض الجشمي على دريد وقد خرف وهو عريان وهو يكوم كوم بطحاء
بين رجليه يلعب بذلك ؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه
دريد إليه وقال :

كأنتي رأس حصن^(٤) * في يوم غيم ودجن^(٥)
يا ليتني عهد زمن^(٦) * أنقض رأسي وذقن^(٧)
كأنتي فحل حصن^(٨) * أرسل في جبل عنن^(٩)
أرسل كالظبي الأرنب^(١٠) * ألقى أذنا بأذن

قال : ثم سقط ؛ فقال له عارض : انفض دريد ! فقال :
لا نهض في مثل زمان الأول^(١١) * منحب الساق شديد الأعصل^(١٢)
ضخم الكراديس نخيص الأشكل^(١٣) * ذى حنجرة رجب وصلب^(١٤) أعدل

(١) الزور في اللغة : الجمل القوى ، ولعله هنا اسم جمل . (٢) الإرم : حجارة تنصب عليها في المفازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حصن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهي الظلابة .
(٦) الأرنب : النشيط . (٧) التحبيب : أحديداب في وظيفي يدي الفرس ، وهو ما يوصف صاحبه
بالشدة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء ، ومنه ناب أعصل أي معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفي الأصول : « أعصل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل غظم تام ضخيم . (٩) ليس في كتب اللغة إلا الشاكلة
بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر . (١٠) كذا في جميع الأصول والمراد به ليس وأنتحنا .

خرج في حرب
حنين وهو شيخ
ونصح مالك بن
عوف بخالفه

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حنيد قال حدثنا سلمة بن
القضيل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر^(١)
وكان فتحها في عشر ليال بقين من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف
النصري ، فاجتمعت اليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع اليه من قيس إلا هوازن
وناس قليل من بني هلال ، وغابت عنها كعب وكلاب ، فجمعت نصر وجشم وسعد
وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه
شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجربا ، وفي ثقيف في الأحلاف

قارب بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث ، وجماع أمر
الناس الى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم
ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له^(٢)
يقاد به . فقال لهم دريد : بأي واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ،
ليس بالحنن الضرس ولا السهل الدهس . مالي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء^(٣)
الصغير وثغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .
فقال : أين مالك ؟ فدعي له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ،
وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء
الصبيان وثغاء الشاء ؟ ! قال : سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال :

١٥
٩

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلي ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من المودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولم قال : أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فانقض به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعى ضاين والله (أى أحق) ! وهل يرد المنهزم شيء ! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدا أحداً منهم . قال : غاب الحد والحد ! لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا . فمن شهدا منهم ؟ قالوا : بنو عمرو ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الحدان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً .^(١) أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم ألق القوم بالرجال على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تفضح في حريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك ، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا اله ف حتى يخرج من وراء ظهري — فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر ورأى — فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه .
ثم قال :

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَدَع * أَحْبُّ فِيهَا وَأَضَع
أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّمْع * كَأَنَّهُ شَاءَ صَدَع

قال : فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٢) ، وتبعته خيل

٢٠ (١) الجلع : الشاب الحدث . (٢) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم . (٣) في السيرة : « متبع بلادهم » . (٤) نخلة : المراد هنا نخلة إيمانية ، وهى واد يصب فيه يدعان (اسم واد)
ربه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني ربوع بن سمال بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة ابن ربيع السلمي. فأنشأ دريد يقول:

وَيْحَ ابْنِ أَكْمَةَ مَاذَا يُرِيدُ * مِنَ الْمُرْعِشِ الذَّاهِبِ الْأَدْرَدِ
فَأُقْسِمُ لَوْ أَنَّ بِي قُوَّةٌ * لَوَلَّتْ فَرَائِصُهُ تُرْعَدُ
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي أَلَا تَكُونُ * مَعِيَ قُوَّةُ الشَّارِخِ الْأَمْرَدِ^(٤)

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يُغن شيئا. فقال له: بشئ ما سلحتك أمك! خذ سيفي

١٦
٩

- هذا من مؤخر رحلي في القرباب فأضرب به وأرفع عن العظام وأخفص عن الدماغ،
فإنني كذلك كنتُ أفعل بالرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد
ابن الصمة، فرب يوم قد منعت فيه نساءك! . فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال:
لَمَّا ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ سَقَطَ فَانْكَشَفَ، فَإِذَا عِجَانُهُ وَبَطْنٌ يَحْدِيهِ مِثْلُ الْقَرَاطِيسِ^(٥)
مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ أَعْرَاءَ^(٦). فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له:
لقد أعتق قتيلك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار
من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري، فهزمهم

(١) في الأصول: «سماك» والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس. (٢) كذا في السيرة. وفي الأصول: «أنها». (٣) كذا في الأصول. وفي مختصر الأغاني: «تكمة». وقد جاء في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لدغة. (٤) كذا في مختصر الأغاني. وفي سائر الأصول: «الشاخ» والشارخ: الشاب. (٥) العجان: الدبر، وقيل هو ما بين الدبر والقبل. (٦) فرس عري: غير مسرج، وصف بالمصدر، ثم جعل اسماً لجمع فصيل خيل أعراء. ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري.

الله جل وعز وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب
رُكْبَتَه فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالَت عَمْرُو بنتُ دريد ترثيه :

جَزَى عَنَّا الْإِلَهُ بَنَى سُلَيْمٍ * وَأَعْقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقٍ^(١)
وَأَسْقَانَا إِذَا سَرْنَا إِلَيْهِمْ * دِمَاءَ خِيَارِهِمْ يَوْمَ التَّلَاقِ
فُرُبُّ مَنْوِيَّكَ مِنْ سُلَيْمٍ * أَجِيبَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقٍ^(٢)
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنْهُمْ * وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتَ مِنَ الْوَتَاقِ

وقالَت عَمْرُو ترثيه أيضا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا * وَظَلَّ دَمْعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ يَتَسَدَّرُ^(٣)
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ * رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمُرُ
إِذَا لَصَبَّحَهُمْ غَيْبًا وَظَاهِرَةً * حَيْثُ أَسْتَقَرَّ نَوَاهِمُ بِحَقْفَلٍ ذَفِيرٍ^(٤)

١٠

ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره
عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي :

كان دريد بن الصمة يوما يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفَافَةَ —
وكان يُكنى بأبي ذُفَافَةَ وأبي قُزَّة — أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا

١٥

استنحه قومه على
الأخذ بنار أخيه
خالد بن بن
الحارث فقال شعرا
وأجابه عبد الله
ابن عبد المدان

(١) في لسان العرب والسيرة لابن هشام : « وعقبتهم » بدل « وأعقبهم » . وعقاق (بالبناء على الكسر) :
المقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمح . (٣) في ١ ، م : « يتحدر » .
وفي سيرة ابن هشام : « فظل دمع على السربال يتحدر » . (٤) كذا في السيرة لابن هشام . وقد جاء
في لسان العرب (في مادة « غيب ») : « ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة القرس ؛ فغب الحمار
أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة القرس أن يشرب كل يوم نصف النهار » . وفي الأصول :
« عناو ظاهريهم » وهو تحريف . (٥) كذا في السيرة . والذفر : المتغير الزائحة ؛ يقال : كتيبة
ذفراء أي إنها سهكة من الحديد وصدته . وفي الأصول : « زفر » بالزاي وهو تحريف .

٢٠

أخاك خالداً؟! فقال لهم : إن القوم بجمرة مذبح^(١)، وهم أكفاء جشم، ولا يجمل بي هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال :

يا بني الحارث أتم معشر * زئدكم وارٍ وفي الحرب بهم^(٢)
ولكم خيلٌ عليها فتية * كأسود الغاب يمين الأجم
ليس في الأرض قبيلاً مثلكم * حين يرفض العدا غير جشم
لست للصمة إن لم آتكم * بالحناذيد تبارى في الجُم^(٣)
فتقر العين منكم مرة * بانبعاث الحُر نوحاً تلتدِم^(٤)
وترى نجران منكم بلقاً * غير شطاء وطفلٍ قد يتِم^(٥)
فأنظروها كالسعالِ شرباً * قبل رأس الحول إن لم أُحترم

قال : فنفى قوله إلى عبد الله بن عبد المَدان، فقال يُجيبه :

نبتت أن دريداً ظلّ معترضاً * يهدي الوعيد إلى نجران من حصن^(٦)
كالكلب يعوى إلى بيدا مففرة * من ذا يواعدنا بالحرب لم يحن^(٧)
إن تلقى حى بني الديان تلقهم * ثم الأنوف إليهم عزرة آلم^(٨)
ما كان في الناس للديان من شيء * إلا رعين وإلا آل ذى يزن

١٧
٩

- (١) يقال : بنو فلان جمرة، إذا كانوا أهل منعة وشدة . والجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان : طفئت ضبة لأنها حالقت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالقت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع . (٣) الحناذيد : جياذ الخيل، واحدها خنذيد . (٤) تلتدِم : تضرب صدرها في النياحة . (٥) السعال : الغيلان، واحدها سعلانة . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . (٦) حصن : جبل . (٧) لم يحن : لم يهلك . (٨) في الأصول : «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمَضُ جَفَوْنِكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ * نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
نحن الذين تركنا خالداً عَطْباً * وَسَطَ الْعَجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَهَجُّنَا تَهْجُ أَنْجَادًا شَرَّاحَةً * ^(٢) بِيضَ الْوُجُوهِ مَرَّافِدًا عَلَى الزَّمَنِ
أَوْرَى زِيَادٌ لَنَا زُنْدًا وَوَالِدُنَا * عَبْدُ الْمَدَانِ وَأَوْرَى زُنْدَهُ قَطْنُ ^(٣)

رده أسماء بن زنباع
عن ظعينة زينب
وطعنه فأصاب عينه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال :

أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه
ظعينة زينب ، فأحاطوا به ليسترقوها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ،
ثم اختلف هو ودريد طعتين : فطعنه دريد فأخطاه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ،
وأنهزم دريد ولحق أصحابه ؛ فقال دريد في ذلك :

شَلْتُ يَمِينِي وَلَا أَشْرَبُ مَعْتَقَةً * إِذْ أَخْطَأَ الْمَوْتَ أَسْمَاءُ بْنُ زَنْبَاعٍ

قال : وهي قصيدة .

قصته مع أنس بن
مدركة الخثعمي
وزيد بن عبد
المدان وشعره
في ذلك

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب الكلبي قال :

جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله وأقام الرجل
في جوار دريد . وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم ، فأصاب ماله
التمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيراناً لدريد ؛ فكف دريد عن طلب القوم
وشغل بحرب من يليه ، وقال لجاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال التمالي : قد
أمهلتك عامين . ونحرج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر التمالي ، فسمعه يقول :

(١) كذا في الأصول ، وهو غير واضح . (٢) الشراحة : جمع شرح وهو القوى والطويل .

(٣) في هذا البيت لقواء وهو اختلاف حركة الروي .

كساك دُرَيْدُ الدَّهْرَ ثَوْبَ نَخَايَةٍ * وَجَدَّكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنْسَ
 دَعِ الْخَيْلَ وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ لَخْتَمِ * فَمَا أَنْتَ وَالرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
 وَمَا أَنْتَ وَالْفَزْوُ الْمُتَابِعَ لِلْعَدَا * وَهَمَّكَ سَوَقُ الْعَوْدِ وَالْدَّلْوُ وَالْمَرْسُ^(١)
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا * وَمَا أَصْبَحْتُ إِلَيْ بَنْجَرَانَ تُحْتَمِسُ
 وَلَا أَصْبَحْتُ صِرَيبِي بِأَشَقِّ مَعِيشَةٍ * وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثَمَالَةٍ فِي تَعَسِ
 يُرَاعِي نَجْمَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْمَةٍ * إِلَى الصَّبْحِ مَحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّفْسُ
 وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى * أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
 فَاصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لِفَقْدِهِ * وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُ

قال : فضاق دُرَيْدٌ ذَرْعًا بقوله ، وشاور أولى الرأي من قومه ؛ فقالوا له : أَرْحَلْ
 إِلَى يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ؛ فَإِنَّ أَنْسًا قَدْ خَلَفَ الْمَالَ وَالْعِيَالَ بَنْجَرَانَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ خَتَمٍ ، وَإِنْ يَزِيدٌ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . فَقَالَ دُرَيْدٌ : بَلْ أَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِدْحَةً ثُمَّ

أَنْظَرَ مَا مَوْقِعِي مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدٍ :

بَنِي الدِّيَّانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي * وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمُ الثَّقَالِ^(٢)
 وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شَتَمَ بَنِي * وَإِنْ شَتَمَ مُقَادَاةً بِمَالِ
 فَاتَمَّ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضِيلِ * وَأَيَّدَ فِي مَوَاهِبِكُمْ طَوَالَ
 مَتَى مَا تَمَنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ * حَبَائِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السُّؤَالِ
 وَحَرْبُكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ حَرْبٌ * يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ
 وَجَارَتْكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ بَسَلٌ^(٣) * وَجَارَكُمْ يُعَسِّدُ مَعَ الْعِيَالِ
 حَذَا عَبْدُ الْمَدَّانِ لَكُمْ حِذَاءً * مُحْصَرَّةَ الصَّدُورِ عَلَى مِثَالِ

٢٠ (١) العود : المسنن من الابل . والمرس : الخيل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .

(٢) في ١ ، ٢ ، ٣ ، ح : « فِي كِبُولِكُمْ » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِي الدِّيَّانِ لِبَنِي زِيَادٍ * هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْفَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدِّيَّانِ خَيْرًا * أَقْزَلَكُمْ بِهِ أُتْرَى اللَّيَالِي

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ! فبعث اليه أن يقدم علينا .
فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إني رأيت
منكم خصلاً لم أرها من أحد من قومكم : إني رأيت أبنيتكم متفرقة ، ويتاج خيلكم
قليلاً ، وسرحكم يميء معتماً ، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل ! أما
قلّة نتاجنا فتتاج هوازين يكفيننا . وأما تفرق أبنيتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء
صبياننا فإننا نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسسينا بالنعم فإت فينا الغرائب والأرامل ،
تخرج المرأة الى ما لها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على يزيد ، فقال
شيخ منهم :

أَنْتَ السَّلَامَةُ فَارْعَ النَّعْمَ * وَلَا تَقْلِلِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
وَسَرِّحْ دُرَيْدًا بُنْعَى جُشْمَ * وَإِنْ سَالَكَ الْمَرْءُ أَحَدَى الْقَعَمِ^(٢)

فقال له دريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا تسرح ولا نصطبح
حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مدحج . وردّ يزيد عليه الأسارى
من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سلني ما شئت ، فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال
دريد في ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ * فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ قَتَى مُتَدَحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ قَتَى مَعْشَرٍ * فَإِنَّ يَزِيدَ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ * فَأَوْرَى زِنَادِي لِمَا قَدَحَ

(١) تضاعى من الطوى : تضوّد من الجوع وصاح . (٢) القعم : جمع قمة رهي الأمر

الشاقي لا يكاد يركبه أحد .

وردَّ النساءَ بأطهارها * ولو كان غيرُ يزيدٍ فضَّح
 وفكَّ الرجالَ وكلُّ امرئٍ * إذا أصلح الله يوماً صلح
 وقلتُ له بعد عتق النساءِ * وفكَّ الرجالَ وردَّ اللقح^(١)
 أحرلى فوارس من عامرٍ * فأكرمُ بنفحته إذ نفَّح
 وما زلتُ أعرف في وجهه * بكري السؤالَ ظهورَ الفرح
 رايتُ أبا النضر في مذجٍ * بمنزلة الفجر حين اتَّضح
 إذا قارعوا عنه لم يُقرعوا * وإن قدموه لكبشٍ نطَّح
 وإن حضر الناس لم يُخزهم * وإن وازنوه بقرين رَجَّح
 فذاك فتاها وذو فضلها * وإن نأج بفخارٍ نبَّح

$$\frac{19}{9}$$

- ١٠ قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصِّمَّة في فوارس من قومه في غزاة له ،
 فلقَّيه مُسهر بن يزيد الحارثي ، الذي فقأ عين عامر بن الطُّفيل ، يقود بأمراته أسماء
 بنت حزن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة ، هذا فارسٌ واحد يقود طَعيْنةً ،
 وخليقٌ أن يكون الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا
 به بالطَّعينة ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه ، فلقَّيه مُسهر فأخلفا طمعتين
 بينهما ، فقتله مُسهر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ، حتى
 ١٥ قتل منهم أربعة نفر . وبقي دريد وحده فأقبل إليه ؛ فلما رآه ألقى الخِطامَ من يده
 إلى المرأة وقال : خُذِي خِطامَكَ ؛ فقد أقبل إلى فارسٍ ليس كالفرسان الذين
 تقدَّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول :

أما ترى الفارس بعد الفارس * أردهمُ عاملٌ رح يابس

(١) اللقح : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب .

قصته مع مسهر
ابن يزيد الحارثي
وشعره

فقال له دُرَيْد : من أنتَ لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنتَ الحُصَيْنُ ؟ قال لا . قال : فالمُجَبَّلُ هَوْدَةَ ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسَهْرُ بْنُ يَزِيد . قال : فانصرف دُرَيْد وهو يقول :

أمنِ ذِكْرَ سَلَمَى ماءً عَيْنِكَ يَهْمِلُ * كما أَنهَلَّ نَحْرُزُّ من شُعَيْبٍ مُشَلِّشِلٍ^(١)
وماذا تُرَجِّى بالسَّلامَةِ بعد ما * نَأَتْ حَقَبٌ وَأَبْيَضَ مِنْكَ المَرْجَلُ^(٢)
وحالت عَوَادِي الحَرْبِ بِنِي وَبِنِهَا * وَحَرْبٌ تَعْمَلُ المَوْتَ صِرْفًا وَتُنْهَلُ
قِرَاهَا إِذَا بَاتَ لَدَى مُفَاضَّةً * وَذُو خُصَلٍ نَهْدُ المَرَاكِلِ هَيْكَلُ^(٣)
كَيْشٍ كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ * ضَرِيبُ الخَلَايَا والنَّقِيعُ المَعْجَلُ^(٤)
عَتِيدٌ لَأَيَّامِ الحُرُوبِ كَأَنَّهُ * إِذَا أَنْجَابَ رِيْعَانُ العَجَاجَةِ أَجْدَلُ^(٥)
يُجَاوِبُ جُرْدًا كَالسَّرَاحِينَ صُمْرًا^(٦) * تُرُودُ بِأَبْوَابِ البُيُوتِ وَتَصْهَلُ
عَلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بَغَارَةً * وَلَا مِثْلَ مَا لَاقَى الحِجَاسُ وَزَعْبَلُ^(٧)

— الحِجَاسُ وَزَعْبَلُ : قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ —

غَدَاةَ رَأُونَا بِالْغَبْرِيفِ كَأَنَّهَا * حَيٍّ أَدْرَتْهُ الصَّبَا مَهْلَلٌ^(٨)
بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُو هَوَازَنَ ، فَوْقَهَا * نَسِيجٌ مِنَ المَآذِي لَامٌ مَرْفَلٌ^(٩)

- ١٥ (١) شلشل الماء : قطر . (٢) الرجل : الشعر؛ يقال : رجل الشعر إذا مره .
(٣) المفاضة هنا : الدرع . وذو خصل : يريد فرسا . والمراكل : جمع مركل وهو حيث تصير رجلك من الدابة ؛ يقال فرس نهْد المراكل أى واسع الجوف . والهيكَل : الضخم . (٤) الكيش : السريع .
(٥) الضريب : اللين . والخلايا : جمع خلية وهي النافذة المخلاة للخلب . يريد أن هذا الفرس معني به .
(٦) الأجْدَل : الصقر . (٧) كذا في ح . وفي سائر الأصول « يحارب » وهو محريف .
٢٠ (٨) السراحين : الذئاب واحدها سرحان . (٩) كذا في الأصول . ولعلها العزيز أو نحو ذلك .
(١٠) الحبي : السحاب المتراكم . وفي الأصول : « حي » بياض . (١١) المآذى : الدروع البنية السهلة . واللام : الدروع ، واحدها لامة . والمرفل : المسبغ .

لدى مَعْرَكٍ فيها تركنا سَرَاتِهِمْ * يُنَادُونَ، منهم مُوثِقٌ وَمَجْدَلٌ
تَجْدُّ جِهَارًا بالسيفِ رَعْسَهُمْ * وأرماحُنا منهم تَعْلُ وتَنْهَلُ
تَرى كُلَّ مَسودِّ العِذارينَ فارِسٍ * يُطِيفُ به نَسْرٌ وعَرَفَاءُ جِيَالٍ

- قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة
كلُّها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد بن الصِّمَّة
على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا
من الهُجَّة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتل معه وأنصرافه منفردا، وشعر دريد
هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببنى الحارث وقتل أمثالهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي.
ولمَّا ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه .

٢٠
٩

- ١٠ (١) كذا في ج. والعرفاء : الضيع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتهما. وجيال : من أسماء الضيع أيضا،
معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع : الجيال، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج :
يدعن ذا الثروة كالهجبل * وصاحب الإقنار لحم الجيال
وفي سائر الأصول : «غربان جبال» وهو محريف .

أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الاغانى

— دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب —
وشئ من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله
ابن عبد الله بن
طاهر في أمر النغم
العشر حتى فهمها
وجمعها في صوت

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أن المعتضد بعث إليه — لما صنعت جاريته شاحي اللحن الذي يجمع النغم العشر —
بظبي وحيب جاريته أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتا
إليه وألقناه على جواريه . قال : ولم يزل يرأسني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر
النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيّدا وجمعها في صوت صنعه
في شعر دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جَدَعُ * أَخْبَ فيها وأَضَعُ

وألقاه عليهما حتى أدّتاها إلى مستعلما بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ،
فعرّفته صحته ودلّته على ذلك حتى تيقّنه فسرّ بذلك ؛ وهو لعمري من جيّد الصنعة
ونادرها . وقد صنع المعتضد الحاناً في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء
والمحدثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى
بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في :

أما القَطَاةُ فَإِنِّي سوف أنعمُها * نَعَمّا يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً من الثقيل الأول بالنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرُور
يُغنيّهُ ، فكان من أحسن ما صنّع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشترك

القدماء والمُحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرَ الْوَادِي
وَأَبْنَ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّةَ . وَأُظْرَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَحْرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(١) بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغِنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجَ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا أَمْتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَذَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تُرَاهِي الْمِائَةِ صَوْتٍ، مَا فِيهَا^(٢)
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُولٌ، وَسَازِكْرٌ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَصِدِ :

١٠

صَوْت

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغِنَاءَ لِلْمُعْتَصِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي ١، م : « الثَّانِي » . (٢) تُرَاهِي : تَضَاهَى . وَزَهَاهُ الشَّيْءُ : قَدَرَهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَصِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- ٥ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأعْتَاط وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى ابْنِ الْغُلَفَاءِ! وماله وللدُّعَاءِ إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان ابنه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها. وقد كان بعض أهلهم أَدْعَوْا أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم. وأما صول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صول وفير وزُ أخوين مَلَكَا على جُرجان، وكانا تركيين تمجّسا وتشبّها بالفُرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جُرجان أمتنهما، فأسلم صول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العَقَر. وكان محمد ابن صول يُكنى أبا عُمارة، أحد الدُّعَاءِ، وقتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مُقاتل ابن حَكيم العُكِّي وعِدَّة آخَرِينَ. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدُّماً، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

(١) في الأصول «نراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عُمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري ق ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦ طبعة أوربا).

القدماء والمُحدثين في صنْعته مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرَ الْوَادِي
وَأَبْنَ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّةَ . وَأُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَحْرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَيَبْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صُنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجَ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا آمَتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوْهُ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَذَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تَزَاهَى الْمِائَةِ صَوْتٍ، مَا فِيهَا
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَازِدٌ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صُنْعَةِ الْمُعْتَضِدِ :

١٠

صوت

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعَيْدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغَنَاءَ لِلْمُعْتَضِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعَيْدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي أ، م : « الثَّانِي » . (٢) تَزَاهَى : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدَرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَضِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- ٥ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالى يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: ويلى على ابن الغلفاء! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان أبوه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها. وقد كان بعض أهلهم آذعوا أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم. وأما صول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صول وفير ورؤ أخوين ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجّسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمتنهما، فأسلم صول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم النعقر. وكان محمد ابن صول يُكنى أبا عمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل ابن حكيم العسكي وعِدّة آخرين. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدّما، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

- (١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوروبا).

ولكنّ الجواد ابا هشام * وفى العهد مأمون المغيّب
وهذا ابتداء يدلّ على أن قبله غيره؛ وقوله فى أخيه :

ولكنّ عبد الله لما حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مال

وهذا أيضا ابتداء يدلّ على أن قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع
ذى الرّياستين، اتّصلا به فرفع منهما . وتنقل إبراهيم فى الأعمال الجليّة والدواوين إلى
أن مات وهم يتقلّد ديوان الضّبايع والنفقات بسرّ من رأى فى سنة ثلاث وأربعين
ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم^(١)

قال سمعت دُعِيلاً يقول :

لو تكسّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ،
وكان يستحسن ذلك من قوله :

إب امرأ ضنّ بمعروفه * عنى لمبذول له عذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفه * إن كان لا يرغب فى شكرى

٢٢
٩

وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده

وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوّه ؛ فمن قوله فيه :

هجاؤه محمد بن
عبد الملك الزيات
وتشفيه بموته

أبا جعفر خفّ خَفْضَةً بعد رُفْعَةٍ * وقصّر قليلاً عن مَدَى غُلُوائِكَ

لئن كان هذا اليوم يوماً حَوَيْتَهُ * فإنّ رجائى فى غيدِ كرجائك

وله فيه أيضا :

دعوتك فى بلوى الملت صروفها * فأوقدت من ضغنٍ على سعيها

فلئن إذا أدعوك عند مُلِمَّةٍ * كداعية عند القبور نصيرها

٢٠

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

وقال فيه لما مات :

لما أتاني خبر الزيات * وأنه قد صار في الأموات

* أيقنتُ أنَّ موته حياي *

هجره صديقه
الحارث بن بسخر
مرضاة محمد بن
عبد الملك الزيات
فقال في ذلك شعرا

أخبرني بحظّة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما أنحرف محمد بن عبد الملك
الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بسخر صديقا له
مصافيا ، فهجره فيمن هجره من إخوانه ، فكتب إليه :

تَـقَـيَّرَ لي فيمن تَـقَـيَّرَ حارثُ * وكم من أخ قد غيَّرتَه الحوادثُ

أحارثُ إن شوركُ فيك فطالما * غَـيَّـنَا وما بيني وبينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء :

صوت

خَلَّ النَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتَّسِ الطَّرِيقُ

وَأَذْهَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقًا

الغناء لأبي العَيْسَى بن حمدون ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ .

قصة عشقه
لقينة وانكاشه
لتأخرها وشعره فيها

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : كان إبراهيم
ابن العباس يهوى قَيْنَةَ بَسْرَ مَنْ رَأَى ، فكان لا يكاد يفارقها . بفلس يوما للشرب
ومعه إخوان له ، ودعا جماعة من جوارى القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتَنَصَّصَ عليهم
يَوْمُهُمْ لِمَا رَأَوْا مِنْ شُغْلِ قَلْبِهِ بِتَأْخُرِهَا ، ثُمَّ وَافَتْ فَسَرَّى عَنْهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَشَرِبَ
وَطَرِبَ ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ فَكَتَبَ :

أَلَمْ تَرْنَا يَوْمَنَا إِذْ نَأَتْ * فَلَمْ تَأْتِ مِنْ بَيْنِ أَتْرَابِهَا

وقد غمرتنا دواعي السرور * بإشغالها وبإلهاها

٥

١٠

١٥

٢٠

وَمَدَّتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النِّعَمِ * وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا^(١)
 وَنَحْنُ قُتُورٌ إِلَى أَنْ بَدَتْ * وَبَدْرُ الدُّجَى بَيْنَ أَثْوَابِهَا
 فَلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ مُكَّهَا * وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا
 وَأَمْرٌ مِنْ حَضَرَ فَقَرَأَ عَلَيْهَا الْآيَاتِ؛ فَتَجَنَّتْ وَقَالَتْ: مَا الْقِصَّةُ كَمَا وَصَفْتَ،
 وَقَدْ كُنْتُمْ فِي قَصْفِكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ، وَإِنَّمَا تَجَمَّلْتُمْ لِي لَمَّا حَضَرْتُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ حَنِينِي إِلَيْهِ * وَمَنْ فَوَّادِي لَدَيْهِ
 وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ يَدِي * نَهَمَ أَسِفْتُ عَلَيْهِ
 إِذَا حَضَرْتُ فَمَا مِنْهُ^(١) * نَهْمٌ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
 مَنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ * فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

٢٣
٩

قال: فرضيتُ عنه، وأتممتنا يومنا على أحسن حال.

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
 حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دُعِيلٌ أيضًا فكانا متفقين في الرواية - قال:
 كُنَّا نَطْلُبُ جَمِيعًا بِالشَّعْرِ، فَخَرَجْنَا وَكُنَّا فِي تَحْجِيلٍ، فَابْتَدَأْتُ أَقُولُ فِي الْمَطْلَبِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ:

أجازه دُعِيلٌ
في شعر

١٥ * أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعِذِبٌ *

فقال دُعِيلُ:

* لَسَمَّ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتِلُ *

فقلت:

* فَإِنْ أَشَفَ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً *

٢٠

فقال دُعِيلُ:

* وَإِنْ أَعْفُ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ *

(١) الأطناب: جمع طناب: وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت.

روى له الأخفش
أبياتا كان يفضلها
ويستجيدها

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجيدها :
أميل مع الذمام على ابن أمي * وأخذ للصدّيق من الشقيق
وإن ألفتني حراً مطاعاً * فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروف ومي * وأجمع بين مالى والحقوق

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال :

(١)
اجتاز محمد بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار
مُضر فلم يتلقّه ، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يبرّه ، وخرج عنها فلم يُسِعه . فلامه إخوانه
وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلة .
فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبداً مُعتذر لا يُعذر * وركوبٌ للتي لا تُغفر
وملقى بمساوٍ كلّها * منه تبدو وإليه تصدر
هي من كل الوري مُنكرة * وهي منه وحده لا تُنكر

كان يهوى جارية
اسمها « سامر »
أهدت له جارينتين

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسراً رأى يقال لها
سامر ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه
أياماً ثم جاءت معه جاريتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديت صاحبتك إليك عوضاً من
مغيبك عنك ؛ فأنشأ يقول :

(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفي معجم الادباء لياقوت في الكلام على

إبراهيم بن العباس : " محمد بن علي بن برد الخباز " بالزاي .

صوت

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة * قد حسن الله أولاهن وأخرها
ما كنت فيمن إلا كنت واسطة * وكن دونك يئسها ويئسرها

الغناء لسلسل مولى بنى هاشم، ثانی ثقيل بالوسطى مطلق . وليس لسلسل خبر يدون
ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دُون له حديث . وذکر حبش أنه
لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي . وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجها
وغناء، وكانت لبعض المغنين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن
مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة وله
قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر
القفقي فقال :

$$\frac{24}{9}$$

فتنت سلسل قلب ابن قطن * ثم تنت با بن صخر فآقتن
فأنتيت اليوم كي أنقذهم * فإذا نحن جميعا في قرن

فأظن الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد
ابن حرب .

١٥

أخبرني عمي ووكيع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عيسى
ابن عبد الرحمن قال :

ذهابه مع دعبيل
ودزين ودكوبهم
حير أهل الشوك
وشعرهم في ذلك

نخرج إبراهيم بن العباس ودعبيل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل
الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقبهم قوم من أهل السواد من
أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمير؛ فأنشأ إبراهيم يقول :

٢٠

(١)
أَعِيضَتْ بِعَدِّ حَمْلِ الشَّوْ * لِكِ أَحْمَالًا مِنْ الْحَرْفِ
نَسَاوَى لَا مِنْ الصَّنْهَاءِ * بَلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فَقَالَ رَزِينُ :

فَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ * تَوَلَّوْا إِلَى قَضِيفِ
نَسَاوَتْ حَالَكُمْ فِيهِ * وَلَمْ تَبْقَوْا عَلَى خُسْفِ

فَقَالَ دِغِيلُ :

وَإِذْ فَاتَ الَّذِي فَاتَ * فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُّوا تَقْصِيفَ الْيَوْمِ * فَإِنِّي بَائِعٌ خُنًى

فَانْصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُفَّهُ وَأَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

١٠ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْكَافِيُّ :

كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنٌ قَدْ يَفَعُ وَتَرَعَرَعَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ فَأَعْتَلَّ حِلَّةً لَمْ تَطُلْ وَمَاتَ؛
فَرَنَاهُ بِمِرَاثٍ كَثِيرَةٍ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا. فَمَا رَنَاهُ بِهِ قَوْلُهُ :

كَنْتُ السَّوَادَ لَمُفْلَتِي * فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

١٥

فِيهِ رَمْلٌ لِابْنِ الْقَصَّارِ . وَمِنْ مِرَاثِيهِ لِيَاَهُ قَوْلُهُ :

وَمَا زِلْتُ مُدْلَدٌ أُعْطِيْتُهُ * أَدَانَعُ عَنْهُ حِمَامَ الْأَجَلِ
أَعُوذُهُ دَائِبًا بِالْقُرْآنِ * وَأَرْمِي بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَأَصْنَحْتُ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدٌ * إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

٢٠ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : قَدْ أَنْحَلْتَ
نَفْسَكَ وَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا أَبَدًا لِاِقْتِصَارِكَ عَلَى الْقَصْفِ وَاللَّعِبِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَاتِبَهُ أَبُو رِثَاءٍ
فِي لَهْوِهِ فَقَالَ شَعْرًا

(١) كَذَا فِي الْأُمُولِ .

إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ * حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكُوتٌ فِي التَّصَرُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني ابن السَّخِّي قال :
وَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ ثُلُثَ مَالِهِ ، وَوَهَبَ لِأَخْتِهِ الثَّلَاثَ الْآخَرِ وَشَعْرَهُ
فِي ذَلِكَ

٥

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى * وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ * فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى آسَتُوهُمْ بِهِمْ الْحَالُ
وَهَذَا مِمَّا عَيْبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَوْلُهُ أَبْتَدَأَ "وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ" . وَقَدْ كَرَّرَهُ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ * وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ * وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُهُ شَعْرَهُ وَإِسْقَاطُهُ مَا لَمْ يَرْضَهُ مِنْهُ .

٢٥
٩

١٠

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : لَمَّا غَزَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ أَعْتَقِلَ بِهَا وَأُوذِيَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ مِنْهُ أَنْ يُسَاحِمَهُ وَيُطْلِقَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عزله عن الأهواز

١٥

فَلَوْ إِذْ نَبَأَ دَهْرٌ وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ * وَسَلَّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ * وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُجَدًّا * لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخُ وَوَزِيرُ
فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَصْدِهِ وَتَكْشِفِهِ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ ، وَأَنْفَرَجَتْ الْحَالُ
بَيْنَهُمَا عَلَى ذَلِكَ ، وَهَجَاهُ إِبْرَاهِيمَ هَجَاءً كَثِيرًا .

أرسل ابن الزيات
أبا الجهم للنكاية به

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقراني أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

وجه محمد بن عبد الملك بابي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم ابن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحد * ضاراً كأتى قتل الرسول
تركت عبيد بن طاهر * وقد ملئوا الأرض عرْضا وطولا
فسوف أدين بترك الصلاة * وأصطبح الخمر صرفاً شمولاً
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما إبراهيم قار ، ونسبه إليه .

مدح المتوكل بيتين
وغنى بهما جعفر
ابن رفة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل بيتين ، فغنّ فيهما وأشعتهما ، ودعاني بطيب كثير فأعطانيه ، وخلع عليّ خلعة سرية ، فغنيت فيهما . والبيتان :

صوت

١٥

لما واحد من واحد * أولى بفضل أو مروءة
من أبوه وجده * بين الخلافة والنبوة
وأشعتهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلة سنية .
لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين رمل بالنص

مدح الرضا لما
عقدت ولاية العهد
فأجازه

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي :
أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمونية وولاه
العهد، فأنشده قوله :

أزالت عزاء القلب بعد التجليد * مصارع أولاد النبي محمد

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه . فلم
تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مهوور نسائه ، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره .

٢٦
٩

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن الفرات والباقراني قالا :

أذى إسحاق ابن
أنحى زيدان فهتده
فكف عنه

كان إسحاق بن إبراهيم ابن أنحى زيدان صديقا لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه
شعره في مدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع ، فعزله
عن ضياع كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسحاق
لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يكف عما يفعله في لأخرجن
قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل . فاحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من أرتبع القصيدة
منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال :

نادرته في ثقيل

راكت إبراهيم بن العباس ، فلقيتنا رجلا كان إبراهيم يستثقله ، فسلم عليه . فلما
مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد .
فضحك وقال : إنما أردت قول الشاعر :

تسائل عن أنحى جرم * ثقیل والذى خلقه

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله
الصولي قال :

كتابه في شفاقة
لرجل الى بعض
إخوانه

٢٠

(١) كذا في جميع الأصول هنا . وقد جاء في صفحة ٥ هـ في جميع الأصول أيضا : « أحمد بن السخي » .
وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

كتب عَمِّي إبراهيمُ بن العباسُ شفاعَةً لرجلٍ إلى بعضِ إخوانه : فلانُ ممن يَزْكُو
شكره ، ويحسُن ذِكْرَهُ ، وَيَعْنِي أَمْرَهُ ، والصَّنِيعَةُ عنده واقعةٌ موقِعُها ، وسالكةٌ
طريقُها .

وأفضلُ ما يأتِيه ذو الدِّينِ واليُحَى * إصابَةُ شكرٍ لم يَضَعْ مَعَهُ أَجْرُ

أخبرني عَمِّي عن أبي العِيْناء قال :

مدحه عبید الله
ابن یحیی عند
المتوكل

كانُ عبید الله بن یحیی يقولُ للتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس
فضيلةٌ خَبَّأها الله لك ، وذخيرةٌ ذَخَّرَها لدولتك .

وذكر عن علي بن يحيى :

طلب اليه المتوكل
وصف القُدور
الابراهيمية
ومجونهما في ذلك

أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدورَ
الإبراهيميةَ ، وكان أبتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب في آخرها في ذكر الأبا زير :

”ووزن دَانِقٍ“ ونسَى أن يكتب من أي شيء . فلما وصلت إليه الصِّفَةُ اغْتَظَمَ ثم قال
لعلي بن يحيى : احلفُ بحياقي أن تقولَ له ما أَمُرُك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ
دائق من أي شيء ؟ أمِنَ بظُرِ أَمَك ! قال علي بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني
جئتُك في رسالةٍ عزيزٍ على أن أُؤدِّيها ؛ فقال : هاتِها ، فأدَّيْتُها . قال : فأرجعُ إليه وقلْ له
عني : ياسيدي ، إن علي بن يحيى أخِي وصديقٌ وقد أدَّى الرسالةَ ؛ فإن رأيتَ أن تجعلَ
وزن الدائق من بَظُرِ أُمِّي وبَظُرِ أُمِّهِ جميعاً تفضَّلْتَ بذلك . فقلت : قَبَحَ اللهُ ! وأنا
أُيشِ ذنبي ! قال : قد أدَّيتَ الرسالةَ وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إياه
ما قال لك ؟ فقلت : قَبَحَ اللهُ ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى خَفَضَ
رجله وجعل يشرب عليه بقيَّةَ يومِهِ . وإذا لَقِيْتُهُ قال لي : يا علي ، وزن دائق أيش !

فأقول : لعنةُ اللهِ على إبراهيم .

داعب الحسن بن
وهب وشعره
في ذلك

٢٧
٩

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :
« دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أرتكب وأجيثك عشياً
فلا تنتظرنى بالغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء إبراهيم
فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ * وَأَسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارُ وَأَقْبَحَ
قال : وحدثني محمد بن موسى قال :

نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَمْنَا مَيِّدَ * نَكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا

وَلَرْبُ عَيْنٍ قَدْ أَرَدَ * لَكَ مَيِّتَ صَاحِبَهَا عَيْنَانَا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه
بأربعين بيتاً . وأبيات إبراهيم :

أَبَا بَعْلَى خَيْرُ قَوْلِكَ مَا * حَصَلَتْ أَنْجَعَهُ وَمُخْتَصَرَهُ

مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْعِ مِنْ ضَبٍّ * لَلْأَسْتَقِلَّ بِوَاحِدٍ عَشْرَهُ

أَنَا أَهْلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ * أَرْضَى الْقَدِيمَ وَأَقْتَنِي أَثَرَهُ

هَذَا نَحْنُ وَفَيْنَاكَ أَرْبَعَةً * وَالْأَرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُسْتَظَرَّهُ

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :

سمعت إبراهيم بن العباس وقد لبس سواده يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ

الذي ماض الله به أحداً قط غيры .

كان يستقل ابن
أخيه وحكايات
عنه في ذلك

قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس ف قيل له :

هو مشغول بطبيب ومنجم عنده ، وكان يستقله ، فقال قل له يا غلام : والله مالك
في الناس طبع ؛ ولا في السماء نجم ، فمالك تكلف هذا التكلف .

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق ، بجمعهم ووقفهم
وخرج معه طماس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطماس : كلهم مثلك ، فترك هذا
الصلف فإنه داعية إلى التلف .

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعال حتى نعد البغضاء ، قال : ابدأ بي
أولاً من أجل ابن أختي طماس ثم ثن بمن شئت .

أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود :

أمر الحسن بن
مخلد بأمر فأبطأ
فيه فقال شعرا

ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس . فأمر الحسن بن مخلد بأمر فاستبطأه فيه

فنظر إليه فقال :

١٤

معجب عند نفسه * وهولى غير معجب
إن أقل لا يقل نعم * عاتب غير معتب
مولع بالخلاف لى * عامدا والتجنب
قلت فيه بضد ما * قيل فى أم جندب

يريد قول امرئ القيس :

١٥

”خليلي مرابي على أم جندب“

أى فانا لا أريد أن أمر بك .

قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه قال :

تأدر بابن الكلبي
عند المتوكل لما
جاء كتابه

كان المتوكل قد ولي ابن الكلبي البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئا
من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو فى نفسه . فكتب إليه يوماً أن أمرأته

٢٥

٠ (١) - هو الحسن بن مخلد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انظر
الكلام عليه فى تاريخ الطبرى : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٦٤٧ - ١٦٤٨) .

٢٨
٩

نحرجت مع حُبَّتْهَا في نُزْهَةٍ، وَأَنْ حُبَّتْهَا عَرَبَدَتْ عَلَيْهَا بِجَرَحَتِهَا فِي صُدْغِهَا . فَقَرَأَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ صَحَّفَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ، إِنَّمَا هُوَ :
”بَجَرَحَتِهَا فِي سُرْمِهَا“^(١) ، فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ : صَدَقْتَ . مَا أَظُنُّ الْقِصَّةَ إِلَّا هَكَذَا . قَالَ :
وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هَذَا مِنَ الْعَرَبِ ، إِنَّمَا كَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ ”كَلْبُ الرَّحْلِ“
فَقِيلَ لَهُ الْكَلْبِيُّ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ :

استعطافه محمد بن
عبد الملك الزيات

كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَعِظِفُهُ : كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ
بَلَغْتَ الْمُدِيَّةَ الْحَزْرَ ، وَعَدَّتِ الْأَيَّامُ بِكَ عَلَيَّ ، بَعْدَ عَدْوِي بِكَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ أَسْوَأُ
ظَنِّي وَأَكْثَرَ خَوْفِي ، أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا ، وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاهَا ، فَصَرْتَ عَلَيَّ أَضْرَّ
مِنْهَا ، وَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي خَوْفًا مِنْكَ ، وَبَادَرَ إِلَى الْعَدُوِّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ .
وَكَتَبْتُ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخْ بَنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ * رِصَاحَبَ أَيْنَا غَلَبَا

صَدِيقُ مَا أَسْتَقَامُ فَإِنْ * نَبَا دَهْرٌ عَلَيَّ نَبَا

وَبَثُّ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ * فَعَادَ بِهِ وَقَدْ وَثَبَا

وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا * لَعَادَ بِهِ أَخَا حَدِيبَا

قَالَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَمِنْتُ وَدَّكَ لَقُلْتُ ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنْكَ عَتْبَا
لَا تُنْصِفُنِي فِيهِ ، وَأَخْشَى مِنْ نَفْسِي لَا أَمْنَةً لَا تَحْتَمِلُهَا لِي . وَمَا قَدْ قُدِّرَ فَهُوَ كَائِنْ ،
وَعَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ أُحْدِثُ . وَمَا أَسْتَبَدَلْتُ بِحَالَةٍ كُنْتُ فِيهَا مَغْتَبِطًا حَالَةً أَنَا فِي مَكْرُوهِهَا
وَأَلَمِهَا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْتَى فَرِزْتَ إِلَى نَاصِرِي عِنْدَ ظُلْمِ لِحْفَنِي ، فَوَجَدْتُ مِنْ يَظْلِمُنِي
أَحَفَّ نِيَّةً فِي ظُلْمِي مِنْهُ ، وَأَحَدُ اللَّهِ كَثِيرًا . ثُمَّ كَتَبَ فِي أَسْفَلِهَا :

(١) الحبة : المحبوبة . (٢) في الأصول : « صرمها » بالصاد . وهو تحريف .

(٣) كذا في معجم الأدباء لياقوت . وفي الأصول : « المحزة » .

وكنْتَ أنى بإخاء الزمان * فلما نبا صرت حرباً عواناً
وكنْتُ أذم اليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكنْتُ أعدك للنسبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن
عبد الملك وكان قد
أغرى به الواثق

أخبرني الصولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال :

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم
يعاتبه على ذلك ويذاريه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن
يقبل منه ما رفعه ، وردّه الى الحضرة مصوناً ، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط
لسانه في محمد ، وحسن ما بينه وبين ابن أبي دؤاد^(١) . وهجا محمد بن عبد الملك هجاء
كثيراً منه قوله :

قدّرت فلم تضرّ عدواً بقدرية * وثمّت بها إخوانك الذلّ والرّغما
وكنّت مليئاً بالتي قد يعافها * من الناس من يأبى الدّنيئة والذّما

أخبرني الصولي قال حدثنا ابن السّخّي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعت إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له
في المعنصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رعية لإحسانك ، فقال له أبو تمام : ذلك
لأنّي أستضيء بك وأردّ شريعتك .

اعتذر له إبراهيم
ابن المدبر عن أخيه
فقال شعرا

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول :
جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخى أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودني
دون أخى ، فلقيته فأعتذرت إليه عنه ، فقال لي : يا أبا إسحاق :

(١) يعني بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبي دؤاد ويهجوّه . (انظر خبر ذلك مفصلاً

في ج ٢٠ ص ٥١ من الأغاني طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتِّمَسَّ الطَّرِيقَا
وَأَذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا
الْغَنَاءَ لِأَبِي الْعُبَيْسِ .

- ٥ أخبرني الصُّوْلِيُّ قال حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قال :
انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرور
مغموم منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المذَّبر رفع إلى
ير المؤمنين أن بعض عمالي أقتطع مالا ، وصدق في الذي قاله ، وكنت قد رأيت
هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له ، وضحك إلى فقال لي :
١٠ إن أحمد قد رفع علي عاملك كذا وكذا فأصدفتني عنه ؛ فضاقت علي الحجة ، وخفتُ
أن أحقق قوله إن أعترفت ، ثم لأرجع منه إلى شيء فيعود علي الغرم ، فعدلت عن
الحجة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك :

احتمال على المتوكل
لينجي بعض عماله
من العقوبة

صوت

- رَدَّ قَوْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ * وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَّالَا
١٥ أَرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدُودٍ * وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا
قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوَّ هذا الشعرَ بَنَاءً حَتَّى يُغْنِيَنِي
فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبل
قول صاحبه في المال . فسُررتُ بالظفر ، وأَغْتَمِمتُ لبُطْلانِ هذا المالِ وَذَهَابِهِ
: بل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعِبَ شديد .

سرق ابن دريد
وابن الرومي من
شعره

أَنشَدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أَبْيَاتًا لَابْنِ دُرَيْدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

يَا مَنْ يُقْبَلُ كَفِّ كُلِّ مُخْزٍ * هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخْرَاقِ

قَبْلُ أَنَامَلَهُ فَلَسْنَا أَنَامِلًا * لَكِنَّهُمْ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَابْنُ الرُّومِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ * تَقَاصَرُ عَنْهَا الْأُمَلُ

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى * وَظَاهَرُهَا لِلْقَبَلِ

وَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى * وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَسَرَقَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خِصَاصِيَّةٍ وَمَذَلَّةٍ * وَالْحُرُّ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَرَبًا

فَأَمْدُدْ إِلَى يَدَا تَعَوُّدِ بَطْنِهَا * بَدَلِ النَّدَى وَظُهُورِهَا التَّقْيِيلِ

قال ثعلب إنه كان
أشعر المحدثين

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَشْعَرَ الْمُحَدِّثِينَ . قَالَ : وَمَا رَوَى ثَعْلَبٌ شِعْرَ كَاتِبٍ قَطُّ

غَيْرَهُ . قَالَ : وَكَانَ يَسْتَحْسِنُ كَثِيرًا قَوْلَهُ :

لَنَا لِمَلِكُومٍ^(١) يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا * وَيَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسِمَاؤُهَا

فَإِنْ دُونَهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا * وَمَنْ دُونَنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

جَمِيٍّ وَقَرِيٍّ فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا * وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقِّ فَنَائُهَا

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا لِبَعْضِ الْأَوَائِلِ لَاسْتَجِيدَ لَهُ .

(١) الكوم : الابل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أ كوم والأثنى كوما .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن سہل مدح الحسن بن سہل

ابن رجاء يقول :
كنا بقم الصلح أيام بني المأمون ببوران بنت الحسن بن سہل ؛ فقدم إبراهيم ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سہل فأنشده :

لِيَهْنِكَ أَصْهَارٌ أَذَلَّتْ بَعْزَهَا * خَدُودًا وَجَدَّعَتِ الْأَنْوَفَ الرَّاغِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشُّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * وَحُزَّتْ بِهَا لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكْرَامَا
بَنُوكَ غَدَاوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثَا آلَ * خِلَافَةِ وَالْحَاوُونَ كَثَرُوا وَهَاشِمَا
فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : ” شَنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْزَمٍ “ أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ تَمْدَحُنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا جَزَاءَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ فَمَا الْكَثِيرُ مِنْ فَعَلْنَا بِكَ بِجَزَاءٍ لِلْيَسِيرِ مِنْ حَقِّكَ .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة أسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه :
وَعَلَّمَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلِيهِ * وَعَلَّمَكُمْ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلُمِي
وَأَعْلَمَ مَا لِي عِنْدَكُمْ فَيَرْدَنِي * هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرَ عَنْ عِلْمِي

قال شعرا في قينة
سمها ” سامر “
كان يهواها
فغضبت عليه

أخبرني الصُّبُولِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَقُولُ : لَا يُعْلَمُ لِقَدِيمٍ وَلَا لِمُحَدِّثٍ فِي قِصَرِ
الَّيْلِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

شمره في قصر
الليل

(١) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سہل . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أنزم الطائي وكان له ابن يقال له أنزم ؛ قيل : كان عاقا فأت وترك بنين ،

فوثبوا يوما على جدهم فآدموه ، فقال :

إِنَّ بَنِي ضَرَجُونِي بِالْدم * شَنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْزَمِ
* مِنْ يَلْقَى آسَادَ الرِّجَالِ يَكَلِّمُ *

٢٠

وليلة من الليالي الزهري * قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفيق وبفر^(١) * حتى تولت وهي بكر الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن بشر المرندى قال :
كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد، فلما خرج من عنده لقيه محمد
ابن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم
يخاطبه في العاجل بشيء. فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :
٥

دعني أوصل من قطع * ست يراك بي إذ لا يراكا
إني متى أجز لهج * رك لا أضربه سواكا
وإذا قطعك في أخيد * لك قطعك فيك غداً أخاكا
حتى أرى متقسماً * يومئذ لا وغدي لذاكا
١٠

أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيلاء قال :
كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطة مفسدة
فمسحها بكمه؛ فتمجبت من ذلك؛ فقال : لا تعجب، المال فرع والقلم أصل ،
ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أخرج إلى المراعاة من الفرع .
ثم فكر قليلاً وقال :
١٥

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فتمنمه مسد^(٢) * فصيح في المقال بلا لسان
تري حلل البيان منشرات * تجلّ بينها صور المعاني

(١) في نسخة : « وبدر » . (٢) مسد : مصيب السداد .

مسح المسداد بكم
ثوبه وشعره
في ذلك
٣١
٩

اتهمه المأمون
بإفشاء سر مقتل
الفضل بن سهل
ثم عفا عنه بشفاعة
هشام الخطيب

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال :
لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران
الطائي ، ومؤنس البصري ، وخلفا المصري ، وعلى بن أبي سعد ذا القلمين ، وسراجا
الخدادم ، ثمى الخبر إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قتل الفضل وقتل المأمون
قتلته ، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه
فأستتره . وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل
أستكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتعمل إبراهيم بالناس
على المأمون ، وجرّد في أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسي . وكان جريئا على المأمون
لأنه رباة ، وشخص إليه إلى نخراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه المأمون إلى
ماسأل . فلقية إبراهيم مستترا وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني
في أمرك بما تحب . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟
قال : محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئا فترضى بتأخيرته ، وهو أكرم
من أن يعد مثلك شيئا فيؤخره ، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تمنني
به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى
المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم

ابن العباس :

مَنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ دُنْخَرًا لَهُ * فَلَاكُ دُنْخَرِي أَمَلِي فِي هِشَامٍ
فَقِي يَتَى الْإِلَامَةَ عَنْ عِرْضَتِهِ * وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ الدَّامِ

(١) راجع الطبري في هذه القصة (٣: ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن
سهل

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال :

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال
هايت ، فأنشده :

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ * وَتُزِيهِ فِكْرُهُ عَوَاقِبَهَا
فِيظُلِّ يُصْدِرُهَا وَيُورِدُهَا * فَيَعْمُ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَّتْ صَعْبَةٌ عَظُمَتْ * فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِلَّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ * وَلَوْ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ * وَوَسَّعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْهَا * رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كَتَائِبَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيُوفُ مَضَى * عَزَمُ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْرَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا * وَأَقَامَ فِي أُخْرَى نَوَادِبَهَا
وَإِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّتْ وَرَسَتْ * هَدَّتْ فَوَاصِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ * أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا
وَأَنشَدَنِي عَمِّي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَفِيهِ غِنَاءٌ :

صوت

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ

الغناء لأبي العباس ثقل أول . وفيه لرداذ ثاني ثقل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن
يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عمومتي وأهلنا أن رداذاً صنع في هذين
البيتين لحنا أعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العباس لحنا
آخر ، فسقط لحن رداذ واختار الناس لحن أبي العباس .

مدح المتوكل
ورلاة اليهود
فأجازره

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال :

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوْلَاةَ الْيَهُودِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بُسْرٌ مَنِ رَأَى رُكْبَةً لَمْ يُرَ أَحْسَنُ
مِنْهَا ، وَرَكِبَ وَلَاةُ الْيَهُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبْرِزِيَّاتُ الْمُحَلَّلَاتُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ
بِغُلَسٍ فِيهِ وَالْحَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ وَسَائِرِ السُّفُنِ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ
الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلُ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصَّفْقَيْنِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ لَهُ ، فَقَالَ :

وَلَمَّا بَدَا جَعْفَرٌ فِي الْحَمِيدِ * سَسَّ بَيْنَ الْمُطَلِّ وَبَيْنَ الْعَرُوسِ
بَدَا لَابَسًا بِهِمَا حُلَّةٌ * أَزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ النَّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَا بَيْنَ أَحِبَّابِهِ * وَلَوْلَاةِ الْيَهُودِ وَعِزِّ النُّفُوسِ
غَدَا قَمْرًا بَيْنَ أَقْصَارِهِ * وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
لَا يَبَادُ نَارٌ وَإِطْفَاءُهَا * وَيَوْمَ أَنْيَقِي وَيَوْمَ عَبَّوسِ

ثم أقبل على ولادة اليهود فقال :

أَصْحَبْتُ عَرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنْوُطَةٌ * بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ * كَتَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَوْلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٍ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْصَارُهُ * خَفَقْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعْدِ
رَفَعَتِهِمُ الْأَيَّامُ وَارْتَفَعُوا بِهِ * فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَوْلَاةَ الْيَهُودِ بِمِثْلِهَا .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه
الطبر المعلق في المرج - فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية
المعربة) . (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل :
اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق . ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وأبن برد الخيار
في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه
محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له أبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثل قول
إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيَّجته * وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثري ولا * يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

تليج السنون بيوتهم وترى لهم * عن جاريتهم أزورارمنا كب

وتراهم بسيفوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أوراها

حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

فأذكره وأنخر به ، وإلا فأقل من الانتخار والتطاول بما لا طائل فيه ، فنجعل هارون .
وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ،
(يعني عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كتابه بكتب المقطوعتين اللتين أنشدهما
أبن برد الخيار .

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهني الحسن بن سهل
بصهر المأمون :

هتكت أكرومة جلت نعمتها * أعلت وليك وأجتت أعاديك

ما كان يحيا بها إلا الإمام وما * كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن
ابن مخلد قال :

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا، وقد رأى
تغيرا من الواثق نخافه وفترق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار. وكان
إبراهيم بن العباس يُعاديهِ ويرصد له بالمكارة لإساءته إليه، فقال أبياتا وأشاعها حتى
بلغت الواثق يُعريهِ به :

- ٥ نصيحة شائها وزير * مستحفظ سارق مغير
ودائع جمّة عظام * قد أسبلت دونها الستور
تسعة آلاف ألف ألف * خلا لها جوهرا خطير
يجانب الكرخ عند قوم * أنت بما عندهم خير
والملك اليوم في أمور * تحدث من بعدها أمور
١٠ قد شغلته محقرات * وصاحب الكارة^(١) الوزير

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء :

مدح المعتز بشعر

صوت

- ١٥ سحر حاجر الحديقة * مليح والذي خلقه
سواء في رباته * مجانبه ومن عشقه
لعيني في محاسنه * رياض محاسن أنقه
فأحيانا أنزهها * وطورا في ديم غيرقه
يقول فيها في مدح المعتز بالله :

- ٢٠ فيا قمرأ أضاء لنا * يلا لئ نوره أفقه
يشبهه سنا المعتز * ذو مقة إذا رمقه
أمير قلد الرحم * من أمر عباده عنقه

(١) الكارة : ما يجمع ويشد، ويعنى بها السرة التي فيها المال .

٣٤
٩

وفَضَّله وطَيَّبه * وطَهَّرَ في الوري خُلُقَه

في الأربعة الأبيات الأول رَمَلُ ذكر الهشامى أنه لابن القَصَّار، ووجدته في بعض الكتب لَعَرِيب .

هنا أحمد بن المدبر
وكان يحرض عليه
فقال شعرا

أُنشدني الأَخْفَش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر وقد جاءه
بعد خلاصه من النكبة مهتئا ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعده عنه ، وبلغه أنه
كان يحرض عليه ابن الزيات :

وكنْتَ أُنحى بالدهر حتى إذا نَبَا * نَبَوْتَ فلما عاد عُدْتَ مع الدهر
فلا يوم إقبال عَدَدْتُكَ طائِلا * ولا يوم إدار عَدَدْتُكَ في وَثْر
وما كنتَ إلّا مثل أحلام نائم * كَلّا حَالَتِكَ من وفاءٍ ومن غَدْر

عائبه ابن المدبر
فقال شعرا

وأُنشدني الصبولى له في أحمد بن المدبر أيضا وقد عائبه أحمد بن المدبر على
شئ بلغه فقال :

هَبِ الزَّمانَ رمانى * الشَّانُ في ائْتِلان
فيمَنَ رمانى لَمّا * رأى الزَّمانَ رمانى
ومن دَنَحْتُ لِنَفْسِي * فصار دُخْرَ الزَّمان
لو قيل لى خُذْ أماناً * من أعظم الحَدَثان
لَمّا أخذتُ أماناً * إلّا من الإخوان

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مجرى هذا الكتاب
* * *

المعتضد وغلظه
بدر

حدَّثني عمي عن جدّي رحمهما الله قال قال لى عبيد الله بن سليمان ، وكان
يأنس بى أنسا شديداً لقديم الصُّحبة وأتلاف المَنشأ : دعاني المعتضد يوما فقال :

أَلَا تُعَاتِبُ بَدْرًا عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخْتَرَقِ فِي النَّفَقَاتِ وَالْإِمْتَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ
وَالصَّلَاتِ ! وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ عَلَى- فِي ذَلِكَ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ عَنْ حَضْرَتِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ
بَدْرٌ بِفَعْلٍ يَسْتَأْمِرُهُ فِي إِطْلَافَاتٍ مُسْرِفَةٍ وَنَفَقَاتٍ وَاسِعَةٍ وَصِلَاتٍ سَنِيَّةٍ وَهُوَ يَأْذَنُ لَهُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا خَرَجَ رَأَى فِي وَجْهِهِ إِنْكَارًا لِمَا فَعَلَهُ بَعْدَ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ؛
فَقَالَ لِي : يَا عُيَيْدُ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

صوت

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْوِي إِسَاءَتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ مَطَاعٌ حَيْثَا شَفَعَا
مُسْتَقْبَلٌ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لِمَا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْمُعْتَضِدَ :

كَانَ الْمُعْتَضِدُ
يَطْرِبُ لِفَنَاءِ ابْنِ
الْعَلَاءِ فِي شِعْرِ
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ

كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي ^(٢)

أَطْلِقَانِي مِنْ وَثَاقِي * وَأَشْدُدَانِي بَعْنَانِي

فَاسْتَحْسَنَهُ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ ! أَمَّا تَرَى زَهْوَ الْمَلِكِ فِي شِعْرِهِ وَقَوْلِهِ :

١٥ كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي

وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا ، ثُمَّ وَصَلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنِيًّا
قَبْلِي وَلَا بَعْدِي . قَالَ : وَأَسْتَعَادَهُ مَنِيَّ سِتِّ مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِّينَ أَلْفًا . وَقَالَ
النُّوشَجَانِيُّ : بَلْ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً .

٣٥
٩

(١) كَانَ بَدْرٌ هَذَا غَلَامَ الْمُعْتَضِدِ ، وَلَاهُ الشَّرْطَةُ يَوْمَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ وَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَارِسَ . (انظر تاريخ
ابن الأثير ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ج ٧) . قَتَلَهُ الْمَكْنِي سَنَةَ ٢٨٩ لَأَنَّهُ أَبَى أَنْتَ
يَا بَعْدَهُ . (انظر سبب مقتله بأسباب في تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .
(٢) هَذَا مِنْ شِعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ (انظر ج ٧ ص ٩٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ) .

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

(١) فأولم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحقّقاً شديداً ويتبدّل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشى أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصوّن عنه وترفع، إلا أن يدعوّه إليه الزّشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أمّنه المأمون تهتّك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنّين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عنقه وهتّك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإنّ المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الككّات وإبراهيم ابن المهدي، ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدّم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته، فكان يَحْذِفُ نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويُخَفِّفُها على قَدَرٍ ما يصلح له ويفي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وابن ملك، أغنّي كما أشتى وعلى ما ألتذّ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فالناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعْظِمُ الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يُغْنِي الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارية ورَبِيق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما

(١) كذا في الأصول. ولعلها « يخفى به تحفياً... الخ ».

(٢) في الأصول: « ما أصلح له » وهو تحريف.

يَشْتَهِي هَؤُلَاءِ لَا كَمَا غَنَاهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَيَجِدُ عَلَى ذَلِكَ مُسَاعِدِينَ مِمَّنْ يَشْتَهِي أَنْ
يَقْرُبَ عَلَيْهِ مَا خُذَ الْغِنَاءُ وَيَكْرَهُ مَا ثَقُلَ وَثِقُلَتْ أَدْوَارُهُ، وَيَسْتَطِيلُ الزَّمَانَ فِي أَخْذِ الْغِنَاءِ
الْجَلِيدِ عَلَى جِهَتِهِ يَقْصُرُ مَعْرِفَتُهُ . وَهَذَا إِذَا آطَرْدَ فَإِنَّمَا الصَّنْعَةُ لِمَنْ غَنَى فِي هَذَا الْوَقْتُ
لَا لِلتَّقْدِسِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا غَيَّرُوا مَا أَخَذُوهُ كَمَا يَرَوْنَ وَقَدْ غَيَّرَهُ مَنْ أَخَذُوهُ عَنْهُ وَأَخَذَ
ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ، حَتَّى يَمُضِيَ عَلَى هَذَا خَمْسُ طَبَقَاتٍ أَوْ نَحْوُهَا، لَمْ يَتَأَدَّ إِلَى النَّاسِ ^(١)
فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ جِهَةِ الطَّبَقَةِ غِنَاءٍ قَدِيمٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْبَيِّنَةِ . وَمَنْ أَفْسَدَ هَذَا الْجَنَسَ
خَاصَّةً بَنُو حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَإِنْ أَصْلَهُمْ فِيهِ مُخَارِقٌ، وَمَا نَفَعَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا
أَخَذَ عَنْهُ، وَزِيَادُ الْوَائِقِيَّةِ فَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ تُغَيِّرُ الْغِنَاءَ كَمَا تَرِيدُ، وَجَوَارِي
شَارِيَةِ وَرَيْقٍ . فَهَذِهِ الطَّبَقَةُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ . وَمَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الدُّوْرِ بِمِثْلِ دُوْرِ عَرِيبٍ ^(٢)
وَدُوْرِ جَوَارِيهَا وَالْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ وَوَلَدِهِ وَدُوْرِ بَذَلِ الْكَبْرِيِّ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهَا، ^(٣)
وَجَوَارِي الْبَرَامِكَةِ وَآلِ هَاشِمٍ وَآلِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ وَدُوْرِ آلِ الرَّبِيعِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ
مَنْ تَمَسَّكَ بِالْغِنَاءِ الْقَدِيمِ وَحَمَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ مِمَّنْ أَخَذَ بِذَلِكَ ^(٤)
الْمَذْهَبَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَعَلَى أَنْ الْجَمِيعَ مِنَ الصَّحِيحِ وَالْمُغَيَّرِ قَدْ آتَقَضَى فِي عَصْرِنَا هَذَا.

$$\frac{٣٦}{٧}$$

فَنَ مَشْهُورِ غِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

صوت

١٥

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا * بَاكُفِّكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَاكَهَا
أَوْ تَدْفَعُونَ مَقَالَةً مِنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا
طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَ خَيَالُهَا * زَهْرَاءُ تَخْلِطُ بِالْذَّلَالِ جَمَالُهَا
الشَّعْرُ لِمُرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ . وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ، وَذَكَرَ
حَبَشَ أَنْ فِيهِ لِأَبْنِ جَامِعٍ لَحْنًا مَا خُورِيًّا .

٢٠

(١) فِي الْأَسْوَلِ : « قَلَمٌ » . (٢) لَعَلَهُ : « مِثْلٌ » . (٣) لَعَلَهُ : « فَقَدْ » .
(٤) لَعَلَهُ : « عَلَى » .

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

- هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السَّمُط . وأسم
أبي حفصة يزيد . وذكر التَّوْفَلِيّ عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَي مَرْوَانَ بْنِ
الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبِي إِصْطَخَرَ ، وَأَنَّ عُمَانَ اشْتَرَاهُ فَوَهَبَهُ
لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان
ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهد أبو حفصة الدار مع مولاه مروان^(٢)
ابن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسلم يقال له بَنَان . وجرّح مروان يومئذ ،
أصابته ضربة قطعت عِلْبَاهُ فُسَقَطَ ، فوثب عليه أبو حفصة وأحتمله ، فجعل يحمله
مرة على عنقه ومرة يحمله ، فيتأوه ، فيقول له : أَسَكَتَ وَأَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَلِمُوا أَنَّكَ حَيٌّ
قُتِلْتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَزَّة فَدَاوَاهُ فِيهَا حَتَّى بَرِيَ ، فَأَعْتَقَهُ مَرْوَانُ
وَنَزَلَ لَهُ عَنْ أُمِّ وَلَدِهِ . يُقَالُ لَهَا سُكَّرُ كَانَتْ لَهُ مِنْهَا بِنْتُ يُقَالُ لَهَا حَفْصَةُ ، فَحَضَنَهَا ،
فَكَتَبَنِي أَبُو حَفْصَةَ ، فَحَفْصَةُ بِنْتُ مَرْوَانَ . قال : وكان مروان إذا ولي المدينة وجهه
أبو حفصة إلى اليمامة — وكانت مضافةً إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويحمله
إليه . قال : فمَرَّ أَبُو حَفْصَةَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهَا الْعَرِضُ ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ
فَأَسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ مُعَصَّرُ فُسَقَتَهُ فَأَعْجَبَتْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا لِيَشْتَرِيَهَا ، فَقِيلَ لَهُ :
هِيَ حُرَّةٌ ، وَهِيَ مَوْلَاةٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ حَنِيفَةَ . فَمَضَى حَتَّى قَدِمَ حَجْرًا ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا نَفْسُهُ

نسبه وثبي . من
أخبار آبائه

جدّه أبو حفصة
وأخباره

(١) إصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومدنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان
ضى الله تعالى عنه ، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصره فيها حتى قتلوه وسمي ذلك
يوم الدار . (٣) العلباء : عصبة صفراء في صفحة العنق . (٤) أبصرت المرأة : بلغت عمر
شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

فترّجها، فلم يخرج من البسامة حتى حَمَلَتْ يَحْيَى بن أبي حَفْصَة، ثم حَمَلَتْ بِمُحَمَّد
ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وَقَعَتْ فِتْنَةُ آبن الزَّيْرِ خرج أبو حفصة مع مروان
إلى الشام .

- قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنْتُوب يقول :
- أَمْ يَحْيَى بن أبي حفصة لَحْناء بنت مَيُون من ولد النابغة الجَعْدِيّ^(١)، وَإِنَّ الشَّعْرَ أَرَى
أَلْ أَبَى حَفْصَة بِذَلِكَ السَّبَبِ . قال : وشَهِدَ أَبُو حَفْصَة مَعَ مَرْوَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقَاتَلَ
قَتَالًا شَدِيدًا . فلما ظَفِرَ عَلَى بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ مَرْوَانُ إِلَى مَالِكِ بْنِ
مِسْمَعٍ فَدَخَلَ دَارَهُ وَمَعَهُ أَبُو حَفْصَة، فَقَالَ لِمَالِكٍ : أَغْلِقْ بَابَكَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكُ :
إِنْ لَمْ أَمْنَعْكَ وَالْبَابُ مَفْتُوحٌ لَمْ أَمْنَعْكَ وَالْبَابُ مُغْلَقٌ . فَطَلَبَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَرْوَانَ مِنْهُ، فَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْهِ إِلَّا بِرَهْنَةٍ، فَدَفَعَ مَالِكُ الرَهْنَةَ إِلَى أَبِي حَفْصَة، وَمَضَى . ١٠
- مروان إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لِأَبِي حَفْصَة : إِنْ حَدَّثَ
حَدَّثُ بِصَاحِبَتِ فَعَلَيْكَ بِالرَّهْنَةِ . فلما أَتَى مَرْوَانُ عَلِيًّا كَسَاهُ كُسْوَةً، فَكَسَاهَا مَرْوَانُ
أَبَا حَفْصَة، فَعَسَا فِيهَا أَبُو حَفْصَة . وَبَلَغَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ فَغَضِبَ وَقَالَ :
كُسُوته كُسْوَةٌ فَكَسَاهَا عَبْدًا ! . وشَهِدَ أَبُو حَفْصَة مَعَ مَرْوَانَ مَرَجَ رَاهِطٍ^(٢)، وَكَانَ
لَهُ بَلَاءٌ . وَكَانَ أَبُو حَفْصَة شَاعِرًا .

٣٧
٩

- ١٥ قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السَّمُطِ مَرْوَانَ بْنَ
أَبِي الْجَنْتُوبِ أَنشَدَهُ لِأَبِي حَفْصَة يَوْمَ الدَّارِ :
- وَمَا قُلْتُ يَوْمَ الدَّارِ لِلْقَوْمِ صَالِحُوا * أَجَلٌ لَا، وَلَا آخَرْتُ الْحَيَاةَ عَلَى الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ جَالِدُوا * بِأَسْيَافِكُمْ لَا يُخَلِّصَنَّ إِلَى الْكَهْلِ

- (١) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت مَيُون » . (٢) مرج رَاهِط :
في غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن
الزير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضا :

لستُ على الزحام بالأصر * إني لورَّادُ حياضِ الشرِّ^(١)
* معاوِدُ للكرِّ بعدَ الكرِّ *

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال :

- عُكْلٌ تدعى أنَّ أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من بَنِي كَنَازَةَ بنِ عَوْفِ بنِ عبدِ مَنَافَةَ بنِ طابخة بنِ إلياس بنِ مُضَرَ ، وقد كانوا اسْتَعَدُّوا عليه مروانَ ابنَ الحَكَمِ ، وقالوا : إنما باعته عَمَّتُهُ لمجاعة ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم اسْتَعَدُّوا عليه عبدُ المَلِكِ بنُ مروانَ أيضا ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْيِ فارس ، نَشَأَ في عُكْلٍ وهو صغير . قال محمد بن إدريس : وولَدَ السَّمُوعُ بنُ عادِيَاءٍ يَدْعُوْنَهُ ، والسَّمُوعُ من غَسَّانَ . قال محمد : وزعم أهلُ اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنَّ ثلاثة نفرٍ أتوا مروانَ بنَ الحَكَمِ وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْمٍ ، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم ؛ فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ أنه إنما أتى مروانَ فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدنَّ إليه مروانُ من قتله . فلمَّا رأى ذلك الآخِرانَ ثَبَّتَا على أنهما مَوْلِيَانِ لمروانَ . فأخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سَمَّاهُ مروانُ بنَ الحَكَمِ بِاسْمِهِ ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجزباً ، وأمدَّ به عبدُ الملك بن مروانَ المَجَّاجَ وقال له : قد بعثنا إليك مولاى ابنَ أبي حفصة وهو يَعْدِلُ ألفَ رجل . فشهد معه محاربة ابنِ الْأَشْعَثِ ، فأبلى بلاءَ حسناً وعُقِرَتْ تحتَه عِدَّةُ خيولٍ ، فأحتسب بها المَجَّاجُ عليه من عطائه . فشكاه الى عبد الملك وذمَّ المَجَّاجَ عنده ؛ فعوّضه مكانَ ما أغرمه المَجَّاجُ . وكان يحيى جدَّ مروان بن سُلَيْمَانَ جواداً مُمدِّحاً .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل اذا صاح صياحا شديدا .

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة

أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي أمرى ! فقال له جرير :

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً * ألا إن يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه * إذا أنقضوا أو قل ما في الغرائر

٣٨
٩

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن علي العتري قال :

يحيى بن أبي حفصة يتزوج بنت زياد بن هودة

تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هودة بن شماس بن لائى بن أنف النافقة ؛

- فاستعدى عليه عمها عبد الملك بن مروان وقال : أينك إبراهيم بن عدي^{١٠} وهو من كنانة منك واليك بنتها ، وينكح هذا العبد هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي^{١٠} — وكان مغموماً في النسب في الإسلام — والله لهذا أشرف منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أحب أن لي يحيى ألفاً منك . والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعته منه . ومن زوجه فقد زوج أبني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتحلف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنضيا ركبهما وأخلفا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قال فيك !! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتُعطيها ما شئت . فكساه ووصله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما ، وولدت بنت زياد منه أولاداً .

٢٠

(١) الوجناء : النافقة الشديدة . وأنقض القوم : أرموا ، وقبل هلكت أموالهم وفقى زادهم .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال :

يحيى بن الوليد بن
عبد الملك ويعزیه

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُويع له بالخلافة بعد
أبيه، فهتأه وعزاه وأنشده :

إك المنايا لا تغادر واحدا * يمشى بسيرته ولا ذا جنة
لو كان خالق للمنايا مقلتا * كان الخليفة مقلتا منهنه
بكت المنابر يوم مات وإنما * بكت المنابر فقد فارسهنه
لما علاهن الوليد خليفة * قلن أبنه ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده * لئلا يكره فطرحنه عنهنه

٥

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال :

زوج بنه من بنات
مقاتل المنقرى
فهجاه القلاح فرد
عليه

خطب يحيى بن أبي حفصة الى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى ابنته
وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى الى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر
فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهم ثم حملوهن الى حجر. فقال القلاح بن حزن
المنقرى في ذلك :

١٠

سلام على أوصال قيس بن عاصم * وإن كن رمسا في التراب بواليا
أضيتموا خيلا عرابا فأصبحت * كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أر أرابادا أجزر لخزية * والألم مكسوا والألم كاسيا
من الخز واللائى بحجر عليكم * نثرن فكن الخزيات البواقيا

١٥

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت في الكلام عليه) .

فقال يحيى يرد عليه :

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْفُلَاحَ وَنِسْوَةَ * عَلَى الْبُتْرِ يُعْطِشْنَ الْكَلَابَ مِنَ النَّثَنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرَمِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَعَمَدًا رَغَبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنٍ
أَبَا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْبِكَ أُرُومَةً * وَأَوْسَطَ فِي سَعْدٍ وَأَرْجَحَ فِي الْوَزْنِ
لِبَيْتِ بَنِي حَزْنٍ مِنَ الدَّلِّ وَهْنَةً * كَوْهِنَةُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَلْنِي
وَلَمْ تَرَ حَزْنِيًّا، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا * وَأَبْرَزَ،^(١) فِي فَرْجٍ يَعْفُ وَلَا بَطْنَ
وَضَيْفُ بَنِي حَزْنٍ يَجُوعُ وَجَارُهُمْ * إِذَا أَمِنَ الْجَيْرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

٣٩
٩

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج :

يذكر خروج ابن
المهلب

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السَّيْفُ إِذْ فُتِنُوا * لَهْفَنِي عَلَيْكَ وَلَا حِجَّاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكَنُوا * لَمْ يُحِصْ قَتْلَاهُمْ حِسَابُ دِيرِينَ
لَمْ تَأْتِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ * مِثْلَ الْجَرَادِ تَنْزَى فِي التَّبَايِينِ^(٢)
مِنْ كُلِّ الْخُجْ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةً * أُرْفَتْ بِهِ السُّفُنُ عِلْجًا غَيْرَ مَجْنُونِ^(٣)

قال أبو أحمد : وأنشدني يحيى في سفیان بن عمرو والى البهامة :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ * وَلَوْ أَطَعْتُ^(٤) لَمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخُ فِي خَيْمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ * نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَالَهُ حَمَمٌ

(١) أبرز : اتخذ الأبريز وهو الذهب الخالص يريد بالتخاذ الأبريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتباين : جمع تباين ، وهو سراويل صغير ، فارسي معرب .

(٣) الأفحج : ذو الفحج ، يقال رجل أفحج وامرأة فحجاء . والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعده

العقبين . والحنف : اعوجاج الرجل الى الداخل . وأرقت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغفل ، من جهة الشيء ، إذا ستره يريد طلجا لا شك فيه . (٤) في الأصول : « اطقت » بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

بجمل مروان بن
أبي حفصة ونوادير
له في ذلك

وليجي أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا ما ذكرنا لنعرف أعراق مروان في الشعر . وكان مروان أبجل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيما من بني العباس، فإنه كان رستمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وسلمة الخاسر عطية واحدة ، وكان سلم يأتي باب المهدي على البردون قيمته عشرة آلاف درهم ، والسرج والجلم المقذوذين ؛ ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ، ويحيى مروان وعليه فرو كيش ، وقيص كرايس وعمامة كرايس ، وخفا بكلي وكساء غليظ مثنى الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه ، فإذا قرم أرسل غلامه فأشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرعوس في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستبيع الغلام أن يغتني فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقف عليه ، فأكل منه ألوانا ، آكل عينيه لونا ، وأذنيه لونا ، وغلصمته لونا ، وأكفى مؤنة طبخه ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنتقري قل حدثني موسى بن يحيى قال :

أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد .

(١) المقذوذ : المزين المدوى . (٢) الكرايس : جمع كراس وهو هنا الثوب الخشن . (٣) الكجل : الكثير الصوف من الفراء . (٤) كذا في أ ، ح . وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له . وفي الأصول : « يقدم » بالذال المهملة وهو تحريف . (٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل رأس الخلقوم بشواره .

•

١٠

١٥

٢٠

قال : فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا عليّ أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال فغضب يحيى ثم قال : عليّ بمروان ، فأُتي به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك .

٤٠
٩

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقريّ عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إليه ، فلا تبخل .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال :

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما قرحت بشيء قط قرحى بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهديّ ، فوزنتها فزادت درهماً فأشتريت به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال : أتينا اليمامة فزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعنا تمرّاً ، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُنتني ! قال : من فُلس كيف أخونك ! قال : أخذت الفُلس لنفسك وأستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزيّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد منى بأمرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاه أربعة دنانق .

٢٠ (١) السكرجة : الصخرة . (٢) كذا في ٢ . وفي ب ، ح ، س : « وهو يريد منى امرأة » . وفي أ : « وهو يريد منى بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

اشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج ، دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دائق . فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ! قال : أكره الإسراف .

قصة له مع
أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروان على العريس غيرة * ولكن مروانًا يغار على القدير .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدى قال :

فرّق المهديّ على الشعراء جوائز ، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً . بخاءه أبو الشمقمق فقال له : أحزنى من الحائرة . فقال له : أنا وأنت تأخذ ولا تُعطى . قال : فأسمع مني بيتين . قال : هات . فقال أبو الشمقمق :

لحبة مروان تبقى عنبراً * خالط مسكاً خالصاً أذفراً^(١)

فما يُقيمان بها ساعة * إلا يعودان جميعاً نحرًا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر بحظّة عن أبي هفان

فذكر مثل الخبر الماضى وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان .

مدح الهادي
فداعيه في المعجل
والمؤجل ووصله

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني

عمي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب قال :

(١) الأذفر : الجيد من المسك .

دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :
 تَسَابِهَ يَوْمًا بِأَسِهَ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ
 فقال له الهادي : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَلَا تُورِنُ أَلْفًا مُعْجَلَةً أَمْ مِائَةُ أَلْفٍ تَدُونُ
 فِي الدَّوَاوِينِ ؟ فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تُحَسِّنُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَلَكِنَّكَ
 تَسِيئَتَهُ ، أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدَّكَ ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّلْ لِي الثَّلَاثِينَ أَلْفًا
 وَتَدُونُ الْمِائَةَ الْأَلْفَ^(١) فِي الدَّوَاوِينِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلْ يَعْجَلَانِ جَمِيعًا ؛ فَنُفِصِلُ
 الْمَسْأَلُ إِلَيْهِ أَجْمَعُ .

٤١
٩

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهوريه
 قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال :
 اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان
 يُنشد :

مدح المهدي فلقته
 اليزيدي فاعترض
 على سوء أدبه

* طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَّ خِيَالَهَا *
 فقال اليزيدي : لَحْنٌ وَاللَّهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ . فقال له مروان : يَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ
 أَهَذَا لِي يَقَالَ ! ثُمَّ قَالَ :
 * بَيْضَاءُ تُخْلِطُ بِالْجَمَالِ دِلَالَهَا *
 فقال له بعض من حضر : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلِسِكَ ! (يعني اليزيدي)
 فقال : أَصْدِرُوا شَيْخَنَا ، فَإِنْ لَهُ حُرْمَةٌ .

١٥

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق
 الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هَلْ دَخَلْتَ عَلَى
 الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ دَخَلْتُ مَعَ عَمُومَتِي إِلَيْهِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ :

سأله الرشيد عن
 الوليد بن يزيد
 فأجابه

٢٠

(١) فِي الْأَصُولِ الْمِائَةُ أَلْفٌ . (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ .

فذهبتُ أترجح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت :
يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع
عمومتى ولى لمة فينانة ، بفعل يغمز القضيّب فيها ويقول : ولدك سُكرٌ؟ — وهى أم ولد
لمروان بن الحكم فوهبها لجدى أبي حفصة فولدت منه — فقلت له : نعم . قال لي
الرشيد : فهل تحفظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعته يُنشد في خلافته وذكر
هشاماً وتحامله عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته :

ليت هشاماً عاش حتى يرى * ميكتله الأوفر قد أثرعا^(٢)
كلنا له الصاع التي كالمها * وما ظلمناه بها أصوعا
وما أتينا ذاك عن بدعة * أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلام ، الدواة والقرطاس ، فأني بهما ، فأمر بالأبيات فكتبت .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحييب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال :

فضل خلف الأحمر
شعره على شعر
للأعشى

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ،
وأخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبي عمير^(٣) بجلسنا في الدهليز . فقال مروان لخلف :
نشدتك الله يا أبا محرز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم ،
وأنشده قوله :

طرقك زائرة فخي خيالها * بيضاء تخلط بالجمال دلالها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

(١) كذا بالأصول ولعله « وهما » . (٢) المكمل : زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه
التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً . (٣) في ج : « ابن عمير » .

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشى هكذا ! ولا تكلّ ذا ! قال : ويحده ! إن
الأعشى قال في قصيدته هذه :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال ما دخل قط في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتك سليمة كلّها . فقال له
مروان : إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعته في حول ، أقولها في أربعة أشهر ،
وأتخلها في أربعة أشهر ، وأعرضها في أربعة أشهر .^(١)

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن
محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرياشي عن الأصمعي قال :
جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلم ثم قال لنا : أيكم يونس ؟ فأومأنا

عرض شعرا له على
يونس فدحه وفضله
على شعر للأعشى

٤٢
٩

إليه . فقال له : أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم سوءته
ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر . وقد قلت
شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيّداً أظهرته ، وإن كان رديئا سترته . فأنشده قوله :
* طرقتك زائرة فخي خيالها *

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

فقال له مروان : سررتني وسؤتني . فأما الذي سررتني به فأرتضاؤك الشعر . وأما الذي
ساءني فتقديمتك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله . فقال : إنما قدمتك عليه في تلك
القصيدة لا في شعره كلّ لأنه قال فيها :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

(١) في الأصول : « أتخلها » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعي إنه
مولد ولا علم له
باللغة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال :
سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له
علم باللغة .

أنشد شعر جماعة
من الشعراء فقال
عن كل واحد منهم
إنه أشعر الناس

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال حدثني
بعض أصحابنا قال :

أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر
الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً
لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر
الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى ينتقل إلى
شعر غيره .

اشترى من أعرابي
شعراً مدح به
مروان بن محمد
فدح هو به مع
ابن زائدة فأكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني
أبي قال :

اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً
كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشد
إياه ، أوله :

مروان يا بن محمد أنت الذي * زيدت به شرفاً بنو مروان

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني
سمعت قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قدرته^(١) عنده ؛
أتبغني القصيدة حتى أتخلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم .
قال : بكم؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد آبتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق

(١) في ج : « ما قدرته » .

ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشسها،
وأنه رف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:
معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً إلى شرف بنو شيان
ووقد بها إلى معن بن زائدة فلأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أئثرى وآسعت حاله.
فكان معن أول من دفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة
ومراثٍ حنة.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني
محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدثني
معن بن زائدة باليمن أنه اضطُرَّ لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت
وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، وليس جبة صوف غليظة، وركب جملاً من الجمال
النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة
بلاء حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب
تبعني أسود متقلداً سيقاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه
وقبض عليّ؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طليبة أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا آتق الله! وأين أنا من معن!
قال: دُع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول

نقل قصة فرار معن
وأن عبداً أسود
أطلقه تكريماً بعد
ما عرفه

٤٣
٩

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان
ابن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢
ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ - ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ - ٧٣).
(٢) موضع بقداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور.
(انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الحربية).

فهد أجوهر^١ حملته معي يني بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذ
ولا تسفك دمي . قال : هاتيه فأخرجته اليه ؛ فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قبته ،
ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك . فقلت : قل .
قال : إن الناس قد وصفوك بالحدود ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟
قلت لا . قال : فنصفه ؟ قلت لا . قال : فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر
فأستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا والله
راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ،
وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولحدودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن
في الدنيا أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا
تتوقف عن مكرمه . ثم رمى بالعقد في حجرى وخلي خطام البعير وأنصرف . فقلت :
يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك فإنني
غني عنه فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا آخذ
بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد الملبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به
ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتة .

١٥ قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم^(١)
الهاشمية ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو مثلم فانتضى
سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً ، وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعدد ،

سبب رضا المنصور
عن معن بن زائدة

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هيرة واستم
بناؤه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفي دفن بها . واستخلف المنصور فنزلها واستم بناء كان بقي فيها
وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح
ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالا المنصور ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو
أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ج ٣
ص ١٢٩ ، ١٣١) .

ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع؛ فقال له: تَنَحَّ فَإِنِّي أَحَقُّ بِاللَّجَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ فِيهِ غَنَاءً. فقال له المنصور: صَدَقَ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ؛ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى أَنْكَشَفَتْ تِلْكَ الْحَالُ. فقال له المنصور: مَنْ أَنْتَ لَهِ أَبُوكَ؟ قال: أَنَا طَلِيتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. قال: قَدْ أَمْنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَمِثْلَكَ يُصْطَنَعُ. ثم أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيَّنَهُ. ثم دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: إِتْنِي قَدْ أَمْلَيْتُكَ لِأَمْرٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ فِيهِ؟ قال: كَمَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — قال: قَدْ وَلَّيْتُكَ الْيَمْنَ، فَابْسُطِ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى تُبْتَقِضَ حِلْفُ رُبِيعَةَ وَالْيَمْنَ — قال: أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَوَلَّاهُ الْيَمْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَبَسَطَ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ.

قال مروان: وَقَدِيمٌ مَعْنُ بَعَقِبَ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْلَا مَكَائِكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فِيكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ. قال: وَمَا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ، قَالَ: لِمَ عَظَاؤُكَ

عاتب المنصور معناه على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو

مروان بن أبي حنيفة ألف دينار لقوله فيك:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْفًا إِلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ

إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا * يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَعَانُ

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أُعْطِيْتُهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِقَوْلِهِ:

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا * بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتَ حَوَزَتَهُ وَكُنْتَ وَقَاءَهُ * مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وَسِنَانِ

فَأَسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ وَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ مَا أُعْطِيْتُهُ لِهَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

وَاللَّهِ لَوْلَا خِفَافَةُ النِّقْمَةِ عِنْدَكَ لَا مُمْكِنَتُهُ^(١) مِنْ مِفَاتِيحِ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَأُبْحَثُهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ

المنصور: اللَّهُ دُرُكٌ مِنْ أَعْرَابِيٍّ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَعْزُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلُ الْحَزْمِ!

(١) فِي ج: «الشُّنَّة».

أُسبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن
الربيع قال :

مدح المهدي فرده
لمدحه معناتم مدحه
العام المقبل فأجازه
مائة الف درهم

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن
أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالًا

وَقُلْنَا أَيْنَ نَزَلَ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالًا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جئوا برجله ؛
بفجروا برجله حتى أخرج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع
الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام هجرة - فمثل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَخَيَّ خَيَالَهَا * بِيَضَاءٍ تُخِلِّطُ بِالْجَمَالِ^(١) دَلَالَهَا

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

قال : فأنصت الناس لها حتى بلغ الى قوله :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا * بِأَكْفَمٍ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالَهَا

أَوْ تَجْهَدُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ^(٢) * بَرَأَيْهِمْ فَأَرَدْتُ لِبَطَالَهَا

(١) في ج في هذا الموضع : « بالحيا » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهابوا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

٢٠

قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصَلَّاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائة ألف درهم أُعطيت شاعرٌ في أيام بني العباس .

قال : ومضت الأيام ووليَّ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيتُه واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة أمتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة . قال له : ألسنت القائل في معن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهديُّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مدح الرشيد فردده
لمدحه معنائهم مدحه
بعد أيام فأجازه
لكل بيت ألفاً

لعمرك ما أنسى غداة المحصب * إشارة سألني بالبنان المحصب

٤٥
٩

وقد صدر الجحاج إلا أقلهم * مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها الوفا . فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات .

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال :

مدح المهدي في
الرصافة فأجازه

دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قدم عليه . قال :

فدخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه :

أمر وأحل ما بلا الناس طعمه * عذاب أمير المؤمنين ونائله

فإن طليق الله من أنت مطلق * وإن قتيل الله من أنت قاتله

كأن أمير المؤمنين محمداً * أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلة أول صلة سنية وصلت

إلي في أيام بني هاشم .

مدح المهدي
وذم عنده يعقوب
ابن داود فأجازه
من خالص ماله

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن عبد الله العبدى الراوية قال حدثني حسين بن الضحّاك قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال :

دخلت على المهدي^(١) في قصر السلام ، فلما سلمت عليه ، وذلك بعقب سخطه
على يعقوب بن داود ، قلت^(٢) : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضى وإنه
سمعى أقول في الورثة :

أنى يكون وليس ذاك بكائى * لبني البنات وراثة الأعمام
فذلك الذى حمله على عداوتى . ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمداً * لرأفته بالناس للناس والد
على أنه من خالف الحق منهم * سقته بدالموت الخوف الرواصد
ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنّ النسي حرامها وحلّما
قال فقال لى المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالى فأعزنى ، وأمر لى
بثلاثين ألف درهم ، وكسائى جمة ومطرقا ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه
ثلاثين ألفا أخرى .

مدح معنا فأعطاء
عطايا سنّية لم
يستكثرها عليه
ابن الأعرابي

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال حدثنا أحمد بن الحارث انخراز قال
حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة
فأنشده قوله :

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتابى ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لياقوت
أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقّة . والذى بناه المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذى بناه
بالآجر فى عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود
السلمى ، كان وزيرا للمهدي ثم غضب عليه وسجنه فى المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره
أبو الفرج فى ترجمة بشار بن برد فى الأغانى (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) فى الأصول : « فقلت » .

٥

١٠

١٥

٢٠

بنو منظر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان^(١) أشبن^(٢)
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل^(٣)
لها ميم^(٤) في الإسلام سادوا ولم يكن * كالأولم في الجاهلية أول^(٥)
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم * وإن أحسنوا في الناثبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخلع عليّ وحملي وزودني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي:
لو أعطاه كل ما يملك ما وفاه حقه. قال: وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء،
وما دون لأحد بعده شعرا.

٤٦
٩

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن
موسى بن حمزة قال:

سئل عن جرير
والفرزدق أيهما
أشعر فأجاب بشعر

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير،
فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهدي
وعن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت، فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدق بالهجاء وإئما * حلوا القريض ومرة لجرير
ولقد هجا فامض أخطل تغلب * وحوى النهى بليانه المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت ففت غير مهلل^(٣) * بجراء لا قريف ولا مهور^(٤)
لاني لأنف أن أحبر مدحة * أبداً لغير خليفة ووزير
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. وكتبت الأبيات عن فيه.

(١) خفان كحسان: موضع كثير القياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) الهايم: جمع
لهيم وهو السابق الجواد. (٣) هل الرجل: جبن وفتر. (٤) القرف: الشديدة الحمرة
ولعله يعني به المهجين.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال :

مدح معنا فسأله
عن أمه فأعطاه
إياه واستقله له

لما قدم معن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاص بأهله ، فأخذ بعضادتي الباب وأنشأ يقول :

وما أجمم الأعداء عنك بقيّة * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحنف فيهما * أبي الله إلا أن تضرا وتنفعا

قال فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال معن : ربنا عليك تسعين ألفا . قال : أقلني . قال : لا أقال الله من يهلك .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال :

رى محرز معنا بالظلم
فرد عليه بما أنجله

لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدة يهنئه فيها بقدمه وبراى المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز فجعل يقول له : سقكت الدماء ، وظلمت الناس ، وتعديت طورك بذلك . فلما أكثر على معن آلتفت إليه ثم قال له : يا محرز أخبرني بأى خفيك تضرب اليوم : أبا السباعي أم بالثاني ؟ قال : فأقطع وسكت نجلا .

ودخل معن على المنصور ، فلما سلم عليه وسأله قال له : يا معن ، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا إلى شريف بنو شيان
فقال له : كلا يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فأستجيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال : أحسنت يا معن في فعلك .

(١) عضادات الباب : خشبته من جانبيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبرى (ق ٢ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

أخبرني الحسن بن عليّ المصريّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال
حدثني عليّ بن ثور قال حدثني أبو العباس العَدَوِيّ قال :

ترك يحيى بن منصور
الشعر فلما سمع بكرم
معن مدحه وقال
مروان في ذلك
شعرا

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ
الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْنٍ وَقَدْ إِلَيْهِ وَمَدَحُهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنٍ فَإِنَّهُمَا * بِالْجُودِ أَقْنَتَا يَحْيَى بْنَ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنٍ تَدَفَّقَتْ * بِنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَزُورٍ^(١)
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا * وَظَلَّ لِلشَّعْرِ ذَا رَضِيفٍ وَتَحْبِيرٍ

٤٧
٩

أخبرني محمد بن مَرْزَيْدٍ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :

تزوجت امرأة من
أهله في بني مطر
فلم يرضهم
وقال شعرا

١٠ ورد عليّ مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله
تَزَوَّجَتْ فِي قَوْمٍ لَمْ يَرْضَ صِهْرَهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو مَطَرٍ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ لِأَخِيهَا :
لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاحِكِهِ * لَمَّا تَتَقَيَّتْ خَلًّا جَدُّهُ مَطَرُ
لِلَّهِ دَرَجِيَادٌ كُنْتُ سَانِسَهَا * ضِيْعَتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ
نُبِئْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا * قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

١٥ أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليّ المعروف بمحمدان^(٢)
عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفِيّ قال :

تهكم بالحنفي الشاعر
فهجاه ولم يعف
عنه حتى حفره

مَرَّ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بِرَجُلٍ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يُعْرَفُ بِالْحَنَفِيِّ ؛ فَقَالَ لَهُ
مَرْوَانُ : زَعَمُوا أَنَّكَ تَقُولُ الشَّعْرَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتُ عَرَّفْتُكَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ :
مَا أَنْتَ وَالشَّعْرَ ، مَا أَرَى ذَلِكَ مِنْ طَرِيقَتِكَ وَلَا مَذْهَبِكَ وَلَا تَقُولُهُ ! فَقَالَ الْحَنَفِيُّ :
أَجْلِسْ وَأَسْمَعْ بِخُلْسٍ ؛ فَقَالَ الْحَنَفِيُّ يَهْجُوهُ :

٢٠

(١) يقال : أعطاه عطاء غير مزور : إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .

(٢) سمي بمحمدان وحمدان بضم أوله وفتح هـ .

ثَوَى اللُّؤْمُ فِي الْعَجَلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً * وَفِي دَارِ مَرْوَانَ ثَوَى آخِرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطْرَحًا لِحَالِهِ * فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مَرْوَانَ خِيَمَ عِنْدَهُ * وَقَالَ رَضِينَا بِالْمُقَامِ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعِرْسِ غَيْرَةٌ * وَلَكِنَّ مَرْوَانًا يَغَارُ عَلَى الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : نَاشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . خَلَفَ الْحَنِيَّ
بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَكْفُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ بِنْفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ
بِحَضْرَتِهِمْ : فَاقْ فِي آسَتِي بَيْضَةً . فَجَلَبَهُمْ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَفَعَلَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
جَدَى يَحْيَى بْنُ الْأَيْهَمِ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
زَيْدِ الدَّوْسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ ١٠
قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ قَطَنٍ بْنُ قَيْصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهَلَالِيُّ قَالَ :
لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَنُونَ بِالْخِلَافَةِ وَيَعِزُّونَهُ عَنْ
الْمَهْدِيِّ ، فَدَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَ أَتَدِي الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :
لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَالَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقَابِرُ
وَلَوْ لَمْ تُسَكَّنْ بِأَبْنِهِ فِي مَكَانِهِ * لَمَّا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ ١٥
قَالَ نَفَرَ النَّاسُ بِالْبَيْتَيْنِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويهِ قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبَّرِ قَالَ :
مَرِضَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أُبْلِغَ مِنْ مَرَضِهِ
فَأَنشَأَ يَقُولُ : ٢٠

صَحِّ الْجِسْمِ يَا عَمْرُو * لَكَ التَّمَجِصُ وَالْأَجْرُ

مدح عمرو بن
مسعدة في مرضه

٤٨
٩

ولله علينا الحمد * دُ والمِنَّةُ والشكر

فقد كان شكا شوقاً * إليك النّهي والأمر

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمودٌ فقلت لهم * نفسى الفداء له من كل محذور

يأليت عاتيه بي غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا
أبو حذيفة قال حدثني رجل من بني سليم في مسجد الرضاة قال أخبرني مروان بن
أبي حفصة قال :

رأى الغول في بعض
سفراته ففزع

وفدت في ركب إلى الرشيد فصرنا في أرض موحشة فقير ، وجن علينا الليل
فسرنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحذو في آثارنا ، فاذا هي
الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضا وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني * فلست من صبح وليس مني

قال : فما أذكر أنى فزعت من شيء قط فزعى ليلئذ .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني
علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلبي قال :

عارضه التغلبي
في شعره في رواية
بني العباس

مررت بجمعفر بن عَفَّان الطائي يوما وهو على باب منزله ، فسأمت عليه ،
فقال لي : مرحباً يا أخا تَغْلِب ، اجلس بجلست . فقال لي : أما تعجب من
أبن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام

فقلت بلى والله إني لأتعجب منه وأكثير اللعن له ، فهل قلت في ذلك شيئاً؟
فقال : نعم قلت :

(١) المرضي : الناحية .

لم لا يكون وإن ذاك لكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
للبنات نصف كامل من ماله * والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللثرات وإتما * صلي الطليق مخافة الصمصام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي
قال حدثني صالح بن عطية الأصبهم قال :

لازمه صالح بن
عطية الأصبهم أياما
ثم قتله

لما قال مروان :

أني يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك، وما زلت ألاحظه
وأبره وأكتب أشعاره، حتى خُصصتُ به، فأنس بي جدا، وعرفت ذلك بنو حفصة
جميعا فأنسوا بي، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته، فلم أزل
أظهر له الجزع عليه وألزمه والأطفه، حتى خلا لي البيت يوما فوثبت عليه فأخذت
بخلقه فما فارقته حتى مات، فخرجت وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا،
وآرتفعت الصبيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن، وما فطن
بما فعلت أحد ولا أتهمني به .

١٥

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه ^(١) شكلة. ويكنى أبا إسحاق. وشكلة أمه
مولدة، كان أبوها من أصحاب المازيار، يقال له شاه أفزند، فقتل مع المازيار
وسيتت بنته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها لمحيأة أم ولده فربتها وبعثت بها
إلى الطائف فنشأت هناك وتفصحت، فلما كبرت ردت إليها . فرآها المهدي

نشاته ونسب أمه
شكلة
٤٩
٩

(١) ضبط في القاموس بالقلم يفتح أوله . وفي الطبري يفتح أوله وكسره .

عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً
فهِمًا دِينًا^(١) أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .
وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس :
رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبدل له من الغناء ؟ فقال :
وهل تم فضله إلا بذلك ! . حدثنني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه .

مدحه إسحاق
الموصلي

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدهم منافسةً فيه . وكانت
صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى شارية وريقٍ ، لئلا يقع عليه فيه طعن
أو تقريع ، فقلتُ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء
قال : إنما أصنع تطريباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتي . وكان
حُسنُ صوته يستر عوار ذلك كله . وكان الناس يقولون لم يُر في جاهلية ولا إسلام
أخٌ وأختٌ أحسنُ غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته علية . وكان يُماظ^(٢) إسحاق
ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يبقى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغضبه بزيته ويغض
منه بما يظهر عليه من السقطات ويبين من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة
الخطأ الغامض إذا مر به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد
ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك .

كان ينسب
ما يصنع لشارية
وريق جاريته

كان ينازع إسحاق
ويجادله وجرى
بينهما مناظرات
في الغناء

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقِيلان
وخفيفهما ؛ فإنه سَمَّى الثَّقِيلَ الأول وخفيفه الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه ، وسَمَّى الثَّقِيلَ
الثاني وخفيفه الثَّقِيلَ الأول وخفيفه ؛ وجرى بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ
ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم من يفتي بفصل

(١) هذه الكلمة ليست في ج . (٢) بماظ : ينازع . (٣) في الأصول : « وقت » . ٢٠

ما بينهما! والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق ، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهديّ أضحلّ وبطل وترك ، وعمل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما . وأوضح إسحاق أيضا لذلك وجهها فقال : إنَّ الثَّقِيلُ الأوَّلُ يبيِّن منه قدران ، الثَّقِيلُ الأوَّلُ التَّام ، والقَدْرُ الأوسط من الثَّقِيلِ الأوَّلِ ، وجميعاً طريقته واحدة لا تساعه والتكُنُّ منه ، والثَّقِيلُ الثاني لا يبيِّن هذا فيه ولا يقاربه . والثَّقِيلُ الأوَّلُ يمكن الإدراج في ضربه لثقله ، والثَّقِيلُ الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما ، وشرحت العِلَلَ مبسوطة في كتاب ألفته في النعم شرحاً ليس هذا مضمعه ولا يصلح فيه . وأما التجزئة والقسمة فإنهما أفنيا أعمارهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوت واحد فيه ، وحتى كانا يخرججان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته :

٥٠
٩

حيّاً أم يعمّرا * قبل تخط من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن أفتقرا . ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهديّ وقصصه لما ولي الخلافه وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وجودة الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالحدل ، وجزالة الرأي ، والتصرف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطلت . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جدهم حماد بن
ابن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي :
كلمة لإبراهيم بن
المهدي عن نفسه
في صنعة الغناء .

لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم
لم يروا قبلي مثلي .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم
ابن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال :
دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة نحارة ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم
الموصلی . فقال : بحياتي يا إبراهيم غني . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي
من الفضلة فغنيت :
غنى الرشيد وعنده
ابن جامع وإبراهيم
الموصلی فاطر ياء

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق
فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا
خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت :
خذاً في حقكما ودماً باطلنا .

نسبة هذا الصوت

١٥ صوت

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلَّ حُدَيْثُهُ * فَأَنْقَعُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ * مُذْ بَنَيْتَ قَلْبِي كَالْبَحْنَجِ الْخَافِقِ

(١) رواية الديوان : « أسرى لخالدة الخ »

(٢) في ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ^(١)
الشعر لحرير . والغناء لابن عائشة رَمَلُ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

أَخْبَرَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي هَبَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ،
وَحَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَةُ اللَّهِ — وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْ
أَبِيهِ — قَالَ :

غنى الرشيد وعنده
سليمان بن أبي جعفر
وجعفر بن يحيى

كَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ أَبِي . وَقَالَ بِحُظَّةٍ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ
الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَني ، فَنَحَلَا بِي مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعَنِي . ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

إِذَا أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسَنِي

فَأَمَرَنِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :
أَنَا أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا . فَغَنَيْتُهُ لَحْنًا صَنَعْتُهُ فِي شَعْرِ الدَّارِمِيِّ :
كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذَا وَصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرِفَةِ الْعُتْقِ

٥١
٩

نَسَبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ ، مِنْهُمَا :

صَوْت

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رُبْعٍ بَذَى سَلَمٌ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذَا أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسَنِي
الشعر للأحوص . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو

(١) . فِي الْأَصُولِ :

شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَجَازِ مَوْدِقِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ بِالْخَلِيلِ الصَّادِقِ
والتصويب عن الديوان . (٢) . لَعَلَّهُ : « الْأَوَّلُ مِنْهَا إِخ » .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن زهير عن مُصعب قال ، أنشد
منشده وأبْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ عندنا قولَ الأَحوصِ :

إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فوثب، قائماً وألقى طَرْفَ رِداءه وجعل يخطو إلى طَرْفِ المجلس ويَجُرُّه . ثم فعل ذلك
حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ
مَرَّةً فَأُطْرَبُ ، فجعلت على نفسي ألا أسمعهُ أبداً إلا جرتُ رَسَنِي .

والآخر من الصوتين :

صوت

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وُصِفَتْ * دِينَارٌ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَّةِ الْعُتْقِ
أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ الْغَوَاصَ فِي صَدْفٍ * أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوْاعُ فِي وَرَقِ
الشَّعْرِ لِلدَّارِمِيِّ . وَالْغِنَاءُ لِمَرْزُوقِ الصَّوَّافِ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ أَبِي الْمَكِّيِّ . وَذَكَرَ عَمْرُو
أَنْ هَذَا الْلَحْنُ لِلدَّارِمِيِّ أَيْضًا . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَا بَنَ سُرَيْجٍ . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ . وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لَحْنُ مَرْزُوقِ الصَّوَّافِ ، وَيُقَالُ
لأنه لَمَتِّمٌ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَأَبْنِ الْمُعْتَزِّ .

أخبرني يحيى بن المنجم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق
بن عمر بن بزيع قال :

غنى صوتا على أربع
طبقات

كُنْتُ أَضْرِبُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ صَوْتًا ذَكَرَهُ فغناه على أربع طبقات ،
على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضِعْفِهَا ، وعلى إِنْجَاحِهَا ، وعلى إِنْجَاحِ الإِنْجَاحِ .
قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شيءٌ ما حَكَيْتَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

وقد تَاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذراً لا يُبلَّغ إلَّا بالصوت القويّ وأشدّ ما في إسجاح الإسجاح؛ لأن الضَّعْف لا يُبلَّغ إلَّا بصوت قويّ. إئيل إلى الدقة، ولا يكاد ما أوسع مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دقَّ حتى يبلغ الإضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح. فاذا غلظَ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضَّعْف.

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال :

٥٢
٩

دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت إليه، وغنّي صوتاً لمعبد :

أفي الحق هذا أني بك مولع * وأن فؤادي نحوك الدهر نازع

١٠ فقال لي : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنّي والله معبد كذا قط، ولا يمعّت أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال : فضحك ثم قال : والله يا بني ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

١٥ أمّا الثَّمنُ فمن الثَّقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشام أنَّهُ لابن المكي.

عاب مخارفا عند
الأموي

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسطمر قال :

٢٠ لما قديم المأمون من نراسان لم يظهر لمغنّ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنْتُ أناديه سرّاً، ولم يظهر للنّدماء أربع سنين، حتى ظفّر إبراهيم بن المهدي.

فلما ظفِرَ به وعفا عنه ظهر الندماء ثم جمعنا ؛ ووجه إلى إبراهيم فحضر في ثياب
مُبْتَذَلَةٍ . فلما رآه المأمون قال : أَلْقِ عَمِي رِداءَ الكِبَرِ عن مَنِكَبَيْهِ ، ثم أمر له بِخَلْعِ
فائِزَةٍ وقال : يا فَتْحُ غَدِّ عَمِّي ؛ فتنفدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا ،
وكان مُحَارِقَ حاضراً ، فغنى مُحَارِقُ :

هذا وربُّ مسوفين ^(١) صَبَحْتُهُمْ * من نَحْمِرُ بِإِلٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِ ٥

فقال له إبراهيم : أسأتَ فاعِدْ ؛ فأعاده ، فقال : قَارَبْتَ ولم تُصِبْ . فقال له
المأمون : إن كان أساءَ فَأَحْسِنْ أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمُحَارِقِ : أعِدْهُ فأعاده ،
فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمُحَارِقِ :
إنما مثلكَ كمَثَلُ التَّوْبِ الفائز إذا غفلَ عنه أهلُهُ وقعَ عليه الغبار فأحالَ لونه ، فإذا
نُقِضَ عادَ إلى جوهَرِهِ . ثم غنى إبراهيم :

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنِسِ * وَالرَّحِلِ ذِي الْأَقْتَادِ وَالْحِلْسِ ^(٢)
أَمَّا النَّهَارُ فَمَا تُقَبِّصِرُهُ * رَتِّكَ ^(٣) يَزِيدُكَ كَلِّمَا تُمَسِّي

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي باللقاء هذا
الصَّوتَ على مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عمِّ أَلْقِ هذا الصَّوتَ على
مُحَارِقِ ، فألقاه على ، حتى إذا كدت أن أخذه قال : أذهبْ فأنت أحقُّ الناس به .
فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فَأَغْدُ عليَّ . فغدت عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أيها
الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ،

ضَنَّ على مُحَارِقِ
بصوت

(١) هو فتح خادم المأمون . انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسوفون : الصبر ؛
يقال : إن فلاناً لمسوف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً . (راجع لسان العرب في مادة سوف) .
(٣) يقال جمل ضامر ، وناقض ضامر (بغير هاء) وضامرة . والعنيس : الناقة الصلبة القوية . والحلس :
كل شيء ، ولي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والبرج . (٤) الرتْك : سير اللابل سريعاً .

تجود الرغائب وتجنجل على بصوت ! فقال : ما أحقك ! إن المأمون لم يستبقني
 محبة في ولا صلة لرحمي ولا رياء للعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الحرم^(١)
 ما لم يسمع من غيره . قال : فأعلمت المأمون مقالته ؛ فقال : أنا لانكدر على أبي إسحاق
 عفونا عنه ، فدعه . فلما كانت أيام المعتصم نشط للصباح يوماً فقال : أحضروا عني .
 بفاء في دراعة من غير طيلسان . فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرا . فقال : يا عم غنني :
 * يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فغناه ؛ فقال : ألقه على تخارق . فقال : قد فعلت ، وقد سبق مني قول ألا أعينه
 عليه . ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضره .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا ورب مسوفين صبحتهم * من نحر بابل لذة للشارب
 بكروا على بسخرة فصبحتهم * بلناء ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملء اليمين كأنها * قنديل فصيح في كنيسة راهب^(٢)
 الشعر لعدي بن زيد . والغناء الحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر
 عن إسحاق .

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرحل ذى الاقتاذ والجلس
 أما النهار فما تقصره * رتكا يزيدك كلما تمسى
 الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

٢٠ . (١) الحرم هنا : الخلق أو الصوت . (٢) الفصح (بالكسر) : عيد النصر .

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أبيير مولاة منصور بن المهدي عن دُؤابة مولاته
أيضا قالت قالت لي أسماء بنت المهدي :

طلبت اليه أخته
أسماء سماع غناه

قلت لأخي إبراهيم : يا أخى أشتى والله أن أسمع من غناك شيئا . فقال :
إذا والله يا أختي لا تسمعين مثله ، على وعلى ، وظل في اليمين ، إن لم يكن إبليس ظهر لي
وعلمني النقر والنغم وصاحني وقال لي : اذهب فانت مني وأنا منك .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهدي عن أبيه قال :

غضب عليه الأمين
ثم رضى عنه

غضب علي محمد الأمين في بعض هناته ، فسأمني إلى كوثري ، فخبسني في سرداب
وأغلقه علي فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج علي من زاوية
السرداب ، ودفع إلي وسطا وقال : كُلْ فاكلت ، ثم أخرج قنينة شراب فقال :
أشرب فشربت ، ثم قال لي : غن :

لي مُدَّة لا بُدَّ أبلغها * معلومة فإذا آنقضت مُتَّ

لو ساورتني الأسد ضارية * لغلبيتها ما لم يَجِ الوقتُ

فغنيت . وسمعتي كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جنَّ عمك وهو جالس يغني بكيت
وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعائة ألف درهم
ورضى عني .

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشؤ ويحدث عن أبي أحمد
ابن الرشيد قال :

طرح أخته عليه
فاطربا المأمون
وأحمد بن الرشيد

كنت يوما بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسر وأدخله فساره بشيء ومضى
وعاد . فقام المأمون وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين . (انظر قرا عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ، ٩٦٥) .
(٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوعا من الطعام . (٣) في الأصول : «فسره» .

أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أأنخر. وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال :
هذه عمّتك عُلَيَّة تُطارح عمك إبراهيم :

* مالي أرى الأبصارَ بي جافية *
نسبة هذا الصوت

نسبة هذا الصوت

مالي أرى الأبصارَ بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية

لا ينظر الناس إلى المبتلى * وإنما الناس مع العافية

وقد جفاني ظالماً سيدي * فادمعي منهلةً هامية

صحي سألوا ربكم العافية * فقد دهنتي بمدنكم داهية

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن

لعریب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عُلَيَّة مُطلق .

•

١٠

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم بن علي بن هشام أن
إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبريه وتجراه وإجراه
لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأتى ما صنعه . والصوت :

حييا أم يعمرأ * قبل شحط من النوى

قلت لا تعجلوا الروا * ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحى رحلة * ففؤادى كذى الآسى

١٥

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل

الأول مطلق في تجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانه أنه لما لك . وفيه للهدلى

خفيف ثقيل أول بالنصر عن ابن المكي، وزعم الهشامى أنه لحن مالك . وفيه

٢٠

(١) في ب، س، ج : « واهبة » .

لَحْنَانٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي أَحَدُهُمَا لِإِسْحَاقَ وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِسْحَاقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .
وَالْآخَرُ زَعَمَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَزَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ
أَنَّهُ لِأَبْنِ مُحَرِّزٍ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْجَمَّانِ : أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
لَمَّا صَنَعَ صَوْتَهُ :

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا *

اتَّصَلَ خَبْرُهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَكَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشِعْرِهِ وَإِقَاعِهِ
وَبَسِيطِهِ وَمَجْرَاهُ وَإِصْبَعِهِ وَتَجْزِئَتِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَخَارِجَ نَعْمِهِ وَمَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرَ
أَدْوَارِهِ وَأُورْزَانِهِ ، فَعَنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ لَقِينِي فَعَنَانِيهِ ، فَفَضَّلَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قل لمن صدَّ عاتِبًا * ونأى عنك جانبًا

بد بلغت الذي أرد * ت وإن كنت لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثانياً ثل بالبنصر في مجراها ، وفيه لغيره ألحان .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : كُنْتُ أُعِيبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ،

نَفَرَاجُ الْمُعْتَصِمِ يَوْمًا إِلَى الشَّامِ فِي حَرَّاقَةٍ يَشْرَبُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِي فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا

قَرُبْتُ مِنْهُ سَمِعْتُ غِنَاءً حَيَّرَنِي وَشَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛

فَأَلْتَفْتُ إِلَى زَنْقِطَةٍ غَلَامِي أَطْلَبُ مِنْهُ سَوْطَهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ وَاللَّهِ سَقَطَ سَوْطِي .

فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبَ سَقُوطِهِ ؟ قَالَ : صَوْتٌ سَمِعْتُهُ شَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛ فَإِذَا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قَالَ : وَكُنْتُ أَنْيَكِرُ أَمْرَ الطَّرَبِ عَلَى

سمعه أحمد بن
أبي دراد فذهل
عن نفسه ورجع
عن إنكاره الغناء

١٤٠

٢٠٠

الغناء ١٠٠ يستفز الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه . فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر؛ فضحك وقال : هذا عمي كان يغني :

إك هذا الطويل من آل حفص * نشر المجد بعد ما كان ماتا

فإن ثبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده . ففعلت وفعل ، بلغ بي الطرب أكثر مما يتلغنى عن غيري فأكرهه ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم . وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونقصانه، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم :

طرقك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها

اتخذ لنفسه حراقة
بجاء داره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن علي قال :

سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حراقة فأمر بشدها في الجانب الغربي بجاء داره، فضيبت إليها ليلة فكان أبي مخاطباً من داره بأمره ونهيه، فنسمععه وبيننا عرض دجلة وما أجهد نفسه .

ثناء ابن أبي ظبية
عليه

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدثني ابن أبي ظبية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتحنن فأطرب .

غنى وعنده عدة
من المغنين وغنى
بعده مخارق فأعاد
هو فأطرب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهران قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطرب محسن من المغنين
يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج^(١) . فترنم بصوت فريدة :

قال لي أحمد ولم يدري ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُبَّةَ حَقَّا

وهو مُتَكَيٍّ . فلما فرغ منه ترنم به مُخَارِقٌ فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ،
فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعنَى على غناء مُخَارِقٌ . فلما فرغ رده مُخَارِقٌ وغنَى فيه
بصوته كله وتحفظ فيه ، فكدنا نطير سروراً . وأستوى إبراهيم جالسا وكان متكئا فغناه
بصوته كله ووفاه نغمه وشُدُّورَه ، ونظرتُ الى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرك حتى
فرغ منه ، ومُخَارِقٌ شاخصٌ نحوه يُرْعِدُ وقد انتقع لونه وأصابه تَحَلُّجٌ ؛ نُحِيلُ لي والله
أَنْ الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدّم إليه مُخَارِقٌ فقبل يده وقال : جعلني الله فداك
أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مُخَارِقٌ بنفسه بقيّة يومه في غنائه ، والله لكأنا ما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمد ولم يدري ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُبَّةَ حَقَّا

فتنفسْتُ ثم قلت نعم حبٌّ . ما جرى في العروق عِرْقاً فِعْرِقاً

ما لدمي عِدْمَتُهُ ليس يرقاً * إنما يَسْتَهْلُ غَسَقاً فَغَسَقاً^(٢)

طرباً نحو ظبية تركت قلبي من الوجد قَرْحَةً ما تَفَقَّأ^(٤)

(١) كذا في ج . وفي أ : « ترنم بعضهم » . وفي سائر الأصول : « ترنم أحدهم » وكلاهما

تحريف . وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « ترنم إبراهيم » .

(٢) يرقا : يحرق وينقطع ، وأصله الهمز . (٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال :

غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمت . (٤) تفقأ : تنفلق

وتلشق ، وأصله الهمز .

٥٦
٩

الشمر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم
ابن المهديّ خفيف رمل آخر . وفريدة أيضا لحن من الثقيل الثاني في أبيات
من هذه القصيدة وهي :

قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الـ * أَهْلُ مَنَى مِمَّا أَدَاوَى وَأَرْقَى
لَيْتَنِي مِتَّ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي * أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلْكِي^(١)

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهديّ قال حدثني عمي منصور بن المهديّ :

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين ، فنشأ غل
أبي بالشرب في بيته ولم يَمُضْ ، وأرسل إليه عِدَّةٌ رُسُلٍ فتأخروا . قال منصور :
فلما كان من غَدٍ قال : ينبغي أن تعمل على الرواح إلى لنمضي إلى أمير المؤمنين
فنترضاه ؛ فـ : أَشْكُ في غضبه على . ففعلت ومضينا . فسألنا عز خبره فأعلمنا أنه
مشرف على حير الوحش وهو مخجور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار .
فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى . فقال لي أنسى : أذهب فاحتر
منها عودا ترضاه ، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره البتة عند الضرب ؛
ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بصرنا به من بعيد قال :
أُخْرِجْ عودك فاحرجته ، وأندفع بغنى :

وَكَايِسَ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ * وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لَكِي يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُو * أَتَيْتُ الْفَتَوَةَ مِنْ بَابِهَا

(١) الملقى : الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الخطيرة والبستان .

وشاهدنا الجُلَّ واليَّاسِمَ * ^(١) بَيْنَ الْمُسْمَعَاتِ بِقُصَابِهَا
رَبْرَبْنَا دَائِمًا مَعْمَلٌ * ^(٢) فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرْزَى بِهَا

- فأستوى الأمين جالسًا وطرب طربًا شديدًا وقال : أحسنت والله ياعم وأحييت لي طربًا ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وأمتد في شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يُتناهى إليها في العود ، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط . ولقد رأيت منه شيئًا عجيبًا لو حدثت به ما صدقت ، كان إذا ابتدأ يغنى أصغيت الوحش إليه ومدت أعناقها ، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رءوسها على الدكان الذي كنا عليه ، فاذا سكت نفضت وبعدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعده فيها عنا ، وجعل الأنين يعجب من ذلك ، وأنصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قط .

- أخبرني عمي والصولي قالا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجمان أن
إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعره وهو :

كتب له إسحاق
بصوت صنعه فغناه
وأجاده

قَلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * ونأى عنك جانبًا

قد بلغت الذي أردت * وإن كنت لأعيا

- وبين له شعرة وإيقاعه وبساطه وبحراه وإصبعه وتجزئته وقسمته وخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أوزانه ، فغناه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما نحر منه شذرة ولا نغمة ، قال : وفاقني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

قَلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * ونأى عنك جانبًا

قد بلغت الذي أردت * وإن كنت لأعيا

٥٧
٩

- ٢٠ (١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في الأغاني ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .
(٢) البربط : العود ، فارسي معرب . وفي أ و م : « وإبريقنا دائماً معمل » .

وَأَعْتَرَفْنَا بِمَا آذَعَيْهِ * سَتَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

فَأَفْعَلِ الْآنَ مَا أُرِدَ * تَ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبًا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجده في مجموع شعره . ووجدت فيه لحنًا لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقيل الثاني (١) بالنصر . وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي ؛ ويُشبهه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالنصر في مجراها . وفيه ثقل أول مطلق في مجرى النصر لم يقع إلى نسبته إلى صانعه ، وأظنه لحن حكم .

ففي بادلف العجلى
وأهداه جارية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلى قال :

كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلى أقيية ومنطقة . فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبيية له يقال لها غضة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صعدنا إليه آندفع ففتى :

حيّا كما الله خليليّا * إن ميتا كنت وإن حيّا

إن قلتما خيرا فأهل له * أو قلتما غيبا فلا غيبا

ثم ناول كلا منهما كأسا وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : أشربا على ريفكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعة

(١) في ١ و ٢ : « وهو خفيف من الثقيل الثاني ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبني على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم تقف عليه .

وغنياء ؛ وضرب وضرباً معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنت مراراً . فقال له : إن كانت أحسنت فخذها إليك ، فما أخرجتها إلا إليك .

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العبيس بن حمدون سمع من مخارق
لحنا فاطراه
قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتابي :

• أَخْضَى الْمَقَامَ الْغَمْرَ إِنْ كَانَ غَرْنِي * سَنَا حُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ؛ فقال له : أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد مخارق سروراً
بقول إبراهيم ذلك له .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن غنى عمرو بن بانة
لحنا وحدثه حديثه
عمرو بن بانة قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً :

• أَدَارًا بِمُزَوَى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً * فَمَاءُ الْمَسْوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ
فَأَسْتَحْسِنُهُ وَسَأَلْتُهُ إِعَادَتَهُ عَلَيَّ حَتَّى أَخَذَهُ عَنْهُ فَفَعَلَ . ثم قال لي : إنَّ حديث هذا
الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزك الله ؟ قال : غنائيه أبْنُ جَامِعٍ وَالصَّنْعَةُ
فِيهِ لَهُ ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ عَنْهُ غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ لِيَسْمَعَهُ مَنْ ، فَأَسْتَحْسِنُهُ جَدًّا وَقَالَ : كَأَنِّي وَاللَّهِ
مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ إِلَّا مِنْكَ ثُمَّ كَانَ صَوْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نِسْبَةِ هَذَا الصَّوْتِ .

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن نوح دأبه قصته مع ابن بسخر
وجاريته شارية
وقمارق وعلوية
قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال :

وَجَّهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا يَدْعُونِي ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ ،
فَصَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَشَارِيَةٌ جَارِيَتُهُ خَلْفَ السَّتَارَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي قَلْتُ
شِعْرًا وَغَنَيْتُ فِيهِ وَطَرَحْتُهُ عَلَى شَارِيَةٍ فَأَخَذَتْهُ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَحْدَقُ بِهِ مِنِّي ، وَأَنَا أَقُولُ

إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حَكًّا بيننا لموضعك من هذه الصنعة، فأسمعه متى ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرّات . فقلت نعم . فاندفع ينني بهذا الصوت :

أَصْنُ بِلَيْلِي وَهِيَ غَيْرُ سَيِّئَةٍ * وَتَجَلَّ لِي بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغَيُّ ، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أيجاد، ونظر إلى فعرف أني قد عرفت فضلها عليه، فقال : على رسلك ! وتحدثنا ساعة وشربنا . ثم أندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها : تَغَيُّ ، فغنت فبرعت وزادت أضعاف زيادته، وكذت أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تَبَّتْ وَلَا تَعَجَّل . ثم غناه ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل، فقضيت لها؛ فقال : أصبت، فكم تُساوي عندك ؟ فحملني الحسد له عليها والنَّفَاسَةُ بمثلها أن قلت : تُساوي مائة ألف درهم . فقال : أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! فيح الله رأيك ! والله ما أجد شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أصيرك، قم فأنصرف إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك أخرج من منزلي جواب، وقت وأنصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرْمَضَنِي ^(١) . فلما خطوت خُطُواتِ التفت إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أتطردني من منزلك ! فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً . وضرب الدهر ضرباً به، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل ^(٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مصطريحاً وبين يديه ثلاث جامات : جام فضة مملوءة دنانير حُرَّةً، وجام ذهب مملوءة دراهم جُدُداً، وجام قوارير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم نَشْكُ في ذلك، فغنيناه وأجهدنا

٢٠ (١) في ١، ٢ : « وأمضى » . (٢) في ب، س : « قصر الليل » .

أَنْفُسَنَا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن المهدي. فَأَذِنَ لَهُ فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو :

مَا بَالُ شَمْسِ أَبِي الْخَطَّابِ قَدْ غَرَبَتْ * يَا صَاحِبِي أَظَنَّ السَّاعَةَ أَقْتَرَبَتْ

فَأَسْتَحْسِنُهُ الْمُعْتَصِمُ وَطَرِبَ لَهُ، وقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! فقال إبراهيم : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ فَهَبْ لِي إِحْدَى هَذِهِ الْجَامَاتِ ؛ فقال : خذ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذَ

الَّتِي فِيهَا الدَّنَائِرُ؛ فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ . ثُمَّ غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِشَعْرِهِ وَهُوَ :

فَا مُزَّةٌ قَهْوَةٌ قَرْقَفٌ * شَمْوُولٌ تَرَوْقُ بِرَاوُوقِهَا^(١)

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ وَسَرَرْتَ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ فَهَبْ لِي جَاماً أُخْرَى ؛ فقال : خذ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ ، فَأَخَذَ الْجَامَ الَّتِي فِيهَا الدَّرَاهِمُ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْقَطَعَ رَجَاؤُنَا مِنْهَا . وَغَنَاهُ بَعْدَ سَاعَةٍ :

أَلَا لَيْتَ ذَاتِ الْخَالِ تَلَقَّى مِنَ الْهَوَى * عَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى فَيَلْتَمِ الْحُبَّ^(٢)

٥٩
١

فَأَرْجَى بَنَاءَ الْمَجْلِسِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، وَطَرِبَ الْمُعْتَصِمُ وَأَسْتَخَفَّهُ الطَّرِبُ فَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ مَا شِئْتَ ! قَالَ : فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَبْ لِي الْجَامَ الثَّلَاثَةَ ؛ فَقَالَ : خُذْهَا فَأَخَذَهَا . وَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ بِمَنْدِيلٍ فَغَنَاهُ طَائِفَتَيْنِ وَوَضَعَ الْجَامَاتِ فِيهِ وَشَدَّهُ، وَدَعَا بَطِينَ نَحْتَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى غُلَامِهِ، وَنَهَضْنَا إِلَى الْإِنصَافِ، وَقُدِّمَتْ دَوَابُّنَا . فَلَمَّا رَكِبَ إِبْرَاهِيمُ التَّفْتَ إِلَى فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ، زَعَمْتَ أَنَّكَ أَحْسَنَ أَنَا وَجَارِيَتِي شَيْئاً، وَقَدْ رَأَيْتُ ثَمَرَةَ الْإِحْسَانِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : قَدْ رَأَيْتُ، نَحْنُهَا لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ! وَلَمْ أُجِبْهُ بِشَيْءٍ .

(١) المزة والقهوة والقرقف والشمول : من أسماء الخمر . والراووق : باطية الخمر .

(٢) العشير : جزء من عشرة كالعشر .

نسبة هذه الأصوات

صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت * يا صاحبي أظن الساعة أقتربت
 أم لا فإ بال ريح كنت أملها * غدت على^(١) يصير بعد ما خيلت
 أشكو اليك أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
 رأيت قيمها يوماً يحدثها * يا ليتها قربت مني وما بأدت^(٢)
 الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رمل بالنصر . وفيه هزج بالنصر، ذكر عمرو
 ابن بانه أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فليتم الحب
 وصالحكم صد وقربكم قل * وعطفكم نخط وسنمكم حرب
 الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعت أبي يقول : كانت
 في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عم قل فيها أبياتاً وغن فيها .
 فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيئة ثم قال :
 ١٥

صوت

ثلاث عيون من النرجس * على قائم أخضر أملس
 يذكركني طيب رياء الحبيب * فيمنعني لذة المجلس
 وصنع فيه لحناً وغاناً به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف
 رمل بالنصر ، ذكر لي ذكاء وغيره ذلك .
 ٢٠

(١) ربح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا في ١٠ ، م وفي ج : « والنأي عندك »
 وفي سائر النسخ : « والشوق يظيني » .

شعره في باقة
 نرجس غنى به
 المعتصم

غضب عليه المأمون
وسجنه فاستعطفه
حتى عفا عنه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ،
وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يثوث بن المزرع عن الجاحظ قال :

أرسل إلى ثُمَامَةَ^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس
على مراتبهم فحضروا فجاء إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليّ قال
حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال :

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوجّهه على رءوس الناس .
قال : فجاء إبراهيم يَحْجُلُ في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك

يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفظك
ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين ! فلقد

أصبحت وليّ ثأري ، والقدرة تُذهِبُ الحفيظة ، ومن مدّ له الاعتراض في الأمل هجّمت
به الأناة على التّلف . وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب ، كما أت عفوك فوق كلّ عفو

— وقال الحسن بن عليّ في خبره : وقد أصبحت فوق كلّ ذنبي ، كما أصبح كلّ
ذني عفودك — فإن تُعاقِبْ فيحقّقك ، وإن تَعَفَّ فيفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع

رأسه فقال : إن هذين أشارا علىّ بقتلك . فائتفت فاذا المعتصم والعبّاس بن المأمون ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في معظّم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا

عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني ، ولكنّ الله عودك من العفو عادةً جريت
عليها دافعاً ما تتخاف بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمَامَةَ ثم قال :

إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا عن عمي

(١) ثُمَامَةُ : هو ثُمَامَةُ بن أشرس أبو معن النخعي أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون
الرشيد وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره . (انظر تاريخ بغداد
ج ٧ ص ١٤٥) . (٢) انظر في هذا المقام الطبري ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ
بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر .

حديده، وردوه إلى مكرماً . فلما رُدَّ إليه قال : يا عمِّ صِرْ إلى المنادمة وأرجع إلى
الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه :

يا خيرَ مَنْ ذَمَلْتُ يَمَانِيَةً بِهِ * بعد الرسول لايس أو طامع
وأبرَّ مَنْ عبدَ الإلهَ على الهدى * نفساً وأحكمه بحق صادق
عَسَلُ الفوراع ما أَطْعَمَ فَإِنْ تُهَيِّجْ * فالموتُ في جُرعِ السَّامِ النَّافِعِ ^(١)
مَتَقَطًّا حَذِرًا وما يَخْشَى العدا * نَهَانِ من وَسَنَاتِ ليلِ المَاجِعِ
والله يعلم ما أقول فإنها * جَهْدُ الأَلِيَّةِ من حَنِيفٍ رَاصِعِ
قَسَمًا وما أَدْلَى إِلَيْكَ بِجُحَّةٍ * إِلَّا التَّضَرُّعَ من مَحَبٍّ خَاشِعِ
ما إن عصيتك والغواية تُمَدِّنِي * أسبابها إِلَّا بَنِيَّةَ طَائِعِ ^(٢)
حتى إِذَا عَلِقْتُ حَبَائِلَ شِقْوَتِي * يَرْدِي على حُفَرِ المَهَالِكِ هَائِعِ
لم أَدرِ أَنْ لِمَثَلِ ذَنْبِي غَافِرًا * فَأَقْتُ أَرْقُبُ أَيَّ حَتِفٍ صَارِعِ
رَدَّ الحَيَاةَ إِلَى بعد ذهابها * وَرَعُ الإمامِ القاهرِ المُتَوَاضِعِ
أَحْيَاكَ مِنْ وَلَاكَ أَطْوَلَ مَدَّةٍ * وَرَمَى عِدْوَكَ في الوَتِينَ بِقَاطِعِ
إِنَّ الذي قَسَمَ الفضائلَ حَازَهَا * في صُلْبِ آدَمَ للإمامِ السَّابِعِ ^(٣)
كَمْ من يَدٍ لَكَ لا تَحْدِثُنِي بِهَا * نَفْسِي إِذَا آلَتْ إِلَى مطامعِي
أَسَدَيْتَهَا عَفَوًا إِلَى هَنِيئَةٍ * فَشَكَرْتُ مُضْطَنًّا لأَكْرَمِ صَانِعِ
وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ القَطَا * وَعَوِيلَ عَانِسَةِ كَقُوسِ النَّازِعِ
وعَفَوْتَ عَمَّنْ لم يَكُنْ عن مثله * عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
إِلَّا العُلُوُّ عن العقوبة بعد ما * ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعِ

٢٠ (١) الدرج (بالفتح ويحرك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبري :
* فالصواب يمزج بالسام النافع * (٣) الهائع هنا : المنتشر . (٤) في الطبري : « الخلافة » .

٦١
٩

- قال: فبكى المأمون ثم قال: عليّ به، فأُتِيَ به فخلع عليه وحمله وأمر له بنجمة^(١) آلاف دينار، ودعا بالفَرَّاش فقال له: إذا رأيت عمي مُقْبِلًا فاطرح له نكّاة^(٢)، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئًا. وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي^(٣) فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد^(٤) الأَحْوَل وقال: هو صديقك نخذه إليك، فقال: وما تُعني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أما إني وإن كنتُ له صديقًا لا أمتنع من قول الحق فيه. فقال له: قُلْ فإنك غيرُهم. قال وهو يريد التسلُّق على العفو عنه: إن قتلته فقد قتلَ الملوك قبلك أقلَّ جرمًا منه، وإن عفوت عنه عفوتَ عمن لم يُعَفَّ قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثَّل:
- فلئن عفوت لأعفونَ جَلًّا * ولئن سطوت لأوهنَ عَظْمِي^(٥)
قومي هم قتلوا أميمَ أخِي * فإذا رميتُ أصابني سَهْمِي
١٠. خذه يا أحمد إليك مكرّمًا، فأنصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية، فلما قرأها رَقَّ له وأمر برده إلى منزله وردَّ ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسن بن عَلِيل قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدَّم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه دارِي الخاصَّة والعامة، ويؤكِّل به رجلا من قبَله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلَّم به. فكتب إليه المؤكِّل
١٥. به أن إبراهيم لما بلغه منعه من دارِي الخاصَّة والعامة تمثَّل:
- يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ مَوارِدُهُ * أما إليك طَرِيقٌ غيرُ مَسْدُودٍ^(٥)

(١) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ق ٣

ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) في الأصول: «قال وهو

يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام. (٣) هذا شعر

الحارث بن ولاة الدهلي. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزله». (٥)

(٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ لَهُ * مُخَلَّاهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ
 فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه
 محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال :
 الْبِرُّ بِيْ مِنْكَ وَطَا الْعُدْرَ عِنْدَكَ لِي * دُونَ أَعْتَذَارِي فَلَمْ تَعِذُّ لَمْ تَلِمَ
 وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتِجَّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُهَيَّمٍ
 رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
 تَعْفُو بَعْدُ لِي وَتَسْطُو إِن سَطَوْتَ بِهِ * فَلَا عِدْمَانَكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ
 فَبَوَّأْتُ مِنْكَ وَقَدْ كَافَأْتَهَا بِيَدٍ * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فقال له : أجلس يا عمِّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تُحدثَ حديثاً
 أو تتغير عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .

بذ أحمد بن يوسف
 الكاتب في حسن
 المحاضرة

أخبرني أحمد بن جعفر جملة قال حدثني أبن حمدون عن أبيه قال :
 كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما
 كنت أراه من تقدم أحمد وغلته الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر
 ومجلس . فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية
 الخزري، بفعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرةً يضحكنا ومرةً يعطينا
 ومرةً يئشدنا ومرةً يذكركنا، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ
 أن أخطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال :

مَالِكَ لَا تَنْبَحَ يَا كَلْبَ الدَّوْمِ * قَدْ كُنْتَ نَبَّاحاً فَمَا لَكَ الْيَوْمَ

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت
 أحمد مني .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعى العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ وأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ. فقليل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُضْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نَسَأَ بُحْرَاسَانَ لَا يَسْمَعُ مِنَ الْغِنَاءِ الْعَرَبِيّ إِلَّا مَا لَا يَفْهَمُهُ! .

إثنى عليه إسحاق

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيّس بن حمدون عن عمرو بن بانه قال: رأيت إسحاق الموصليّ يُناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّما فيه بما فهّما ولم يفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

إقرار ابن بانه له وإسحاق بالعلو في فن الغناء

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون: أنّ المأمون قال لإسحاق: غنّ لي لحناً في شعر الأخطل: يا قَلَّ خَيْرُ الْغَوَانِي كَيْفَ رُغِنَ بِهِ * فِشْرِبُهُ وَشَلَّ مِنْهُنَّ تَصْرِيدُ^(١)

فضل المأمون غناه على غناء إسحاق في شعر للأخطل

فغناه ليّاه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاتيه؛ فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

١٥

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جديّ عن عبد الله بن عيسى الماسهانيّ قال:

علمه إسحاق لحناً فطرب له الأمين وقصة ذلك

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ خَزَّ أَسْوَدَ ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المُطْرَف فقال: لقد كانت

٢٠ (١) كذا في ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٨٩١ م) . وفي الأصول: «إشربة» . والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء . والوشل هنا: القليل . والتصريّد: السقي دون الري . يريد بهذا الشطر أن حظه منهن قليل .

لَكُمْ أَيَّامٌ حَسَنَةٌ وَدَوْلَةٌ عَجِيبَةٌ، فَكَيْفَ تَرَى هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ. فَقَالَ:
 إِنْ قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَلَهُ حَدِيثٌ عَجِيبٌ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَقْوَمُهُ إِلَّا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ
 دِينَارٍ. فَقَالَ إِسْحَاقُ: اسْمَعْ حَدِيثَهُ: شَرِبْنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، فَبِتُّ وَأَنَا مُشْخَنٌ، فَأَنْتَبَهْتُ
 لِرَسُولِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَجَّلْ إِلَيَّ - وَكَانَ
 بَنِيْلًا عَلَى الطَّعَامِ فَكَنْتُ أَكُلُ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ - فَقُمْتُ قَسْوَكْتُ وَأَصْلَحْتُ
 أَمْرِي، وَاعْتَجَلَنِي الرَّسُولُ عَنِ الْغَدَاءِ. فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ
 وَعَلَيْهِ هَذَا الْمَطْرَفُ وَجِبَّةٌ خَزَّ دَكَّاءُ. فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ: يَا إِسْحَاقُ تَغْدِيَتْ؟ فَقُلْتُ:
 نَعَمْ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ: إِنَّكَ لَنَهَمٌ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ! فَقُلْتُ: أَصْبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَبِي نَحَارٌ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَانِي عَلَى الْأَكْلِ. فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ شَرِبْنَا؟ فَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ
 أَرْطَالٍ. فَقَالَ: أَسْقَوْهُ مِثْلَهَا. فَقُلْتُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفَرِّقَهَا عَلَيَّ! فَقَالَ: تُسْقَى
 رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا. فَدَفَعْتُ إِلَى رِطْلَانِ بِفَعْلَتُ أَشْرَبَهُمَا وَأَنَا أَتَوَّهُمُ أَنْتَ نَفْسِي تَسِيلُ
 مَعَهُمَا، ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَى رِطْلٍ آخَرَ فَشَرِبْتُهُ فَكَأَنَّ شَيْئًا أَنْجَلِي عَنِّي. فَقَالَ، غَنِّي:
 كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَّجٌ بِالْدَمِّ

فَعَنَيْتُهُ؛ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَطَرِبَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ. وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، يَدْخُلُ
 إِلَى النِّسَاءِ وَيَدْعُنَا. فَقُمْتُ فِي أَثَرِ قِيَامِهِ فَدَعَوْتُ غَلَامًا لِي فَقُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِي
 وَجِئْتَنِي يَزِمًا وَرَدَّتَيْنِ وَلَقَّهُمَا فِي مَنْدِيلٍ وَأَذْهَبُ رَكْضًا وَعَجَّلُ. فَضَى الْغَلَامُ جَاءَنِي
 بِهِمَا. فَلَمَّا وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ أَنْقَطَعَ الرِّذْوُنُ فَتَفَقَّ مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَّضَهُ،
 فَادْخَلَ إِلَى الْبَزِمَا وَرَدَّتَيْنِ فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي. فَقَالَ

٦٣
٩

(١) كَذَا فِي ج. وَفِي سَائِرِ الْأَسْوَالِ: «جَرَانِي». (٢) الْبَزِمَا وَرَد: طَعَامٌ يُسَمَّى
 «لَقْمَةُ الْقَاضِي» وَ«نَخْدُ السِّتِ» وَ«لَقْمَةُ الْخَلِيفَةِ»، وَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنَ الْحَمِّ الْمَقْلِيِّ بِالزَّبْدِ وَالْبَيْضِ.
 (انظر كتاب التاج للمحافظ ص ١٧٣ هامشة ٣).

لى إبراهيم : إن لى إليك حاجة أحب أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدك
وأبن عبدك ، قل ما شئت . قال : تردّ على :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

وهذا المطرف لك . فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنى أصير إليك إلى منزلك
فألقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أحب أن تردّه على الساعة وأن تأخذ
هذا المطرف فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددت عليه الصوت مراراً حتى
أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بفلس ثم قعدنا ، فشرب وتحدثنا .
فغناه إبراهيم :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

فكأنى والله لم أسمع قبل ذلك حسناً ، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت
والله يا عم ! أعط يا غلام عَشْرَ يَدَرٍ لَعَمْرِي الساعة ، بخاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن
لى فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته
الساعة منه لما قت . فقلت له : ولم ! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى
يُشْرِكَ فيما تُعْطاه ! قال : أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلما أنصرفنا من
المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم
وهى قيمته .

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال لى إبراهيم بن المهدي :

حج مع الرشيد ،
وقصته مع جارية
رأها

حَجَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ ؛ فَلَمَّا صَرْنَا بِالْمَدِينَةِ نَحَرْتُ أَدُورَ فِي عَرَصَاتِهَا ، فَأَتَيْتُ
إِلَى بَرٍّ وَقَدْ عَطِشْتُ وَجَارِيَةٌ تَسْتَقِي مِنْهَا ، فَقُلْتُ : يَا جَارِيَّةُ ، آمْنِي لِي دَلْوَ . فَقَالَتْ :
أَنْزِلْ وَاللَّهِ عَنْكَ فِي شُغْلٍ بِضَرْبَةِ مَوَالِيٍّ عَلَيَّ . فَتَقَرَّتْ بِسُوطِي عَلَى سَرْجِي وَغَنِيْتُ ؛

صوت

- رام قلبي السلو عن أسماء * وتَعَزَّى وما به من عزاء
 سُخْمَةٌ في الشتاء باردة الصبي * سف سراج في الليلة الظلماء
 كَفَنَانِي إن مِتُّ في دِرْعٍ أَرَوَى * وأَمْتَحَالِي من بُرْ عُرْوَةٍ مَائِي
 ٥ — الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رَمَلٌ مُطَاقِي في مجرى الوسطى عن إسحاق —
 وتتمام هذه الأبيات :

- إِنِّي وَالَّذِي تَحُجَّ قَرِيْشٌ * بَيْتَهُ سَالِكِينَ تَقَبَّ كَدَاءِ^(١)
 لَمْ لِمُ بِهَا وَإِنِ ابْتُ مِنْهَا * صَادِرًا كَالَّذِي وَرَدْتُ بِدَاءِ
 وَلَهَا مَرْبَعٌ بِرُقَّةٍ خَاخِ^(٢) * وَمَصِيفٌ بِالْقَصْرِ قُصْبَاءِ
 قَلْبْتُ لِي ظَهَرَ الْحِجْنِ فَأَمْسَتْ * قَدْ أَطَاعَتْ مَقَالَةَ الْأَعْدَاءِ
 ١٠ ولمعبد أيضا في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيف ثقيل عن
 الهشامي . ولابن سريج في :

* وَلَهَا مَرْبَعٌ بِرُقَّةٍ خَاخِ *
 و * كَفَنَانِي إن مِتُّ في دِرْعٍ أَرَوَى *

- ١٥ رَمَلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ أَيْضًا . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثانی ثقيل عن حبش —
 قال إبراهيم بن المهدي في الخبر : فَرَفَعَتِ الْجَارِيَةُ رَأْسَهَا إِلَى فَقَالَتْ : أَتَعْرِفُ
 بُرْعُرْوَةً ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بُرْعُرْوَةٌ ، ثُمَّ سَقَتْنِي حَتَّى رَوَيْتُ ، وَقَالَتْ :
 إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ تُعِيدَهُ فَفَعَلْتُ ، فَطَرِبْتُ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لِأُحِلِّنَ قَرَبَةً إِلَى رَحْلِكَ ! .
 فقلت : أَفْعَلِي ، فَفَعَلْتُ وَجَاءَتْ مَعِيَ تَحْمِلُهَا . فَلَمَّا رَأَيْتِ الْجَيْشَ وَالْخَدَمَ فَرِزْتُ . فقلت

٢٠ (١) كداء بأعلى مكة عند المحصب . (٢) برقة خاخ : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها : لا بأس عليك ! وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبسها عندي ، ثم صرت إلى الرشيد
فخذه حديثها ، فأمر بآبتياءها وعثقتها ، فما برحت حتى آشرتي وأعتقت ، وأخذت
لها منه صلة وأفترقنا .

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا محمد
ابن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال :

حواره مع المأمون
حين استعطفه
بكلام سعيد بن
العاص لمعاوية

لما أدخل إبراهيم بن المهدي علي المأمون وقد ظفر به ، كلمه إبراهيم بكلام كان
سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه واستعطفه به .
وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال له المأمون : ديهات يا إبراهيم ! هذا كلام سبقك به
فحل بن العاص بن أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخاطب به معاوية . فقال له
إبراهيم : مه يا أمير المؤمنين ؟ ! وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فحل بن حرب
وقارحهم إلى العفو ، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية ، فإنك
أشرف منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية ، وإن أعظم
الهنجئة أن تسبق أمية هاشما إلى مكرمة . فقال : صدقت يا عم ، وقد عفوت عنك .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :
جري بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام على التنبذ ، فوجد عليه محمد .
فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاف فلم يقبلها ، فوجه إليه وصيفة مليحة مغنية
معها عود معمول من عود هندي ، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى
أخذت الصنعة وأحكمتها ، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له :
عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يحمل لك — وأندفعت تغني بالشعر وهو — :
هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هجرك لي فأنكشفت

غضب عليه الأمين
فاستعطفه

٢٠

(١) في ب ، س : « فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها
في الكلام . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « عند » .

وإن كنت تُنكر شيئاً جرى * فهَبْ للخلافة ما قد سَلَفَ
وَجُدْ لي بصفحك عن زَلَّتِي * فبالفضل يأخذ أهل الشرف
قال: فُسِّرَ محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
وتمَّ يومه معه .

٥ أخبرني محمد بن حَلَف بن المرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي
قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال :
كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف، وكان لها من نفسه موضع .
ففسدها جواريه على محلها منه، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره . حتى غَضِبَ عليها وجفاها
أياماً، ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها . فدخل عليه
الأعرابي أخو مُعلِّلة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسن الشعر حلو اللفظ
فصيحاً، وكان إبراهيم يأنس به، فقال له : مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟
فأمسك . فقال : قد عرفتُ حال الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته
أيها . فتبسَّم وقال : هاتِ ، فأنشده :

أَعْتَبْتُ أُمَّ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ * وَعِتَابُ مِثْلِكَ مِثْلُهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِباً * فِيهَا وَأَنْتَ بِجَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنَّ الصَّرِيحَةَ لَا يَنْوُءُ بِحَمْلِهَا * إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صدوف فخرجت
إليه ورضى عنها، وبعثت إليه صدوف بمائة دينار .

٢٠ أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال
حدثتني رَيْقُ قالت :
قيل له تب واحرق
دفاقر الغناء فقال
ريق تحفظ كل
غنائي

مَرَضَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ، بِفِعْلِ يَتَذَكَّرُ شَغْفَهُ بِالْغِنَاءِ وَمَا سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَيَتَنَدَّمُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فَتُبْ وَأَحْرِقْ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ . فَخَرَّكَ رَأْسُهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مَجَانِينَ ! فَهَبْنِي أَحْرِقْ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَيْقُ أَيْشٍ أَعْمَلُ بِهَا ؟ أَقْتُلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُبَرَّدُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ الْبَيْعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ :

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ النَّاسُ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِخْسًا ! وَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَدِيدَ الانْحِرَافِ عَنْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَحَدَّثَ
الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
قَالَ : فَشَيْنَا حَتَّى جِئْنَا قَنْطَرَةً فَذَهَبَ يَتَقَدَّمُنِي لِعُبُورِهَا ؛ فَأَمْسَكْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ
رَجُلٌ تَدْعِي هَذَا الْأَمْرَ بَامْرَأَةٍ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ! فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ بِلَاغَةً
كَمَا يُوصَفُ عَنْهُ . فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : مَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ سَلَامًا
سَلَامًا . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَابَكَ أَبْلَغَ جَوَابٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : عَرَّفَكَ
أَنَّكَ جَاهِلٌ لَا يُجَاوِبُ مِثْلَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .
فَنَجَّيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ : لَبِيتَنِي لَمْ أَحْدِثْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

أَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَفْضَلُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قُلْتُ لِلْأَمِينِ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ : بَلْ جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ؛ فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا عَمَّ لَا تُعْظِمُهُ فَإِنَّ لِي عَمْرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛

تَمَنَّى لَهُ الْأَمِينُ طَوْلَ
الْعَمْرِ

فحياتي مع الأحبة أطيّب من تجرّعي فقدّمهم ، وليس يضرّني عيش من عاش
بعدي منهم .

حدّثني بحظّة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدّثني أبي قال :
كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيّه ؛ فغنّيته :

غنى للأمين لحنا
فطرب وطاب إليه
أن يلقنّه إحدى
جواريه ، وقصة
ذلك

صوت

أَفَوْتُ منازلُ بالهَضابِ * من آل هند والربابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا * وإذا وَنَتْ ذُلَّ الزَّكَابِ
تَرْجِي الحَصَا بِمَنَاسِمِ * صُمَّ صَلَادِمَةُ صَلَابِ

قال : فاستحسن اللّحن وسألني عن صانعه ؛ فعرّفته أن ابن جامع حدّثني عن سيّاط
أنه لأبن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزّه ، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك . ووافاني رسوله
حين أنذبت من النوم وأنا أسنّك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي باعِمٌ لا تَسْتَغِلُّ بعد
الصلاة بشيء غير الركوب الى . فصليّت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً
من رجوع رسوله ، وركبتُ إليه . فلما رأني من بعيد صاح بي : يا عمّ بحياتي :
* خطّارة بزمامها *

٦٦
٩

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنّيته ؛ فأمر باحضار صبيّة كان يتحقّاها ، فأخرجت إلى
صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عمّ ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو
يشرب ؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنّته ، فإذا هو قد استوى لها
إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته ، وكان
حقيقاً منّي بذلك ، فلم يقع لها البتّة . ورأى جهدي في أمرها وتعدّره عليها ، فأقبل عليها

(١) ذال : جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نفييت من الرشيد وكل أمة لي حرة وعلى عهد الله لن تأخذه
 في المرة الثالثة لأمرن بالقائك في دجلة ! قال : ودجلة تطفح وبنينا وبيننا نحو ذراعين
 وذلك في الربيع ، فأنملت القصبة ، فاذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله
 أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغص عليه يومه وأشرك في دمها ، فعدلت عما
 كنت أغنييه عليه وتركته ما كنت أقوله ، وغنيته كما كانت هي تقوله ، وجعلت
 أردده حتى أنقضت ثلاث مرات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني
 أجهد ، فلما أنقضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها .
 فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين ، رددته معها ثلاث مرات ، فطابت نفسه
 وسكن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . قال بحظّة : وقد لحقني مثل هذا ، فإن طرخان^(١)
 ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته وهو :

حدث بمحظة
 مع طرخان
 ما حدث له هو مع
 الأمين

أعياني الشادن الربيب * أكتب أشكو فلا يجيب
 من أين أبني شفاء دائي * وإنما دائي الطبيب

— ولحنه رمل — فقال : أحب أن تطرحه على زهرة جاريته ، فكنت أردد
 إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصانني ويخلع عليّ ويعطيني كل شيء حسن
 يكون في مجلسه ، فلا تأخذه مني ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيها الأمير
 قد والله استحييت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه
 زهرة ، ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمنك عليها لقلته
 أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه
 حيلة . فقال لي : فدعه إذا .

(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه في صلة تاريخ الطبري ص ٦٣) .

فسي بحضرة
المأمون لئلا أراد
ابن بسخر أن
يأخذه عنه فضله

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن
بسخر قال :

عني إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون :

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرّحل ذي الأساع والجلس

أما النهار فانت تقطعه * رتكا وتصبح مثل ما تسمى

— في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس والحشامي . قال : ولم بعد فيه

ثقل أول ، وقد نسب قوم لحن كلّ واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث

ابن بسخر في الخبر : والحن لمالك بن أبي السّمح وهو من قيصاره ، هكذا في الخبر —

قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبت أخذه ، ففطن لي إبراهيم بفعل يزيد فيه مرةً وينقص

منه أخرى بزوائد التي كان يعملها في الغناء ، وعلمت ما هو يصنع فتركته . فلما قام

قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليّ :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

قال : أفعل . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألق عليّ محمد :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فالتفاه عليّ كما كان يغنيه مُغيّراً ، ثم أنقضي المجلس وسكر المأمون . فقال لي إبراهيم :

قم الآن فانت أحدى الناس به ، نخرجت وخرج ، ثم جئت الى منزله فقلت له :

ما في الأرض أعجب منك ! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل عليّ

وليّ لك مثلي لا يُفانرك بالغناء ولا يكثر بك بصوت ! فقال لي : يا محمد ما في الدنيا

أضعف عقلاً منك ! والله ما أستبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي ، ولكنه

سمع من هذا الجرم شيئاً فقدّه من سواه فأستبقاني لذلك . فغاضني فعله . فلما دخلت

٦٧
٩

٥

١٠

١٥

٢٠

على المأمون حدّثته بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة !
وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدر على أبي إسحاق عَقَوْنَا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدع
هذا الصوت الذي ضَنَّ به عليك الى لعنة الله .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويّه قال حدّثني
محمد بن يزيد قال :

قال يينا بكيد به
لدعبل

قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * إذا حُسِبُوا يوماً وثامنهم كلبُ
فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مرّ حشاً الله قبره ناراً إبراهيم بن المهديّ ،
كافأني بذلك عن هجائي إياه لِيُشِيطَ بدمي ^(١) .

أخبرني محمد بن مزّيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن الحارث
ابن بُسْخَر قال :

خطأ تخارفا في لحن
غناه للمأمون ثم
لقنه إياه على وجهه

لَمَّا رَضِيَ المأمون عن إبراهيم بن المهديّ وناداه ، دخل عليه متبذلاً
في ثياب المغنّين وزيّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عَمِّي ثيابَ الكِبَرِ عن منْكبيه .
فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن يُخلَع عليه فَأُلِيسَ الخَلَع . ثم أبتدأ تخارق فغنيّ :

صوت

خِليّ من كَعْبٍ أَلَمَّا هُدَيْتُمَا * بزَيْنَبَ لَا يَفْقِدُكُمَا أَبَدًا كَعْبُ
من اليوم زُورَاها فَإِنَّ مَطِينًا * غَدَاةً غَدِ عَنْهَا وعن أهلها نُكَبُ ^(٢)

فقال له إبراهيم : أسأت وأخطأت . فقال له المأمون : يا عمّ إن كان أساء وأخطأ
فأحسن أنت . فغنى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أعدّه الآن ، فأعاده
فأحسن . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : ما غلات ، واحدها أنكب ونكباء .

قال : ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارق ثم قال : إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاسخ ، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه ، فإذا نُفِصَ ، عاد إلى جوهره .

أخبرني جعفر بن قدامة^(١) قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي^(٢) قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدي يحدث قال :

سأله الرشيد عن
أحسن الأسماء
وأسمجها فأجابته

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرافة من حرافاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السودقانية ، والمدادون يمدون السفن ، والشطرنج بيني وبينه ، والدست متوجه له ، إذ أطرق هنيئة ثم قال : لي : يا بن أم ، ما أحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أى شئ بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسمى الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزجرتي ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : بشؤم هذا الاسم لقي من ثمود ما لقي وطرح في النار . قال : إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا جرم أنه لم يعمر من أجله . قال : إبراهيم الإمام ؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن توليد خلع ، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل ، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيت والله أحدا يسمى

(١) في ب ، س : « جعفر بن محمد بن قدامة » . وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح

أذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) في بعض الأصول هكذا : « في جراب النورة »

وفي بعضها : « في جراب النورة » وكلاهما تحريف . والمذكور في كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن

علي بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو في سجن بحران ، وقيل : إنه مات

بالطاعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وحران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام

والروم . (انظر تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت في الكلام على « حران ») .

بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رأيتُه مضروباً أو مقدوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بأخر: مُدَّ يا إبراهيم يا عاصَّ بَطْرُأمَه مُدَّ . فقلت له : أبقَ لك شيء بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحك والله حتى أشفقت عليه .

٥ حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
دَخَلَ ابْنُ سَهْلٍ عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَشْرَبُ فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِلَّا شَرِبْتَ مَعِيَ قَدَحًا ، وَصَبَّ لَهُ مِنْ نَبِيذِهِ قَدَحًا . فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ : مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَغْنِيَكَ ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : غَنَّهُ يَاعَمُّ ، فغناه :
* تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفْتُ *

غنى للمأمون الحسن
عرض فيه بالحسن
ابن سهل

١٠ يَعْرِضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالْأَخْتِلَاطِ . فغضب المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أنه سيوقع به ، ثم قال له : أَيْبَتَ إِلَّا كَفَرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعْمِهِ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ دَمَكَ غَيْرُهُ ! وَلَقَدْ أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتُ فَعَلًا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَخَفُّهُ أَنْ تَعْرِضَ بِهِ وَلَا تَدَّعِ كَيْدَكَ وَلَا دَعْلَكَ !
أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ! . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
١٥ لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ ؛ فَأَعْرِضْ عَنْهُ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَنْحَى عَنْ أَبِي قَالَ :

غنى للمعتصم الحسن
وسمعه أحمد بن
أبي دواد قال للغناء
بعد أن كان ينجبه

كُنْتُ أَتَجَنَّبُ الْغِنَاءَ وَأُطْعِنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَذْمُ لَمَجْهَمٍ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : الْحَقُّ بِي ، فَلَحِقْتُ بِهِ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ وَمَعِيَ غُلَامِي زَنْقُطَةُ ، فَوَجَدْتَهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْهُ صَوْتًا أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي

من يدي ولم أشعر به ، ثم أحتججت وقد أعتق بي برذوني أن أكَفَّهُ بسوطي .
فقلت لغلامي : هات سوطك ؛ فقال : سقط والله من يدي لما سمعتُ هذا
الغناء . فغلبني الضحك حتى بان في وجهي . ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال . فلما
رأني قال لي : ما يُضحكك يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا
في السماع ؟ فقلت له : قبل ذلك من كان يُغنيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغنيني :
إن هذا الطويل من آل حفص * أنشأ المجد بعد ما كانت . مانا

ثم قال : أعدّه يا عمّ ليسمعه أبو عبد الله فلا في أعلم أنه لا يدعُ مذهبه . فقلت : بلى
والله لأدعنه في هذا ولا لمتك عليه . فقال : أما إذ كانت توبته على يدك يا عمّ
فلقد فزت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

فضله يحارق على
نفسه وعلى إبراهيم
الموصلى وابن جامع

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال
حدثني الحسين بن إبراهيم قال :

كنت أسأل مخارقاً : أى الناس أحسن غناءً ؟ فيجيبني جواباً بجملاً حتى حلفت
عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلى أحسن غناءً من ابن جامع بعشر طبقات ،
وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصلى بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسن
غناءً مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسن الناس غناءً أحسنهم صوتاً ،
وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبك هذا .

سمع إسماعيل الموصلى
صوتاً من لحنه
وشعره فطرب له
واستعاده عامة
يومه وقصة ذلك

حدثني علي بن هارون المنتجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال
سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني قال :

(١) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « إذا » وهو تحريف . (٢) في ب ، س : « الحسين
ابن إبراهيم بن رباح » وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه . (٣) يقال حفه القوم وبه وحواليه
إذا أهدقوا به وأطافوا وعكفوا ، فله يريدها هنا حتى أهدقت به مضيقاً عليه بالحوار . (٤) كذا
في الطبري (ق ٣ ض ١٣٧٩ ، ١٤٠٧ ، ١٥١٤) وفي الأصول : « الجرجاني » وهو تحريف .

انتهت يوماً مغسلاً، فدخل إلى الغلام فقال لي: إسحاق الموصلي^(١) بالبواب قبل
 أنت أصليّ الغداة. فقلت: يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل
 فقال: حملني الشوق إليك على أن بكرتُ هذا البكور، وقد حملتُ معي نبيذى
 وعملتُ على المقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طباخي فسألته
 عما في المطبخ، فذكر أشياء يسيرة، منها قطعة جدي وطبايح^(٢) ودُرَّاج^(٣) معلّق. فقال:
 ما أريد غير ذلك، هات الساعة. فقلت للطباخ: عجّل بإحضاره، وعملتُ على الأكل
 معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجي فقال: رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم
 بالبواب، وإذا فرائق^(٤) يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليُحضّره. قال فقال لي
 إسحاق: قم في حفظ الله وأجتهِد في أن نتعجّل. قال: فتقدّمت إلى الخادم بإخراج
 الجوارى إليه ووضّعت النبيذ بين يديه، وليست ثيابي ونرجعت وركبت. فلما
 سرت قليلاً قلت في نفسي: أنا أخسر الناس صفقة إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم
 الموصلي في منزلي ومضيتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المصمعي، ولا أدري ما يريد مني.
 فقلت لفرائق: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي
 فتقول: إنك وجدتي شارب دواء. قال نعم. فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً، وختمتُ له
 ختماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرعت الكرة، فأخبرته بما صنعتُ، فقال وفّقت.
 فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. وخرج الجوارى الينا فغنين
 حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو:

جَدَّدَ الحُبُّ بَلَايَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرَا

(١) الطبايح: الكباب. (فارسي معرب). والدراج: ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصمعي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والواثق، وهو من أرباب
 المكانة العالية في الرواية والأدب ونقد الغناء. (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للباحظ ص ٣١).

— رَحْلُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي — قَالَ : فَطَرِبَ إِسْحَاقُ طَرَبًا مَارَأَيْتُهُ طَرِبَ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَعَجِبَ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي صَنْعَتِهِ وَجُودَةِ قِسْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ صَوْتَنَا يَوْمَنَا أَجْمَعَ لَا نَغْنَى غَيْرَهُ حَتَّى شَرِبَ إِسْحَاقُ قَطْرَ مِيزِهِ ^(١) ، وَفِيهِ مِنَ الْمَشْمُسِ الَّذِي كَانَ يَشْرِبُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَطْلًا ، وَكُلَّهَا حَضَرَتْ صَلَاةٌ قَامَ إِسْحَاقُ يَصَلِّي بِنَا ، فَصَلَّى بِنَا الْعَتَمَةَ وَقَدْ فَنِيَ قَطْرَ مِيزِهِ فَشَرِبَ مِنْ نَبِيذِي رِطْلَيْنِ عَلَى الصَّوْتِ . قَالَ : وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ يَنْزِلُ بِسُوقِ الثَّلَاثَاءِ وَإِسْحَاقُ يَنْزِلُ عَلَى نَهْرِ الْمَهْدِيِّ . وَقَدْ وَزَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ لِلتَّوَكُّلِ قَبْلَ عِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى .

نسبة هذا الصوت

٧٠
٩

جَدَّدَ الْحَبُّ بِأَلَايَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرًا
كَثِيرَ الْحَبِّ وَقَدَمًا * كَانَ إِذَا حُلَّ صَغِيرًا
ذَلَّلَ الْحَبُّ رِقَابًا ^(٢) * كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيرًا
لَيْسَ لِي مِنْ حَبِّ الْفَنَى * غَيْرُ حَرَمَانِي السُّرُورَا

الشَّعْرُ وَالْفَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى قَالَ :

أحب جارية عند
بعض أهله وقال
فيها شعرا

اسْتَتَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَوَكَّلَتْ بِخِدْمَتِهِ جَارِيَةً جَمِيلَةً وَقَالَتْ لَهَا : إِنْ أَرَادَكَ لَشَيْءٍ فَطَاوَعِيهِ وَأَعْلِمِيهِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَسَّعَ لَهُ ، فَكَانَتْ تُؤْفِيهِ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْإِعْظَامِ وَلَا تُعَلِّمُهُ بِمَا قَالَتْ لَهَا ، فَجَلَّ مَقْدَارُهَا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ قَبَّلَ يَوْمًا يَدَهَا ، فَقَبَّلَتْ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ :

يَا غَزَا لِي إِلَيْهِ * شَافِعٌ مِنْ مُقَلَّتِيهِ ^(٣)

(١) القطر ميز : قلة كبيرة من الزجاج ، فارسي معرب . (٢) كذا في ج ولعله يعني به نبذا من الأنبة صنع في الشمس . وفي أ ، م : « المشمش » . وفي ب ، س : « المشمش » . (٣) في أ ، م : « ملك » .

١٠

١٥

٢٠

والذى أجلتُ خَدَّ * يَهْ فَقَبَّلْتُ يَدَيْهِ

بأبى وجهك ما أكر * ثر حُسادى عليه

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّ * يَفْ إحسانٌ إليه

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً فى طريقة المنزج .

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غنى إبراهيم بن المهديّ يوماً والمأمون مُضْطَبِّحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ منى * هوى الدهرُ بى عنها وولّى بها عنى

فرّق له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد

أمير المؤمنين ، فطَبْ نفساً ؛ فإن الله قد أمّنك إلا أن تُحدِثَ حَدَثاً يشهد عليك فيه

عدلٌ ، وأرجو ألا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

غنى للمأمون بشعره
وكان يخشى بطشه
فرّق له وأمنه

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ منى * هوى الدهرُ بى عنها وولّى بها عنى

فإن أبك نفسك أبك نفساً نفيسة * وإن أحسبها أحسبها على ضنّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ ثانياً ثقيلاً بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم

ابن المهديّ لما أخرج الجند عيسى بن محمد ابن أخى خالد من الحبس ، وله فى ذلك

خبر طويل ، وقد شرّطنا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء .

وفى هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القواد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهديّ فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعة

ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسـه لحياة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ،

١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ — ١٠٣٤) .

وَأَفَاتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيعَةً * حَلَّاتٍ بِهَا مُلْكِي وَقُلَّتْ بِهَا سِنِي
 قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ الْخَصِيبِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
 غَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَأَحْسَنَ ، وَبِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ كَاتِبٌ لَطَاهِرٌ
 يُكْنَى أَبُو زَيْدٍ ، فَطَرِبَ حَتَّى وَثَبَ فَاخَذَ طَرَفَ ثَوْبِ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ
 مُنْكَرًا لِفَعْلِهِ . فَقَالَ مَا تَنْظُرُ ! أَقْبَلَهُ وَاللَّهِ وَلَوْ قُتِلْتُ عَلَيْهِ ! فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : أَيْتَ
 إِلَّا ظَرْفًا .

١١
 ٩

قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ :
 اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ، فَأَرَادَ الْحَسَنُ أَنْ
 يَضَعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ أَيُّ صَوْتٍ تَغْنِيهِ الْعَرَبُ أَحْسَنُ ؟ يَرِيدُ
 بِذَلِكَ أَنْ يُشَهِّرَ إِبْرَاهِيمَ بِالْغَنَاءِ وَالْعِلْمِ بِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بَدَتْ الْأَعْشَى :

* تَسْمَعُ لِلْحَيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

أَيُّ إِنَّكَ مُوسُوسٌ ، وَكَانَ بِالْحَسَنِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمِ قَالَ :

غَنَّتْ مُغْنِيَّةٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ حَاضِرٌ :

* مَنْ رَأَى نُوقًا غَدَتْ سَحَابًا *

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا رَأَيْتُ هَذَا . قِيلَ لَهُ : وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ
 وَلَدَ عَلِيٍّ بْنِ رَيْطَةَ يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّيْدِ .

سمعه رومية
 أعجبه فبكت
 نائرا من صوته

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَتَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
 بَعْضُ السَّكَّابِ عَنْ رَيْقٍ قَالَتْ :

خرجتُ يوما الى سيدي (عني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في :
 وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترى * فسواك بائعها وأنت المشتري
 وإذا صنعت صنعةً أتممتها * بيسدين ليس نذاهما بمكدر
 وجاريته لنا روميةٌ أعجميةٌ لا تُفصح في أقصى الدار تكنس ، وهو يطرح الصوت
 على شارية ، والأعجمية تبكي أحرباء سمعته قط ، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر
 إليها حتى سكّت ، فلما سكّت قطع البكاء ، فعلمتُ أن هذا من غلبته بحسن صوته
 لكل طبع فصيحٍ وأعجمي .

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكيّ وابن أبي الأزر عن حماد بن إسحاق
 عن أبيه قال :

غنى الأمين
 صوتا فأجازه

غنى إبراهيم بن المهديّ ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أرضه في شعر لأبي نواس وهو :

يا كثير النوح في الدّمن * لا عليها بل على السّكن
 سُنّة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستكين
 ظنّ بي من قد كلفْتُ به * فهو يحفوني على الظّن
 رشاً لولا ملاحظته * خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أجرتني
 الى هذه الغاية بعشرين ألف درهم ، فقال : هل هي إلا خراج بعض الكور ! . هكذا
 ذكر إسحاق . وقد روى محمد بن الحارث بن بسّخر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال :
 لما أردتُ الانصراف قال : أوقروا زورق عمي دنائير ، فأنصرفتُ بمال جليل .

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن أهله
 قال قال إبراهيم بن المهديّ - وقد خرج إلى ذكر الطّبل والإيقاع به - فقال إبراهيم :

كان يحسن
 الإيقاع على الطبل
 والنساي

(١) في ب ، س : «دينار» . (٢) في ب ، س : «بعشرين ألف ألف درهم هل هي الخ» .

هو من الآلات التي لا يجوز أن تُبلغ نهايتها، فقليل له: وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك؟ فقال: لأنَّ عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدَّ من أن يَلْحَقَ اليسارَ فيه نَقْصٌ عَنِ اليمين، ودعا بالطَّبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظنُّ أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خلواته: يا عمَّ أشتى أن أراك تَرمُرُ. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعتُ على فمى نايًا قط ولا أَضَعُهُ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدي — حتى تَنفُخَ في النَّاي وأمرَ يدي عليه. فأحضرتُ ووضعتُ النَّايَ على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مرَّ الهواءَ أمرَّ أصابعه، فأجمع سائرُ من حضرَ على أنه لم يسمع مثله قط.

$\frac{٧٢}{٩}$

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال، حدثني عبيد الله ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالاً:

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه:

هل تَطْمِسُونَ من السماء مُجُومَهَا * بأَكْفَمٍ أو تَسْتُرُونَ هَلالَهَا

فبلغ الى قوله:

* جبريلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا *

هَزَّ حَلَقَهُ فِيهِ وَرَجَّعَهُ تَرْجِيحاً تَتَرَلَزَلُ مِنْهُ الْأَرْضُ.

أخبرني محمد بن إبراهيم قُريظ قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال:

غنت منمى الهشامية
لحنا فاخسلس
إيقاعه منها

كانت مَتَمِّمُ الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر، فتغنَّتْ مَتَمِّمٌ في الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ:

* لَزِينَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ *

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيدَه . فقالت مَتَمِّ للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يَهْتَعِدُنِي
الصوتَ وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيدِه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم
حاضراً يجلس المعتصم وكانت مَتَمِّ غائبةً عنه ، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومَتَمِّ
في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في مَنْظَرَةٍ لها مُشْرِفَةٌ على الطريق وهي تَطْرَحُ
هذا الصوتَ على بعض جَوَارِي بنى هاشم ، فتقدم إلى المَنْظَرَةِ على دابته وتطاول
حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المَنْظَرَةِ بِمِقْرَعَتِهِ وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكَ .

نسبة هذا الصوت

لَزَيْنَبَ طَيْفٍ تَعْتَرِي طَوَارِقُهُ * هُدُوءاً إِذَا النِّجْمُ أَرْجَحَتْ لَوَاحِقُهُ^(١)
سَيِّبِكَ مِرْنَانَ الْعَشِيِّ يُجِيئُهُ * لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ مَرَّافِقُهُ^(٢)
إِذَا مَا يَسَاطُ اللَّهُوْ مُدَّ وَقُرْبَتْ * لِذَاتِهِ أُنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ^(٣)
الشعر للنميري . والغناء لمعبد ، ولحنه من القَدَرِ الأوسط من النِّقِلِ الأول بالبصرة
في مجراها عن إسحاق . وفيه لَمَّا لك خفيفٌ ثَقِيلٌ أول بالبصرة عن يونس والحِشامِي .
أخبرني علي بن هارون قال حَدَّثَنِي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان محمد بن موسى المَنْجَمُ يقول : حَكَمْتُ أَنَّ إبراهيم بن المهدي أحسن الناس
كلهم غناءً ببرهان ، وذلك أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ يجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يعني
المغنون ويعني ، فإذا أبتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب
الصناعات والمِهَن الصِّغار واليُكَّار أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَقُرْبَ مِنْ أَقْرَبِ مَوْضِعٍ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ ، فَلَا يَزَالُ مُضْغِيّاً إِلَيْهِ لَاهِياً عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغْنِي ، حتى إذا
أَمْسَكَ وَتَغَنَّى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا كَانُوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا يَسْمَعُونَ .

برهان محمد بن موسى
المنجم على أنه
أحسن الناس غناءً

(١) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، ويقال : سحابة
مرنان وقوس مرنان ، أي كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم
وهو من لاجم لعظامه . (٤) نسب هذا البيت في الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانه أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبائع — مع اختلافها وتسعّب طرقها — على الميل إليه والانقياد له .

كانت له أشياء لم
يكن لأحد مثلها

٧٣

٩

حدّثني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال :

قلت للعصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلاً . فقال : وما هي ؟ قلت :

شارية وزايرتها معمرة . فقال : أمّا شارية فعندنا ، فما فعلت الزامرة ؟ قلت : ماتت .

قال : وماذا ؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أظرف

منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة كانت تحمل رطباً

طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : بجرّتها بعد وفاته . قال : وماذا ؟

قلت : قدح الضحضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله تجمى فيه

أبو حرمة فسألته أن يهبه لي ففعل ، ووجهت به إلى منزلي فغسل ونظف وأعيد

إلى خزانتي ، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أيترع ضحضاحي دماً بعد ما غدت * على به مكنونة مئزراً نمرأ

فإن كنت مني أو تحب مسرقي * فلا تغفلن قبل الصباح له كسراً

فأنهت فزراً وما فرق الصبح حتى كسرته .

كتب إليه إسحاق
الموصلي فأجابه

فأمّا المأظلة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرف .

ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له ، وعذره

فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل

العبّاس بن أحمد بن ثوبان رحمه الله بخط إسحاق في قرطاس — وأنا أعرف خطه —

وجواب لإبراهيم بن المهديّ في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه ؛ لأنه لو كان خط

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المأظلة :

المخاضة والمنازعة . (٤) في الأصول : « عذر » من غير هاء الضمير .

كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أقول الكتاب فذهب به أول
الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنْتَ — جُعِلْتُ فداءك — كتبتَ في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك

مولاي وسيدى . فتى دَفَعْتُ ذلك ! وهل لى نخرٌ غيره ! أو لأحدٍ على وعلى أبى رحمه الله

من قبل نعمة سواكم ! . وأُحِبُّ ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يَنْتَلِيَنِي

الله بذلك إن شاء الله . فأما ذِكْرُكَ — جُعِلْتُ فداءك — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أنى

لم أُنْخِذَ ما نحن فيه صنعةً قط ، وأنى لم أُرِدْهَا إلّا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم

وإليكم . فليس ينبغى أن يعينى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينى به إذ كان

لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعنى من علويه ومُخَارِقِ بحيث وضعتنى إلّا لِفَضْصِ

أُحْوَجَكَ الى ذلك ، وإلّا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لى لآثرتُ تعجيل الراحة

منهما بعثتهما أو تخليصة سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حمداً أكتسبه بثنهما ،

فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرننى إليهما وتذكرنى معهما ! . أو تلومنى

الآن على أن أنخرس فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،

وأمتعض منه أمتعاضك ممن يُخْفِى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ

فداءك — الآن سبأى وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لى —

جعلتُ فداءك — أدباً وزدتنى بصيرةً فيما أُحِبُّ من تركه وترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرارٌ من المجبة وتعريدٌ عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وبصرت إلى ما أحببت ؛ وإلّا فانه لا ينبغى للفر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا فى ١ ، م . وفى سائر النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » . (٤) فى الأصول : « تقرننى » وهو محريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العينَ فيه حتى يلحقه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي — رحمه الله — من أنه لم يزل يَتَنَبَّأُ أن يرى من سادته مَنْ يَعْرِفُه، قَدَرَه حقَّ معرفته ويبلِّغُ علمه بهذه الصَّنَاعَةِ الغَايَةِ العَظْمَى حتى رآكَ، فقد صدَّق، ما زال يَتَنَبَّأُ ذلك وما زلتُ أتمنَّاهُ. فهل رأيت — جُعِلْتُ فِدَاكَ — حَظِي مِنْهُ إِلَّا بَانَ ^(١) ساوِيَتَ به من لم يكن يساوي شِئْئَه، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تفضِّله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصُّحْبَةِ والخِدْمَةِ، ولا حفظُ لآثَارِ محمودَةٍ باقية نذكرها ونحتجُّ بها. ثم ها أنا من بعده تَضَعُنِي بالموضع الذي تَضَعُنِي به، وتَنَسِّبُنِي إلى ما تنسبُنِي إليه؛ لأنِّي تَوَخَّيْتُ الصَّوَابَ واجْتَهَدْتُ في البَدَلِ والمُنَاصَحَةِ، لا يدفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، ولا صِيَانَةُ نَخْلَفٍ ^(٢)، ولا أَسْتَدَامَةُ لِقَدِيمٍ مانِعِلٍ، ولا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، ولا ولاء مما أكره أن أقوله. فما أرى — جُعِلْتُ فِدَاكَ — من معرفتك بما في أيدينا إِلَّا تَجَرَّعَ الحَسَرَاتِ، وتَطَلَّبَكَ لَنَا العَثَرَاتِ، وآلَهُ المستعان. كيف أصنع جُعِلْتُ فِدَاكَ! إن سَكَتُ لم تقبل ذلك مني، وإن صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وإن كَذَّبْتُ ظَفِرْتَ بِي، وإن مَزَحْتُ لأَطْرِبَكَ وأُضْحِكَكَ وأَقْرُبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيْبِي من كرمك غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، ولو كُنْتُ قَرِيباً مِنْكَ لَضَرَبْتَ! وليتَكَ فَعَلْتَ، فكان ذلك أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندى أَمْرُكَ إِيَّايَ أن أسأل محمد ابن واضح عن قول قُلْتَهُ فيَّ عند عمرو بن بَانَةَ. فوالله — جُعِلْتُ فِدَاكَ — إني لأُبْشِعُ ^(٣) بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذَكِّرَ له! وإني لأرئى لك من النَّظَرِ إليه، وأَعْجَب من صبرك عليه، مع أني — أعوذ بالله من ذلك — لو رَغِبْتُ في هذا منه ومن مثله لكفَيْتُكَ ونَفْسِي ذلك بأن أَكُوسَهُ ثوبين، أو أَهَبَ لَهُ دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبليغ أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسِي. فالحمدُ لله الذي جعل

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو بحر بضميم.
(٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعاً.

(١) كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدى ، فتي دفعت ذلك ! وهل لي نخر غيره ! أو لأحد على وعلى أبي رحمه الله

من قبلي نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتليني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جُعِلْتُ فِدَاكَ — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأنا أنا المسكين فانت تعلم أني لم ألتزم ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أركبها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يعينني ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان

لكم . وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب ١٠ أحوجك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة

منهما بعقهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حمداً أكسبه بثنهما ، فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرنني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني

الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،

وأمتعض منه أمتاضك ممن يخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ ١٥

فدائك — الآن سبأى وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لي —

جعلت فدائك — أدباً وزدتني بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعريد^(٦) عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا في أ ، م . وفي سائر

النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا في الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .

(٤) في الأصول : « تقرنني » وهو تحريف . (٥) كذا في الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العَيْنَ فيه حتى يَلْحَقَه ما يَكْرَهُ منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يَتَمَنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُه، قَدَرَه حقَّ معرفته ويُلِّغَ علمُه بهذه الصَّنَاعَةِ العَظِيمَةَ العَظِيمَةَ حتى رَأَىكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَمَنَّى ذلك وما زِلْتُ أَتَمَنَّاهُ. فهل رَأَيْتَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - حَظِّي مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ سَاوَيْتَ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَسَاوِي شُيُوعَهُ، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تَفْضُلَهُ عَلَيْهِ، لا تَنْفَعُهُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةُ بِهِ، ولا رِعَايَةُ لَطُولِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حِفْظُ لَأَنَارٍ مَحْمُودَةٍ بَاقِيَةٍ نَذَرَهَا وَنَحْتَجُّ بِهَا. ثم ها أَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي بِهِ، وَتَنْسُبُنِي إِلَى مَا تَنْسُبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصُّوَابَ وَأَجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِيَانَةُ خَلَفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءٌ مِمَّا أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَهُ. فَمَا أَرَى - جُعِلْتُ فِدَاكَ - مِنْ مَعْرِفَتِكَ بِمَا فِي أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرُّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطْلُبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كَيْفَ أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَلِمْتَ بِي، وَإِنْ مَرَحْتُ لِأَطْرِيكَ وَأُصْحِكَكَ وَأَقْرَبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيبِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْكَ لَضَرَبْتُ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندي أمرُكَ لِيَأَيَّ أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ عَنْ قَوْلِ قُلْتَهُ فِي عِنْدَ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ. فَوَاللَّهِ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - لِيَنِ لِأَبْشَعٍ بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أَحَبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! لِيَنِ لِأُرْثِي لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبَ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - لَوْ رَغِبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكَفَيْتُكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بِأَنْ أَكُفُّهُ ثَوْبَيْنِ، أَوْ أَهَبَّ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرُ مَا أُرِدْتُ لِي أَوْ أُرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو متحرر بضم الفاء.
(٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالامر: ضاق به ذرعا.

حظي منك هذا! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقل قليل حسن رأيك . والله
 ليسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلني فداك. قد طال الكتاب، وكثر
 العتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللذين لا أخاف أن أجعلهما
 عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب
 تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقتر به، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد
 لك به من أحببت وأؤذى الحراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا أنكسر، فهات
 — جعلت فداك — وأوف وأستوف فانك واجد صحة وأستقامة إن شاء الله . مد الله
 في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قبلاً، وجعلني من كل سوء فداك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

١٠ ... وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك .
 فإما أن أتكم من وراءك بشيء تستنقله متعمداً، فما أنا إذا بجر ولا كريم، معاذ الله
 من ذلك! . ولئن جمعت وإياك وعلى بن هشام مجلساً لأستشهدته على أشياء لم أذكرها
 لك، ولم أكتب بها إليك، لإجلالاً لقدّر حالك عندي من اعتداد به مثل ذلك مني،
 وأنت عنه غافل، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تبيحك على ما تشتهي آتاك
 الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكرًا . وأما الفوائد التي وعدت ورودها
 علينا فإني لو اتقيت أنك لا تفيديني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدني فيه فطناً أجيد فتفتشه
 وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه،
 فأما غيرك فالهباء المنثور . ويا رأس المشنعين تقول إني غيرتك بالصناعة ثم تحبج
 بحدوك في تحريف الأقوال رأيتك ساب الجبج، لتفهم خصمك، وتعلي محبتك،

٧٥
٩

- ٢٠ (١) كذا في الأصول ولعلها : « وجملة ما عندي الإعظام والإجلال اللذان اطلع » .
 (٢) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسماعيل .
 (٣) كذا في ج وفي سائر الأصول « المغنين » .

- فكيف أعيبك بما جئت إليك ، وما أنا داخل فيه معك ! لا ! ولكني قلت لك : إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك ، إنما أنا رجل من مواليك متوسل إليك بما يسرك ، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه ، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته ، لا بالحيلة والآنفة والحيلة لترد الحق بالباطل . هذا معنى قولي ، وقد استشهدت عليك فيه
- أبا جعفر ، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي . والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرد علي ، فتتبع ما فيه وخدني به . فلممرى لئن كنت قرئتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبت غير رأيي ، ولا جهلت غير نفسي . ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه ، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة ، فيكفيني عابك بما
- عندي ، وإلا فانت إذا بي أجهل متى بك . وقلت : « تذكركني معهما » فقد ذكر الله النار مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليس مع آدم ، فلم يئن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس ، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي ، وأستمع بي وأمتنعني بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيت واحدا مستوحشا ، ولم تجد غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك ، وإن علم أكثر منك لم يشنك ، وإن أهمته كافاك ، وإن استفهمت شفاك . لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك ، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك ؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هي لك دوني ، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئا حتى أسمع بنعيمهما ، ولا أراهما حتى أراهما ميتين ، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام . وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك ، وإتاهما صبيعتاك وحريرا
- (١) في ب ، س : « عندك لم تزد علي » . (٢) خصمه يخصمه (بكسر الصاد في المضارع) : غلبه في الخصومة ، وكسر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب . (٣) يريد مخارقا وعلويه ، كما سيأتي في السياق .

تأديبك وإن كانا غير طائل ، فلو أعرضت عن أنتفاصهما ورفعت ما رفع الله من
 قدّك^١ عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بحلّك وخطرك ومكانك .
 وكذلك الذي تريئني له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أحبُّ لك في أدبك
 وفضلك ودينك ومحلك أن تُشهر نفسك لهما بهذا ومثله ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك .
 أقول يعلم الله في ذلك لا لهما^(١) . وإن ذلك ، لو صرت إليه ، لأجل بك وأجل لقدرك
 وإن كنت تتخوّلها به . ولو أردت ذلك ، وإن زهدت فيه ، لم تَضَع نفسك ومحلك
 مع غلمانٍ أحداثٍ يبسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
 لكنت أعظم في عيونهم من بعض موالهم الذين تولّوا منهم . هذا رأي لك بما
 هو أكبر لأمرك وأشبه بحلّك . والله ما غششتك ولا أوطأتك عشواء ، فأختر لنفسك
 ما رأيت . ولا والله لا سمعاً بهذا أبداً ولا بما قلته في إلّا خزيًا حتى يموتا ، ولا أردت^{١٠}
 — يشهد الله — بهذا غيرك . وأما من ذكرت أني أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو
 لا يساوي شسعه فإنك عنيت ابن جامع . وأنت لا تدخل بني وبين أبي إسحاق رضى
 الله عنه ، ولا أظنك والله أشدّ حباً له مني ، ولا كان لك أشدّ حباً منه لي ، فقد تعلم
 كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابن جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضمنت^{١٠}
 أن تُصِفني لأكلمتك فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أكلمك في شيء حتى أثق بهذه
 منك ، وإلّا وسعني من السكوت ما وسعك . ومن العجب الذي لم أر مثله والمكابرة^(٢)
 التي لا يشبهها شيء أعتداؤك عليّ في التجزئة حيث تقول :

حييا أم يعمرا * قبل تخط من النوى

(١) كذا في الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لهما » .

(٢) في ج ، ب ، س : « حتى » .

يا أخو حبيب نفسي فأَنْظِرْ كم في هذا من العيوب!! قولك : «يا» ليكون مثل «شَحِطَ» في الوزن، أَيْكون مثل هذا في الكلام! وقولك في الجزء الثاني «حَى» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «يا» المشددة أربع ياءات، وفي «حَى» التي عطفت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حيّا»! . والناس في هذا يبنون وينك بهائم، فمن أَسْتَعِدَى عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في :

* حَيَّيَا أُمَّ يَعْمرَا *

غير ما جرأتُ أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكني تجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفا؛ كقولك «أم يعمرًا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قبلًا» فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو مَنْ يصبر لك على هذا! وإنما أردتُ أنا ما يجوز بخنئ بجزية واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخى تنفس على الصواب فيما لا تقيصة عليك فيه ولا عيب، ثم آتخذت قَمَحْدَى إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمدا عن قولى فيك بظهر الغيب، ذنبًا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأني أعلمتك أن أحدًا تنقصك فحيمت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي يَمُنُّ بهذا، ولكنى كنتُ إذا تحدثت مع محمد خاليًا كلمته بمثل ما أكلمك به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من يُحْتَشِمُ كان كلامي بما يجب أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لى: أى شىء هذا الذى أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأئس. فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنى لا أريد بما أنازعك فيه شيئًا يزيع عما تعرف منى، وأنى أذكرك

(١) فى ج، ب، س: «حتى». (٢) فى الأصول: «من». (٣) فى الأصول: «يجب».

بما يُشبهك في موضعه . فلو آتقت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرفه هذا بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيرته قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبته مني ظالماً لي . وذلك لأنني لم أنازلك إلا منازعة مناظرٍ يُحب أن يعرف حسنَ قصه وثاقبَ نظره .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليّ؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ . فلا تظلمني ولا نفسك لي . ومن بعدُ فإنني أحبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني، لا غمك الله ولا غمّي بك . ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طبيب أنحى عبيد الله فإنه رفيقٌ مباركٌ عليم، وهو منك قريب في دار الروم، فأخذت برأيه ومن علاجه . وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

ولما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابه على طولها، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات، وينحو إبراهيم نحوه ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعد كل واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما — فوجدتُ كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطوقه — فيها تحاملٌ على إسحاق شديد، وحكاياتٌ ينسب من نقلها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، ففعلتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذكرٌ له يفضل به . وذلك بعيدٌ وقوعه، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزيل

الخطأ الصواب، ولا الخطل السداد . وكفى من نضح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم ابن المهدي لا يكاد يُعرف منها صوت ولا يُروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطرح، وحمل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع آقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله . فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلى، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل^(١)، فاستبدت ذلك وأطرحته، واعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خبر مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التحامل، فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريقه وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره .



ومن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحدا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها . وكان يقال : ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته . وأخبارها تُذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها . فنصنعها :

صوت

تضحك عما لو سقت منه شفا * من أقحوان بله قطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا * حلو بعيني كل كهل وقى
إن فؤادي لا تسليه الرقى * لو كان عنها صاحبا لقد صحّا
الشعر لأبي النجم العجل . والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوسطى .

(١) في هذه الجملة غموض . ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل » أو نحو ذلك .

أخبار أبي النجم ونسبه

قال أبو عمرو الشَّيباني : اسمه المُفَضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل
ابن قُدَّامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس
ابن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لحيم بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة .
ابن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المُقدِّمين وفي الطبقة الأولى منهم .

أصله ونسبه ، وهو
في الطبقة الأولى
من الرجاز

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَّاب الجُمَحِيُّ إجازةً عن محمد بن سَلَّام وذكر
ذلك الأصمعيّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العلاء :
كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج .

هو أبلغ في النعت
من العجاج

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِيُّ قال حدثني الفضل
ابن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال :
ما زالت الشعراء تَغْلِبُ^(١) حتى قال أبو النجم :
١٠

انصف مع الرجاز
من الشعراء
٧٨
٩

* الحمد لله الوهُوبِ المُجَزَّلِ *

وقال العجاج :

١٥ * قد جبر الدين الإلهُ بَقَبَرِ *

وقال رُؤبة :

* وقائم الأعماق خاوي الخُتْرِقِ^(٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا في ج . وفي سائر النسخ : « تقصر الرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : الممر .

أعظمه رؤية
وقام له عن مكانه

ووجدت في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال :
قال له فتیان من عجل : هذا رؤية بالمربد ^(١) يجلس فيسمع شعره ويُنشد الناس
ويجتمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوتجئون هذا ؟
قالوا نعم . قال : فأتوني بعس من نبيذ فأتوه به ، فشربه ثم نهض وقال :
إذا أصطبحت أربعا عرفتني * ثم تجمست الذي جشمتني
فلما رآه رؤية أعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رجاز العرب . وسألوه أن
يُنشدهم فأنشدهم :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

وكان إذا أنشد أزد ووحش بيا به (أى رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشادا .
فلما فرغ منها قال رؤية : هذه أم الرجز . ثم قال : يا أبا النجم ، قد قربت مرعاها
إذ جعلتها بين رجل وآبئه . يؤهم عليه رؤية أنه حيث قال :
تبقلت من أول التبقيل ^(٢) * بين رماحي مالك ونهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم . فقال له أبو النجم :
هيمات ! الكمر تشابه ^(٤) . أى إني إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة
ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصمان ^(٥)

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها
الناس ، وبه كانت مقانرات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) تبقلت : خرجت لطلب البقل . (٤) الكمر : جمع كمر ، وهى رأس الذكر . يريد
أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلا ، ولفظه «الكمر أشباه الكمر» . (٥) الصمان :

أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها فيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربت العرب جميعا .
وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني يربوع ، والدهناء لجماعتهم ، والصمان مناخم
للدهناء . والعرض : الوادى .

وعرض الدهناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماءً كانت بين بني دَارِم وبني نَهْشَل وحروباً في بلادهم ، فتحامى جميعهم الرُّعَى فيما بين فُلج^(١) والصَّيَّان مخافة أن يعرفوا بشرَّ حتى عفا كَأَوْه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحَيَّين ، ففخر به أبو النِّجْم . قال : ويدلُّ على ذلك قول الفرزدق :

أترتع بالأحياء سعد بن مالك * وقد قتلوا مثنى بطنه واحد^(٤)
فلم يبق بين الحى سعد بن مالك * ولا نهشل إلا دماءُ الأسود^(٥)

وقال الأصمعي : قيل لبعض رُواة العرب : مَنْ أَرْجَزُ النَّاسِ؟ قال : بنو عجل ثم بنو سعد رأى بعض الرواة ترتيب الرجاز في

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي :
كان رؤبته وأبو النِّجْم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النِّجْم
يتسرع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه . كان يتسرع إلى رؤبة فيكفَّه عنه المسمعي

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشَّيباني قال حدثني بعض البصريين منهم
أبو بَرَّة المَرْتَدِي — قال وكان عالماً راويةً — قال : ناجر العجاج حتى هرب منه

نرج العجاج متحفلاً عليه جبة نخر وعمامة نخر على ناقه له قد أجاد رحلها حتى
وقف بالمربد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :
* قد جبر الدين الإلهُ جَبَرَ *

(١) فلج : علم على عدة مواضع . (٢) يعرفوا : يصابوا . وفي الأصول : « يغفروا »
بالتين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عفا : كثر . (٤) الظنة : التهمة .
(٥) الأسود : شيوخ القتل ، وهو جمع الجمع للسواد ؛ ومنه قول الأعشى :
تناهيت عن وفد كان فيكم * أسود صرعى لم يسود قتلها
(٦) متحفلاً : مزينا .

٧٩
٩

فذكر فيها ربيعة وهجاءهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالس وهذا العجاج يهيجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس !! قال : صنف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغني جملاً طحاًناً قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجل إليه . فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها وأترز بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فأنطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال : آخلع خطامه نخلمه ، وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانه أننى وشيطاني ذكر *

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

غلب الشعراء
عند عبد الملك بن
مروان أو سليمان
ابن عبد الملك
وظفرته بجارية

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزرهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق ، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تدب عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في نخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته (يعنون بالرجز) ، قال : فإنني لا أقول إلا قصيدة . فقال من ليلته قصيدته التي نخر فيها وهي :

* علق الهوى بجبال الشعثاء *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشدوه، حتى إذا بلغ إلى قوله :
 مِنَّا الَّذِي رُبِعَ الْجِيُوشَ لظَهْرِهِ ^(١) * عشرون وهو يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ
 فقال له عبد الملك : قِفْ ، إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فَلَا تُرِيدُ مَا وَرَاءَهُ .
 فقال الفرزدق : وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْهُ سِتَّةَ عَشَرَ ، وَمَنْ وَلَدَ وَلَدَهُ أَرْبَعَةَ كُلُّهُمْ قَدْ رُبِعَ .
 فقال عبد الملك أوسليمان : وَلَدَ وَلَدِهِ هُمُ وَلَدُهُ ، إِدْفَعْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ يَا غَلامَ . قال :
 فغلبهم يومئذ .

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبتُ
 له أربعة ، ودفع إليه الجارية ، فقدم بها البادية فكان بينه وبين أدله شرٌّ من أجلها .
 وقال أبو عمرو :

بعث الجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْيِ
 ١٠ من الهند بيض ، فجعل يَهْبُ لأهل البيت كما هو للزجل من قريش ومن وجوه
 الناس ، حتى بقيت جارية منهم جميلةٌ كان يَدْرَحُهَا وعليها ثيابُ أرضها فوطئها .
 فقال لأبي النّجْم : هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم
 أصلحك الله ! فقال العُريَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّسَبيّ : كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .
 فقال أبو النّجْم :

وصف جارية
 لخالد بن عبد الله
 القسري لساعته
 فوهبها له

١٥

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ ^(٢) * ذَاتَ جِهَازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ ^(٤)
 رَأَيْي الْمَجَسَّ جَيِّدِ الْحَوِّطِ * كَأَنَّمَا قُطِّطَ عَلَى مِقْطِ ^(٣)
 إِذَا بَدَأَ مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي ^(٥) * كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِ

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند القلبة ، واسم هذا النصيب

المرباع . (٢) الزط : جيل أسود من السند . (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة .

(٤) ملط : مستور ، من ألت الشيء إذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشق .

شَطَا رَمِيتَ فَوْقَهُ بَشَطٌ * لَمْ يَنْزُ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَحِطَّ^(١)
فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَذَى التَّمَطَّى * كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ التَّنَطَّى^(٢)

وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ . فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ : كَيْفَ تَرَى !
أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُرَوِّىَ فِيهَا يَا عُرْيَانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ :
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(٣) عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ فُلَيْحٍ
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ :

وَرَدَ أَبُو النَّجْمِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ هِشَامٌ : صَبُّوا لِي
إِبْلًا فَقَطَّرُوهَا وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَأَنْشَدُوهُ وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّجْمِ :
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّوبِ الْمُجْزِلِ *

غضب عليه هشام
ثم سمر معه ليلة
فرضى عنه

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ ... » وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « الْأَحُولِ »
ثُمَّ ذَكَرَ حَوْلَةَ هِشَامٍ فَلَمْ يُتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْبَعٌ عَلَيْهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : أَجْرُ الْبَيْتِ . فَقَالَ
« كَعَيْنِ الْأَحُولِ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ . فَأَمَرَ هِشَامٌ فُوجِيَّ عُنُقِهِ^(٤) وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ،
وَقَالَ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! . فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ
الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْرَهُ فَفَعَلَ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فُضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ .
وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ قَالَ أَبُو النَّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سُلَيْمٌ بْنُ كَيْسَانَ
الْكَلْبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ بَسْطَامِ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَانَتْ آتِي سُلَيْمًا فَاتَّقَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا
فَاتَّقَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَبْدَتْ فِيهِ . قَالَ : فَأَهَمَّتْ هِشَامَ لَيْلَةٌ وَأَمْسَى لَقَسَ النَّفْسَ

(١) الشط : جانب السنام . (٢) التظ : الخفيف اللحية . (٣) يروي : يتروى ويفكر .

(٤) في أ ، م : « المغيرة بن محمد » . (٥) فطر الابل : قرب بعضها من بعض على نسق .

(٦) في ب ، س : « بوج ، عنقه وإخراجه » . يقال رجأه باليد وبالسكين إذا صر به .

- وأراد محدثنا محدثه ، فقال لخادم له : ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروى الشعر .
 فخرج الخادم الى المسجد فإذا هو بأبي النّجم ، فضر به برجله وقال له : قم أجب
 أمير المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك ابغني ، فهل تروى الشعر ؟
 قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ،
 ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع^٥
 بين يديه ترهّر . فلما دخل قال له هشام : أبو النّجم ؟ ! قال : نعم يا أمير المؤمنين
 طريدك . قال : أجلس . فسأله وقال له : أين كنت تأوى ومن كان يترك ؟ فأخبره
 الخبر . قال : وكيف أجمع لك ؟ قال : كنت أتغدى عند هذا وأعشى عند هذا .
 قال : وأين كنت تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لك
 من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبنتي^{١٠}
 يقال له شيبان . فقال : هل زوجت من بناتك أحدا ؟ قال : نعم زوجت اثنتين ،
 وبقيت واحدة تجوز في أبياتنا كأنها نعامه . قال : وما وصيت به الأول ؟ — وكانت
 تسمى « برة » بالراء — فقال :

- أوصيت من برة قلباً حراً * بالكلب خيراً والحمة شراً
 لا تسألي ضرباً لها وجراً * حت ترى حلوا الحياة مرّاً
 وإن كستك ذهباً ودراً * والحي عميهم بشر طراً
 فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال قلت :
 سبي الحمة وأبهي^(٤) عليها * وإن دنت فأزدلني إليها
 وأوجعي بالفهر ركبتيها^(٥) * ومرفقيها وأضربي جنبتيها

- ٢٠ (١) زهر السراج : ثلاثاً . (٢) في ح ، ب ، س : « أخرجت » . (٣) جز :
 عدا وأسرع . (٤) بهته : قلذه بالباطل . وهي هنا على تضمين ابهي معنى افترى عليها فتعدى بعلى .
 (٥) الفهر : الحجر بطلا الكف .

ر وظاهري النذر لها عليها * لا تُخْرِى الدهر به آبتنَّها
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه . فقال : ويحك ! ما هذه
وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال قلت :

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب * أوصيك أن تحمدي القرائب
والجار والضيف الكريم الساعب * لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاه^(١)ب * منهن في وجه الحماة كاتب
* والزوج إن الزوج بئس الصاح^١ ، *

٨١
٩

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال
قلت فيها :

كأن ظلامه أخت شيان * يتيمه والداها حيان
الرأس قل كلّه وصبيان^(٢) * وليس في الساقين إلا خيطان
* تلك التي يفزع منها الشيطان *

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكك ، وقال للخصي : كم بقي من نفقتك ؟
قال : ثلثائة دينار . قال : أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامه مكان الخيطين .

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النجم
أن أبا النجم قال :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ الى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما
غلوة^(٣) أو نحوها . قال : وكان أسرع الناس بديه^٢ة .

كان أسرع الناس
بديهية

(١) السلاه : الطويلة . (٢) الصبيان : جمع مؤنث وهي بيضة القمل .

(٣) الغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثائة ذراع الى أربعمائة .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا
عمر الأسود النوحشاني^(١) قال :

سئل الأصمعي
أي الرجز أحسن
وأجود فقال
رجز أبي النجم

مرّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أيّ الرّجز أحسن وأجود؟
قال : رَجَزُ أَبِي النَّجْمِ .

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
دخلنا، أبو النّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له
هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : لآني لأنظر إليهن شزراً وينظرن إلى نحرّنا .

سأله هشام بن
عبد الملك عن رأيه
في النساء فأجابه

فوهب له جارية وقال له : أغدّ عليّ فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه .
فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدّرتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك

أبياتاً . ثم أنشده :

نظرتُ فأعجبها الذي في درعها * من حُسْنِه ونظرتُ في سِرِّها
فراحتُ لها كفلاً يميل بحضرها * وعشاً^(٢) روادفُه وأجتمَ^(٣) جانيها
ورأيتُ منتشِرَ العجانِ مقلّصاً * رخواً مفاصله وجِلداً باليا
أدنى له الرّكبُ الحليقُ كأنما * أدنى إليه عقارباً وأفاعيا
إنّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فأعلمن * لو قد صبرْتُك للوأيّ خاليا
ما بالُ رأسك من ورأى طالِعاً * أظننتُ أنّ حرّ الفتاة ورائيا
فأذهب فإنّك ميتٌ لا تُرجى * أبداً أبدياً ولو عمّرت لياليا

١٥

(١) كذا في الأصول . ولم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرقة
عن « النوشجاني » نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشز : النظر بجانب العين في إعراض . والخزر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه .
وتسكين الزاى في الخزر لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .
(٥) العجان : القضيب الممدود من الخصىة إلى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

٢٠

أَنْتِ الْغَرُورُ إِذَا خُبِرْتَ وَرَبِّمَا * كَانِ الْغَرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا
لَكِنْ أَيْرَى لَا يُرَجَى نَفْعُهُ * حَتَّى أَعُودَ أَخَا فَتَاءٍ نَاشِيَا
فَضِيحِكَ هَشَامُ وَأَمْرُهُ بِجَائِزَةٍ أُخْرَى .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قال ابنُ كُكَّاسَةَ :

حدث هشام بن
عبد الملك عن نفسه
فاضحك

قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم : يا أبا النجم حدثني . قال : عني أو عن
غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كبرتُ عَرَضَ لِي الْبَوْلُ ، فَوَضَعْتُ عِنْدَ
رَجُلٍ شَيْئًا أَبُولُ فِيهِ . فَقَمْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ ، فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ فَتَشَدَّدْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ آخَرَ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فَرَاثِي ، فَقُلْتُ : يَا أُمُّ الْخِيَارِ هَلْ سَمِعْتِ شَيْئًا ؟
فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ! فَضِيحِكَ . قال : وَأُمُّ الْخِيَارِ الَّتِي يَعْنِي بِقَوْلِهِ :

٨٢
٩

قَدْ أَصْبَحْتُ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبِ كُلِّهِ لَمْ أَصْنَعْ
وَهِيَ أَرْجُوزَةٌ طَوِيلَةٌ .

ذكر فتاة في شعره
فتزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ :

أَنْتِ مَوْلَاةُ ابْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَمَا النَّجْمُ فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ بَنَاتَهَا أَدْرَكْتُ مِنْذُ
سَنْتَيْنِ ، وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَمْدَهْنَ قَامَةً وَلَمْ يَخْطُبْهَا أَحَدٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتَهَا فِي الشَّعْرِ !
فَقَالَ : أَفْعَلُ ، فَمَا أَسْمُهَا ؟ قَالَتْ : نَفِيسَةٌ . فَقَالَ :

نَفِيسَ يَا قَتَالََةَ الْأَقْوَامِ * أَقْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكِ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامَ * لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ أَبُو هَشَامِ
سَاقَ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ * وَحِزْيَةَ الْإِهْوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى النَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ * إِذْ ضَاقَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة بفسرها البيت التالي .

أَجْتَمَّ جَاثٍ مُسْتَدِيرٌ حَامٍ * يَعْضُ فِي كَيْنٍ لَهُ تُؤَامُ^(١)
* عَضَّ النَّجَارَى عَلَى اللَّجَامِ^(٢) *

فَقَالَتْ : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! وَوَفَدَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِمِّعَ الزَّمْرِ وَالْجَلْبَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : نَفِيسَةٌ تَزَوَّجَتْ .

وصف فهود
عبد الملك بن بشر
ابن مروان
قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض
الرواة وحديثي ابن أخت أبي النجم :

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِأَبِي النَّجْمِ : صِفْ لِي فَهُودِي هَذِهِ . فَقَالَ :

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَثَرَاتٍ * بَيْنَ الْحَمِيرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
فِي لَحْمٍ وَحَسٍّ وَحَبَارِيَّاتٍ * وَإِنَّا أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ^(٣)
جَاءَ مُطِيعًا لِمُطَاوَعَاتٍ * عَلَّمَنَّا أَوْ قَدْ كُنَّا عَالِمَاتِ
فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرِفَاتٍ * تُرِيكَ أَمَاقًا مَخْطُطَاتِ

١٠

ونسخت من كتاب الخزاز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح
الحجاج بن جرجير يقول فيه :
مدح الحجاج بن جرجير
وطلب إليه واديا
في بلاده

وَيْلَ أُمِّ دُورٍ عِزَّةً وَنَجْدٍ * دُورٍ تَقِيْفٍ بِسَوَاءِ نَجْدٍ
* أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْخِيُولِ الْجُرْدِ *

فَأَعْجَبَ الْحَجَّاجَ رَجَزُهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ تُقْطَعُنِي ذَا الْجَبَنِينَ . فَوَجَمَ لَهَا
وَسَكَتْ ، ثُمَّ دَمَا كَاتِبَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ ذَا الْجَبَنِينَ مَا هُوَ ! فَإِنْ ذَا الْأَعْرَابِيِّ سَأَلْنِيهِ لَعَلَّهُ
نَهَرَ مِنْ أَنْهَارِ الْعِرَاقِ . فَسَأَلُوا عَنْهُ فَقِيلَ : وَادٍ فِي بِلَادِ بَنِي عَجَلٍ أَعْلَاهُ حَشْفَةٌ^(٤) وَأَسْفَلُهُ
سَبَخَةٌ يَخَاصِمُهُ فِيهِ بَنُو عَمٍّ لَهُ . فَقَالَ : أَكْتُبُوا لَهُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْلُهُ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

٢٠ (١) الكين : لحم باطن الفرج . (٢) لم نعرعل هذه النسبة في مظانها . ولعله يريد به فرسا
كريم النجار . (٣) حباريات : مفردة حبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاءة والحق .
(٤) الحشفة : صخرة رخوة في سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات تزولج .

أخطأ في أشياء
أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ :
أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله :

وهي على عذّب روى المنهل * دحل أبي المرقال خير الأدحل
* من تحت عاد في الزمان الأول *

قال الأصمعيّ : الدحل لا تُورده الإبل إنما تُورده الرّكايا ^(١) . وقد عيب بهذا وعيب
بقوله في البيت الذي يليه : إنّ هذا الدحل من تحت عاد . قال : والدحلان لا تُحفر
ولا تُنحت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصيبها الشمس ، فتبقى فيها
المياه ؛ وهي هوة في الأرض يضيق فيها ثم يتسع فيدخل ماء السماء .

قال الأصمعيّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبه :

* تسبح أخراه ويطفو أوله *

قال الأصمعيّ : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبّح أخراه كان حمار الكساح أسرع
منه . قال الأصمعيّ : وحدثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما .
ولمّا يوصف الجواد بأنه تسبّح أولاه وتلحق رجلاه . قال : وخير عدو الذكور
أن تُسرف ، وخير عدو الإناث أن تُبسّط ^(٢) وتصنّى كعدو الذئب .

(١) الركايا : جميع ركية وهي البر . (٢) تصنّى : تميل .

أخبارُ عَلِيَّةَ بنتِ المهديّ ونسبها وتنفُّ من أحاديثها

عَلِيَّةُ بنتُ المهديّ أمُّها أُمٌ ولد مُغْنِيَّةٌ يقال لها مَكْنُونَةٌ، كانت من جوارى المروانيَّةِ المغنِّيَّةِ .

أمها مكنونة أم ولد
اشترت للمهدي
في حياة أبيه

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن
أبن القَدَّاح حَدَّثَهُ قال :^(١)

كانت مكنونة جارية المروانية - وليست من آل مروان بن الحكم،
هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس - مغنِّيةٌ، وكانت
أحسنَ جاريةً بالمدينة وجهًا، وكانت رَشَاءً^(٢)، وكان بعض من يمازحها يعبثُ بها
فيصيح : طَسْتُ طَسْتُ^(٣) . وكانت حَسَنَةَ الصدر والبطن ، فكانت تُوضِعُ بهما
وتقول : ولكن هذا ! . فاشترَيْتُ للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغَلَبْتُ عليه^(٤) ،
حتى كانت الخيزران تقول : ما ملكَ امرأةٌ أَعْلَظَ عليَّ منها . وأسترا أمرها عن
المنصور حتى مات ، فولدت له عَلِيَّةَ بنتَ المهديّ .

أخبرني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن محمد التَّوْفَلِيّ عن عمِّه قال :

بعض صفاتها

كانت عَلِيَّةُ بنتُ المهديّ من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشَّعْرَ الجيِّدَ
وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلٌ سَعَةٍ حتى^(٥)
تسمع ، فأتَّخَذَتِ العصائبَ المكَلَّلَةَ بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثتُ والله شيئاً
ما رأيتُ فيما أبَدَعَتْهُ النساءُ وأحدَثَتْهُ أحسنَ منه .

(١) في ١ ، م : « أبا القداح » . (٢) الرشاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) لعل المراد تشبيهها في استواء عجزها مع ظهرها ونغذيها باستواء قعر الطست . (٤) في ب ، م :

« ويكفى هذا » . (٥) في ١ ، م : « تسفح » (بتشديد الفاء) . وفي ح : « تسج » .

٢ . عبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : « وكان في جبهتها سعة تشين وجهها » .

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قالوا حدثنا حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت حسنة الدين
ولا تشرب ولا تغني
إلا أيام حيضها

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلتذ بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه . وكانت تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأي شيء يحتاج عاصيه والمنتهك لحرماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله ابن العباس بن الفضل بن الربيع يقول :

لم يجتمع في الإسلام
أخ وأخت أحسن
غناء منها ومن أعيانها

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تُقدّم عليه .

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليّة تحب أن ترأسل بالأشعار من تحتضه ، فأختصت خادماً يقال له « طَلّ » من خدام الرشيد، فكانت ترأسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشت على ميزاب وحديثه وقالت في ذلك :

كانت تحب
المكاتبة بالشعر
وكأبت طلالاً
فتعها الرشيد

٨٤
٩

قد كان ما كلفته زمناً * يا طَلُّ من وجد بكم يكفى

حتى أتيتك زائراً عجلاً * أمشي على خفيف إلى خفيف

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلالاً ولا تسميه باسمه، فضممت له ذلك . وأستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَصْبِرْهَا ^(١)

٢٠

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ١ ، م : « تريد » وهي محرفة عن « تدبر » بالذال بمعنى تقرأ .

وَأَيْلُ فَطَلَّ ﴿١﴾ وأرادت أن تقول : «فَطَلَّ» فقالت : فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين .
فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلًّا ، ولا أَمْنَعُكِ بعد هذا من شيء
تريدينه . ولها في طَلٍّ هذا عدة أشعار فيها لها صنعة . منها :

صوت

- ٥ ياربِّ إني قد غَرَضْتُ^(١) بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا رَبَّاهُ
مولاة سَوَّءٍ تستهين بعبدِها * نِعَمَ الغلامُ وبئستِ المولاةُ
«طَلَّ» ولكنِّي حُرِمْتُ نعيمه * ووصاله إن لم يُغْنِنِي الله
يا ربِّ إن كانت حياتي هكذا * ضراً على ما أريد حياه
الشعر والغناء له خفيفٌ ثقيلٌ مطلق في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابن خردادبه
أن الشعر والغناء لُنْبِيهِ الكوفي ، وأنه هوى جارية تُغْنِي ، فتعلم الغناء من أجلها وقال
١٠ الشعر ، ولم يزل يتوصَّل إليها بذلك حتى صار مُقَدِّماً في المغنين ، وأن هذا الشعر له
فيها والصنعة أيضا .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ
ابن عمير عن أبيه قال : حجب عنها طل
فقال فيه شعرا
وصحفت اسمه

- ١٥ حُجِبَ طَلٌّ عن عُلَيَّةَ فقالت وصحفتِ اسمه في أول بيت :
أيا سَرَوَةَ^(٢) البستان طال تشوقى * فهل لي إلى ظِلِّ لَدَيْكَ سبيلُ
متى يلتقى مَنْ ليس يُقَضَى خروجه * وليس لمن يهوى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُرْبَةٍ لنا * فيلقَى آغْتَباطًا خَلَّةً وخليلاً

(١) غرضت بهجرها أى ضجرت . وفي الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصخيف

(٢) السزرة : شجر حمن الهيئة قويم الساق ، وقد فسره صاحب القاموس العرعري .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . كذا ذكر ميمون بن هارون ،
وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رمل بالوسطى . وأول الصوت :

* متى يلتقى من ليس يقضى خروجه *

وذكر حبش أنه للهدلى خفيف رمل بالينصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال
حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال :

قالت عليّة في ظلّ وصحفت أسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلَمَ على ذاك الغزال * الأَغْدِ الحسَن الدَّلَالِ

سَلَمَ عليه وقُلْ له * يا غُلَّ ألباب الرجال

خَلَّيتَ جسمي ضاحياً * وسكنتَ في ظلِّ المَجَالِ^(١)

وبلغتَ مني غايةً * لم أدْرِ فيها ما أختيالِ

الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . وذكر غيره هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان
الشطرنجيّ : ١٥

أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له « رشأ » وتكنى عنه . فمن
شعرها فيه وكنت عنه بزئب : ١٥
٩

صوت

وَجَدَ الفؤادُ بزئباً * وَجَدًا نَدِيدًا مُتَعَبًا

أَصْبَحْتُ من كَلَفِي بها * أَدْعَى سَقِيًّا مُنْصَبًا^(٢)

(١) المجال : جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت . (٢) في ١ ، م : « سقياء » .

ولقد كَنَيْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
 وجعلتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا
 قالت وقد عَزَّ الوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
 والله لَا نَلَتْ المَوْدَةَ * أَوْ تَنَالَ الكَوْكَبَا

- هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشَّطْرَنَجِيِّ ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعره لأَبْنِ رُهَيْمَةَ المَدَنِيِّ . والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زَيْنَبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها ^(١) . والصحيح أَنَّ عُلَيَّةَ غَنَّتْ فيه لحنًا من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك أَبْنُ المَكِّيِّ عن أبيه، وأخبرني به ذُكَاءُ عن القاسم بن زُرْزُور .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمَاز قال ^(٢) .
 حدَّثني عُبَيْدُ اللَّهِ بن العَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قال :

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عُلَيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رِشَا بَزِينَبَ قَالَتْ :

صوت

- القلبُ مُشْتَأَقٌّ إِلَى رَبِّبَ * يَا رَبَّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ
 قَدْ تَيَمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ * إِلَّا الْبَكَاءَ يَا عَالِمَ الْغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شَعْرِي لِسْمَ الَّذِي * أَرَدْتُهُ كَالْخَبَاءِ فِي الْهَيْبِ

قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنْ طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ فَصَحَّحَتِ أَسْمَها فِي رَبِّبَ .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغاني من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبو الجمان » وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم « الحسين بن يحيى أبو الجمار » .

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ ، فَوَشَتْ بِعُلَيَّةَ إِلَى رِشَاءٍ وَحَكَّتْ
عنها ما لم تقل ، فقالت عُلَيَّةُ :

لَطُغْيَانُ خُفُّ مُدُّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَحَرَّقُ
وَكَيْفَ بَلَى خُفُّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الْهَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا حَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرَبًا * وَأَمَّا سَرَائِلَاتُهَا فَمَمَزَّقُ

قال : وحلفَ رِشَاءً أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيذَ سَنَةً ، فقالت :

صوت

(١)
قَدْ ثَبِتَ الْخُلَاتِمُ فِي خَنْصَرِي * إِذَا جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنَّبِيكِ
حَرَمْتُ شَرْبَ الرِّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا * فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أُعَاصِيكِ
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوْضَتِي * مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فَيْكِ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ * لَسْتُ بِهَا مَاعِشْتُ أَجْزِيكِ
يَا زَيْنَبًا قَدْ أَرَقْتُ مُقَلَّتِي * أَمْنَعْنِي اللَّهُ بِحَيْثُ

غَنَّتْ فِيهِ عَلِيَّةٌ هَزَجًا .

٨٦
٩

عني عقيد المعتصم
بشعر فسأل عنه
فقال محمد بن
إسماعيل إنه لما
ففضب وأعرض
منه

أخبرني بَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي

(٢)
الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي :

كُنْتُ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ مُحَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَقِيدٌ ، فَتَغَنَّى
عَقِيدٌ وَكُنْتُ أَضْرِبُ عَلَيْهِ :

صوت

نَامُ عُدَالِي وَلَسْمُ أَنْيَمٍ * وَأَشْتَبِي الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قُلْتُ بِي أَلَمٌ * شَكٌّ مِنْ أَهْوَاهِ فِي أَلَمِي

(١) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً . (٢) في ب ، س : « الحسين » .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطى وأت القوم أمسكوا عمدًا، ففُطِعَ بي^(١). وتبين حالي، فقال: لا ترع يا محمد، فإن نصيبك فيها مثل نصيبي. الغناء لعلية خفيف رمل. وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة، وإن الشعر لحالد الكاتب.

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال: °
كنا عند المتصر، فغننا بنانًا لحنًا من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل: °
غنى بنان للمتصر
بلحن لها في شعر
الرشد

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَنْزِلِ بِالسِّرِّ * وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ^(٢)
مَخْرُجِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلِنَا * لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْتَرِكِ

- ١٠ فضحككت. فقال لي: مِمَّ ضحككت؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، وشرف من عمل اللحن فيه، وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشد، والغناء لعلية بنت المهدي، وأمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.
حدثني إبراهيم بن محمد بن بكشة قال سمعت شيخًا يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: °
أخذت من إسحاق
لحنًا وغنته الرشد
ثم غناه هو لأمون
فمنعه
- عملت في أيام الرشد لحنًا وهو: °

صوت

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ نَبْهَى * بَعْدَ الْهَدَوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقِيَّةٍ * عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

(١) قطع بي: يريد سدت على مسالك القول. (٢) البرك: علم على عدة مواضع.

- قال : فأعجبني وعمِلْتُ على أن أباكر به الرّشيد . فلقيني في طريق خادمٍ لعلّة بنت المهدي ، فقال : مولائي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواربها غناءً أخذته عن أبيك وشكّكت فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت معدّة ، بجلستُ ، وقُدِّم لي طعامٌ وشرابٌ فبليت حاجتي منهما ، ثم خرج إلى خادم فقال لي : تقول لك مولائي : أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددت له مُحَدِّثٌ ، فاسمعيه ولك جائزة سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توحّيت ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغنيتهُ إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم زل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غناءً ما حرق سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أَرِ مثله . ١٠
- قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذتُ ؛ فأحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا تمنّيه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أنتغي به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطى الله عهداً لئن نطقتُ أنّ لك فيه صنعةً لاقتلتك ! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلى . فخرجتُ من عندها ووالله إنني لك الموقن بما أكره ١٥
- من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أوّل مجلس جلس له للهو بعدها ، فبدأتُ به أوّل ما غنيت . فتغيّر لون المأمون وقال : من أين لك وملك هذا ؟ ! قلت : وليّ الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدّثته الحديث . فقال : يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهّرتَه وذكرَ هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجّنتني فيه هُجْنَةً ودَدْتُ معها أني لم أذكره . فأليتُ ألا أغنيّه ٢٠
- (١) في ب، س : « ولما أبدأ بغناء غيره » . (٢) في أ، م : « ورواه إلى لا كاد الموت بما أكره الخ » .

بعدها أبدا . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النَّسائي ، وقيل : إنه لإسحاق .
ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّلِ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذلي ،
ولم يحصل ما قاله .

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال قال لي ينشئ المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال :

طارحت أخاها
إبراهيم الفناء
وسمعهما في مجلس
المأمون

كنت يوما عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عمّاي ، فجاء يأسر دخلة
فسأز المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فأنهض ، فنهض . فنظرتُ
إلى ستر قد رُفِعَ مما يلي دار الحُرَمِ ، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا أقلقني .
فنظر إلى المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد مالك تمل ؟ فقلت : إني سمعت
شيئا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمك إبراهيم :
* مالي أرى الأبصارَ بي جافية *

نسبةُ هذا الصوت .

صوت

مالي أرى الأبصارَ بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتَلَى * وإنما الناس مع العافية
صَحِيحِي سَلُّوا رَبِّكُمْ العافية * فقد دهنتي بعدكم داهية
صارَ مني بعدكم سيّدي * فالعين من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر
أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزموّم .

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشرًا المرثديّ قال قالت لي ربي :
كنتُ يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتُ إليه
خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءان وتحيّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما
قائمة والكأسان في أيديهما والتحيّتان بين أيديهما :

صوت

حيّا كما الله خَلِيْلًا * إن مِتّا كُنْ وإن حيّا

إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم * أو قلتما غيًّا فلا غيّا

فشربا . ثم دفعتُ إليهما رقعةً فإذا فيها : ”صنعتُ يا سيديّ أُخْتُكما هذا اللحنَ اليوم ،
وألقته على الجوّاري ، وأصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبثتُ من شرابي إليكما ومن
تحياتي وأحذقُ جواريّ لتغنيكما . هذا كما الله وسرّكما وأطاب عيشكما وعيشي بكما“ .

أخبرني عمي قال حدثني بنحو من هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني
إبراهيم بن أبي دُلف العجليّ قال :

تُكّما مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهديّ في حراقة بالجنب الغربيّ ،
وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حراقتيهما بالجنب الشرقيّ . فدعاهما في يوم
جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، على أفيّةٍ ومنطقةٍ . فلما دنونا من
حراقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضتُ بنهوضه صبيّة له يقال لها «غُضّة» وإذا في يديها
كأسان وفي يده كأس . فلما صعدا إليه آندفع فغنى :

(١) في ١ ، ٢ : « خلوي » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر
كان في موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أزل من حفر هذا النهر وبني على فوهته قصرا .
(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هذا الاسم في كتاب تزيين
الأسواق لداود الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله : « فغزمت على واسط
لأن لي بها صدقاً من الكتاب بحيث فرأيت زلالاً مهياً فطلبت الزول معهم فقالوا نملك بدرهمين ، ولكن
الزلال لها شئ لا يريد معه غريباً ، فزرى بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش :
« قوله زلالاً كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام » اهـ وانظر الكلام عليه في قاموس دروي .

أرسلت إلى الرشيد
ومنصور شرباً
مع خلوب وغنّتهما
بلحن لها

دعا إبراهيم بن
المهديّ إسحاق
وأبا دلف وغنّهم
جاريته لحناً لها

حَيَّاكُمَا اللهُ خَلِيلَيَا * إِنْ مَيِّتَا كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
إِنْ قَلْتُمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ ^(١) * أَوْ قَلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيَّا

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذى فى يد الجارية وقال :
هَلُمَّ نَشْرَبْ عَلَى رِيقِنَا قَدَحًا . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، وَوُضِعَ النَبِيدُ فَشْرَبْنَا ، وَغَنِيَاهُ
وَغَنَاهُمَا وَضَرَبَا مَعَهُ وَضَرَبَ مَعَهُمَا ، وَغَنَّتِ الصَّبِيَّةُ ، فَطَرِبَ أَبِي وَقَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ
أَحْسَنْتِ ! . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ نَحْنُذَهَا ، فَمَا أُخْرِجْتُهَا إِلَّا لَكَ .

شكت اليها أم جعفر
اقتطاع الرشيد
فقلت شعرا
وغنت به فرجع اليها

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هرقان قال :
أُهِدِيتُ إِلَى الرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَالِ ، نَحْلًا مَعَهَا يَوْمًا وَأُخْرِجَ كُلُّ قَبِيلَةٍ
فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالْخَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ
زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ
الْخَبَرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَغَلُظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عَلَيْهِ :
لَا يَهْوَلَنَّكَ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَا أُرَدُّنَهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزِمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْرًا وَأَصَوِّغَ فِيهِ لَحْنًا
وَأَطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ ، فَلَا تَبْقَ عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى وَالْبَيْسِينَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ
لِيَأْخُذَنَّ الصَّوْتَ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ
صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةٌ قَدْ حَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهَا ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ
حُجْرَتِهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرُ جَوَارِي الْقَصْرِ ، عَلَيْهِنَّ غِرَابُ
الْبِلَاسِ ، وَكُلِهِنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعَتْهُ عَلَيْهِ :

صوت

مَنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا * قَلْبِي عَنْهُ مَنْفَصِلٌ

يَا قَاطِطِي الْيَوْمَ لِمَنْ * نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

(١) كذا في ح . وفي أ ، م : « فأهلا له » . وفي ب ، س : « فغير لكم » .

(٢) كذا في الأصول . ويلاحظ أن الكأس مؤنثة .

فطرب أنرشيد وقام على رجله حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقيّ في بيت المال درهمًا إلا نثرته . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمع بمثل ذلك اليوم قط .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كانت عليّة تقول : من لم يُطربه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طبّاهجة باردة^(١) ولم يصطبج فعليه لعنة الله .

حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب : أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

صوت

تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحُبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
وَعَنَى إِبْرَاهِيمَ فِي صِنْعَتِهِ وَزَمَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ :

صوت

يَا وَاحِدَ الْحُبِّ مَا لِي مِنْكَ إِذْ كَلَفْتُ * نَفْسِي بِحَبِّكَ إِلَّا الْهَمُّ وَالْحَزَنُ
لَمْ يُنْسِنِكَ سُرُورٌ وَلَا حَزَنٌ * وَكَيْفَ لَا ! كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكَ الْحَسَنُ
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي * كُلِّي بِكَ لَكَ مَشْغُولٌ وَمُرْتَهَنٌ
نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ * حَتَّى تَكْمُلَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ
فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا قَطُّ ، وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أَسْمَعُ مِثْلَهُ أَبَدًا .

(١) الطباخة : ضرب من اللحم المقلّى .

تمارت خشف
وعريب في عدد
أصواتها بحضرة
المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعريب :

- رأيتُ في النوم كأتى سألتُ عُلَيَّةَ بنتَ المهديّ عن أغانيها فقالت لي : هي
نيفة وخمسون صوتاً . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر
عبد الله بن الربيع الرّبيعيّ قال حدّثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم
قال حدّثني خشف الواحِشِيَّة أنها تمارت هي وعريب في غناء عُلَيَّةَ بحضرة المتوكل .
أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتاً . فقالت عريب : هي آثنان
وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنياً غناءها ، فلم تزلّا تغنّيان غناءها حتى مضى
آثنان وسبعون صوتاً ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فُقطع بها وأستولت
عريب عليها وأنكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ فيما يرى النائم فقالت :
يا خشفُ خالفك عريبُ في غنائِي ! قلت : نعم ياسيدتي . قالت : الصواب معك ،
أفتدريين ما الصوتُ الذي أُنسيته ؟ قلت : لا والله ! ولوددتُ أني فدّيت ما جرى
بكلّ ما أملك . قالت هو :

صوت

- بني الحبُّ على الجَورِ فَلَوْ * أنصفَ المعشوقُ فيه لَسَمَجُ
ليس يُستَحَسَنُ في حكمِ الهوى * عاشقٌ يُحسنُ تأليفَ الجَجَجِ
لا تَعِينِ من مَحَبٍّ ذِلَّةً * ذِلَّةُ العاشقِ مِفْتَاحُ الفرجِ
وقليلُ الحبِّ صِرَافاً خالِصاً * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزَجُ
وكانّها قد أندفعت تغنّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّته ، ولقد زادت لي فيه أشياء
في نومي لم أكن أعرفها . فأنتهتُ وأنا لا أعقل فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ
له القصّة . فقالت عريب : هذا شيء صنعته أنتِ ليّا جري بالأمس ، وأما الصوت
فصحيح . فخلفتُ للخليفة بما رضى به أن القصّة كما حكّيتُ . فقال : رؤياك والله

عجب ، ورحم الله عليّة ! فما تركت ظرفها حيّة وميتة ، وأجازني جائزة سنيّة . ولعليّة في هذا الصوت أغنى :

* بُني الحب على الجوّ فلو *

لحنان : خفيف ثقيل وهزّج . وقيل إن الهزّج لغيرها .

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان^(١) قال حدثني بعض خدام السلطان عن مسرور الكبير ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان^(١) وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : سمع الرشيد لحنين لها من جاريته عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها وسمعهما منها ومدحهما

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركب حملاً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدام الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسّ به استقبله وقبّل رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قوم ثم مضوا ، ورأى عيداناً كثيرة ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : وَيْلَكَ ! أضدقني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما . فقال الرشيد لإحدهما : غني ، فغنت — وهذا كله من رواية محمد بن طاهر —

بُني الحبُّ على الجوّ فلو * أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يُستحسن في حكم الهوى * عاشقٌ يُحسن تأليف الجُحجُج
لا تعين من محبٍّ ذلّة * ذلّة العاشق مفتاح الفرّج
وقليل الحب صرفاً خالصاً * لك خير من كثير قد مُزج

فأحسنّت جدّاً ، فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر ؟ ما أمله ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا أعلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لست . قال : ومن ستك ؟ قالت : عليّة

أُخْتُ أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غنى ، فغنت :

صوت

تَحَبَّبُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
تَبَصَّرُ فَإِنَّ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى * نَجْمًا سَالِمًا فَارِجُ النَّجَاةِ مِنَ الْحَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مُنْخَطَّ وَلَا رِضًا * فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُتُبِ

— الغناء لعلية خفيف ثقيل . وفي كتاب علويه : الغناء له — فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستى . قال : ومن سنك ؟ فقالت : عليّة أخت أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجارتين . ومضى فركب حماره وأنصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه أنقذه في نصف الليل فقال : هاتوا حمارى فأني بحمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض ، فركبه وخرج في درّاعة^(٢) وشي متلماً بجمامة وشي ملتخفا برداء وشي ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفزاشين . وكان مسرور القرغاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردت منزل الموصلي . قال مسرور : فضي ونحن بين يديه حتى أنتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقاه وقبل حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقاً طرّق بي . ثم نزل بجلّس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيدى

٩١
٩

(١) في الأصول : « سببه » . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب ، أرى حبة مشقوفة المقدم . ٢٠

أَتَنَشَّطَ لَشَيْءٍ تَأْكُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَاهُو؟ قَالَ: خَامِيزٌ ظَبِيٌّ. فَأَتَى بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدًّا لَهُ فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ كَانَ حُمْلَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ: أَوْغْنِيكَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَغْنِيكَ إِمَائُوكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي. فَخَرَجَ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَنَ صَدْرَ الْإِيوَانِ وَجَانِيهِ. فَقَالَ: أَيْضَرِينَ كُلَّهُنَّ أَمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً؟ فَقَالَ: بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغْنِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإِيوَانِ وَأَحَدُ جَانِيهِ وَالرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشَطُ لَشَيْءٍ مِنْ غَنَائِمِنَّ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ صَبِيَّةٌ مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ:

صـ صـ صـ

يَا مُورِي الزَّيْدِ قَدْ أُعِيَتْ قَوَادِحُهُ * إَقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ * إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ

فَطَرِبَ لَغَنَائِهَا وَأَسْتَعَادَ الصَّوْتَ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ فَأَمْسَكَتْ، فَأَسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُقِيمَتْ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ. فَدَعَا بِجَمَارِهِ فَأَنْصَرَفَ وَالتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ بَعْدُ وَأَدْنَاهُ. هَذَا نَظْمُ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي خَبَرِهِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ فِي خَبَرِهِ: فَقَالَ لِلْمَوْصِلِيِّ: أَحْتَفِظُ بِالْجَارِيَتَيْنِ، وَرِكَبَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عَلِيَّةٍ فَقَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ. فَتَقَدَّمَتْ فِيمَا تُصَابِحُهُ، وَأَخَذَا فِي شَأْنِهِمَا. فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ حَمَلَ عَلَيْهَا بِالنَّبِيدِ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ حِجْرِ جَارِيَةٍ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا، فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَتُرَبِّةَ الْمَهْدِيِّ لَتَغْنَنَّ! قَالَتْ: وَمَا أُغْنِي؟ قَالَ: غَنِّي:

* بُنِيَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ *

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنته . فلما أتت عليه قال لها غني :

* تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ *

فَلَجَلَجَلَتْ ثُمَّ غَنَّتْ . فقام وقبل رأسها وقال : يا سيدي هذا عندك ولا أعلم ! وتتم
يومه معها .

- ٥ . حَدَّثَنِي بِحِظَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْسَى بْنُ حَمْدُونَ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :
مَا خَجَلْتُ قَطُّ نَجَلَتِي مِنْ عُلْيَا أُخْتِي . دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا عَائِدًا فَقُلْتُ : كَيْفَ أَنْتِ
يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . وَوَقَعْتُ
عَيْنِي عَلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَدْبُ عَنْهَا فَتَشَاغَلْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا فَأَعْجَبْتَنِي وَطَالَ جُلُوسِي ، ثُمَّ
أَسْتَحْيَيْتُ مِنْ عُلْيَا فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : وَكَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ
حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى حَاضِنَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : أَلَيْسَ هَذَا قَدْ مَضَى مَرَّةً
وَأَجَبْنَا عَنْهُ ! لَخَجَلْتُ نَجَلًا مَا خَجَلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَمْتُ وَأَنْصَرَفْتُ .

عادها أخوها
إبراهيم وكرر
السؤال عنها فنجل
من جوابها

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ قَالَ :

أمرها الرشيد
بالغناء فغنته من
وراء ستار وكان
معه جعفر فغرفه بها

- شَهِدْتُ أَبِي جَعْفَرَ وَأَنَا صَغِيرٌ وَهُوَ يَحْدُثُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ جَدِّي فِي بَعْضِ مَا كَانَ
يُخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ الرَّشِيدِ ، قَالَ : يَا أَبَتِ ، أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةٍ
يَخْتَرِفُهَا حَتَّى آتَتْهُ إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَتْ لَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْخَدَمِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلْنَا جَمِيعًا وَأَغْلَقَهَا مِنْ دَاخِلِ بِيَدِهِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، فَتَقَرَّ هَارُونَ
الْبَابَ بِيَدِهِ نَقَرَاتٍ فَسَمِعْنَا حَسًا ، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ فَسَمِعْنَا صَوْتَ عَوْدٍ ، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ ثَلَاثَةً
فَغَنَّتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِثْلَهَا فِي حُسْنِ الْغِنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ .
٢٠ . تَقَالُ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصْوَاتًا : غَنَّى صَوْتِي ، فَغَنَّتْ صَوْتَهُ ، وَهُوَ :

٩٢
٩

صوت

وَمُحَنِّثِ شَهْدِ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ * غَنَى الْجَوَارَى حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دَفَّهُ * تَقَرَّرَ أَقْرَبَهُ الْعِيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْتُهُ فَعَشِقْتُهُ * فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بَيْنَ فَا كَذِبًا

— في هذا اللحن خفيف رملٍ نسبته بحسب المكيّ إلى ابن سريج ولم يصحّ له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنّه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنّه لريق . واللحن مأخوذ من :

* إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *

وهو خفيف ثقيل للهذليّ ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر — قال : فطربتُ والله طرباً هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْخَائِطَ . ثم قال غنى :

* طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي *

فَغَنَّتْ :

صوت

طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي * لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِلْمَخْلُوقِ
إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * أَحْدَثُوا تَقْصُصَ الْمَوَائِقِ^(١)

لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِلْعَشِيقِ

— لحن عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه لحن خفيف ثقيل ، ولعريب فيه ثقيل أول وخفيف ثقيل آخر — قال : فقصّ الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بِنَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَبْدُو مِنَّا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَضَمِنَا . فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفت هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَسْأَلُ عَنْهَا وَلَا تَكْتُمُ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَخْبَرُكَ

(١) في ب ، س : « حنوا » .

أَنهَا عَلِيَّةٌ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ . وَوَاللهَ لَأَنْ لَفَظْتَ بِهِ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدٍ وَبُلَغْنِي لِأَقْتَلَنَّكَ . قَالَ :
فَسَمِعْتُ جَدِّي يَقُولُ لَهُ : فَقَدْ وَاللهَ لَفَظْتَ بِهِ ، وَوَاللهَ لَيَقْتَلَنَّكَ ! فَأَصْنَعُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

* وَمُحَنِّثٌ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنَّ الرِّجَالَ لَهْمٌ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ * إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَحْضِي
وَأَنَا أَمْرُؤُ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُوءٌ * أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَّابِ وَأُجْنِبُ
وَيَكُونُ مَرْجُوكُ الْقَعُودِ وَحَدَجُهُ * وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

٩٣
٩

- الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شداد البهسي^(١)، وذكر الجاحظ أنها لخز بن
لؤذان، وهو الصحيح، وخرز شاعر قديم يقال إنه قبل أمرئ القيس، وقد اختلف
في معنى قوله «أبن النعام» فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعام فرسه وأبنها ظلها،
يقول: أقاد في الهاجة إلى جنبها فيكون ظل كالراكب لظلها، وقال أبو عمرو
الشيباري: ابن النعام مقدم رجله مما يلي الأصابع، يقول: فلا يكون لي مركب
إلا رجلي، وقال خالد بن كلثوم: ابن النعام الخشبة التي يصلب عليها، يقول:
أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي، وأحتج من ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون
كالراكب له بقول الشاعر:

إِذَا ظَلَّ يَحْسَبُ كُلُّ شَيْءٍ فَارِسًا * وَيَرَى نَعَامَةً ظَلَّهُ فَيَحُولُ

قال: وأبن النعام: ظل كل شيء، وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره

في موضع آخر.

- ٢٠ (١) القعود: من الابل ما اتخذته الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع، والحديد: مركب من
مراكب النساء نحو الهودج والحفة، (٢) كذا في القاموس (في مادة «لرذ») وفي الأصول:
«حزن» وهو تحريف.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المَهَلَّبِيّ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :
زار الرّشيدُ عَلِيَّةَ فقال لها : بالله يا أُخْتِي غَنِيْنِي . فقالت : وحياتِكَ لأعملنَّ
فيك شعراً ولاعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :

صوت

تَفْدِيكَ أَخْتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ * لَسْنَا نَعُدُّهَا الزَّمانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ ، وَذَاكَ قَرُبُكَ سَيِّدِي * لَا زَالَ قَرُبُكَ وَالْبَقَاءُ طَوِيلاً
وَحَمِدْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِي * فَرَأَيْتُ حَمْدِي عِنْدَ ذَاكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ ، فَأَطْرَبَ الرَّشِيدَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .
قال : وقالت للرّشيد أيضاً وقد طاب أختها ولم يطلبها .

طلب الرّشيد أختها
ولم يطلبها فقالت
شعراً وبعثت من
غناه له فأحضرها

صوت

مَالِي نَسِيتُ وَقَدْ نُودِيَ بِأَصْحَابِي * وَكُنْتُ وَالذِّكْرُ عِنْدِي رَائِحٌ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ * فَارِقٌ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبْعَادِ
قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَائِهِ لِلرّشِيدِ ، فَبَعَثَ فَأَحْضَرَهَا .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَوْنُ بن محمد قال حدثني زُرْزُورُ الكبير
غلام جعفر بن موسى الهادي :
أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرِزَابَاذَ^(٢) أَيَّامًا ، فَأَتَتْهُ
ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فَغَضِبَ . فقالت عَلِيَّةُ :

حجت وتأخرت
فذكر الرّشيد
فظلمت شعراً
وغته فرضى عنها

(١) في ٣ ، ٤ : « في البقاء » . (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وطيرزاباذ :

موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفواً بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ،
وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفي الأصول : « طير تاباذ » وهو تحريف .

صوت

- أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ * أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْنَنا بَازًا يَوْمًا * بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا * تَفْتِنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُصْبِي
قَرَقَفًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا * ذَاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَةً كُلَّ كَرْبٍ
- قال : وصنعت في البيتين الأولين لحنا من خفيف الثقيل ، وفي البيتين الآخرين لحنا من الرمل . فلما جاءت وسميع الشعر والمحنين رضي عنها .

٩٤
٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد وهو بالرقعة فطلبها لخدمته وقالت شعرا وعمات فيه لحنا
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمته عليّة بالرقعة ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها :

صوت

- اشْرَبْ وَغَنِّ عَلَى صَوْتِ الذَّوَاعِيرِ * مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا ابْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرِّجَاءُ لِمَنْ أَمَلْتُ رُؤْيَيْهِ * مَا جُرْتُ بِغَدَادٍ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرٍ
وَعَمِلْتُ فِيهِ لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ .

١٥

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهشام بن أبو عبد الله قال : كانت مع الرشيد في الرى لحنت إلى المراق بشعر فردها
- لَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الرَّيِّ أَخَذَ أُخْتَهُ عَلِيَّةَ مَعَهُ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْمَرْجِ عَمِلَتْ شِعْرًا وَصَاغَتْ فِيهِ لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ وَغَنَّتْ بِهِ ، وَهُوَ :

- (١) المرج : يريد به مرج القلعة ، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان . كذا ذكر ياقوت في معجمه وذكر البيتين الواردين في هذه القصة .

٢٠

صوت

وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ * وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرُّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ * تَلْشَقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرُّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاكَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهَا بِهِ فَرَدَّهَا .

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالى أبي عيسى بن
الرشيد عن أبي عيسى: أن عليّة غنت الرشيد في يوم فطر:
غنت الرشيد في يوم
فطر

صوت

طالَتْ عَلَى لَيْلَى الصَّوْمِ وَأَتَصَلْتُ * حَتَّى لَقَدْ خَلَّيْتُهَا زَادَتْ عَلَى الْإَبْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يُرْهِى بِصَاحِبِهِ * أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

١٠ الغناء لعلية ثاني ثقیل لا يُشَكُّ فِيهِ، وذكر بعض الناس أنه للوائق، وذكر آخرون
أنه لعبد الله بن العباس الربيعي . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعرب ثقیل أول غتته
المُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرِ فَا مَرَّهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال :

كان لعلية وكيل يقال له سباع، فوقع على خيانتة فضربتة وحبسته، فأجتمع

١٥ جيرانه إليها فعزفوها بحيل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقع فيها:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغْنِ * سَبَاعًا وَقُلْ إِنْ ضَمَّ دَارَكُمْ السَّفَرُ^(١)

أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ * رَقَقْتُ لَهُ إِنْ حَطَّه نَحْوَكِ الْفَقْرُ^(٢)

كشافية المرضى بعائدة الزنا * تؤمل أجراً حيث ليس لها أجر

(١) كذا في الأصول . والأظهر أن تكون « ضم ركبكم » أو « حل — أو جاز — داركم السفر »

٢٠ أو نحو ذلك . (٢) السفر : القوم المسافرون .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَمُّ السَّمْرَاءُ
جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عُلَيَّةَ غَنَّتْ الأُمَيْنَ في شعر لها ، وهو
آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ
جَزَعًا شَدِيدًا وتركت النَّبِيذَ والغِنَاءَ . فلم يزل بها الأُمَيْنُ حتى عادت فيهما
على كره . والشعر :

تركت الغناء لموت
الرشيد فألح عليها
الأُمَيْنُ ففتته

صوت

أَطْلَتِ عَادِلَتِي لَوْمِي وَتَفْنِيدِي * وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي
لَا تَشْرَبِ الرَّاحِيقِينَ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ * ظَنِيًّا غَيْرِيًّا نَقِيًّا الْخَدَّ وَالْحِيدِ
قَدْ رَمَحْتَهُ شُمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ * يَخْصِي بِوَجْتِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
قام الأُمَيْنُ فَاغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ * فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
لَحْنُ عُلَيَّةَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبَ فِيهِ هَزَجٌ ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَهْزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ
ابن المهدي .

٩٥
٩

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عَرِيبُ أَنَّ عُلَيَّةَ
قَالَتْ فِي لُبَانَةٍ بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بْنِ الْمَهْدِيِّ شَعْرًا وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ :

قالت شعرا في لبانة
بنت أخيها على بن
المهدي وغنت فيه

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنْتِ زَيْنَهُ * رَسُولُ أُمَيْنٍ^(٢) وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرُّ الْحَدِيثِ الْإِذْيَ مَضَى * وَذِكْرُكَ مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
وَقَدْ ذَكَرَ الْهَيْشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

(١) في ح : « فقلت لها كرى » . (٢) في ب ، س : « من بين الحديث » .

سميها إسماعيل
ابن الهادي تغني
مستيرة عند المأمون
وأذهله غناؤها

أخبرني محمد بن يحيى عن عَون بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَون بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسمع غناءً أذهله . فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أكذبُ بأن الأرقض الرُّومي يقتل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أو لا تدري ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عمّك عليّة تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً من غنائها . إلى هاجنا رواية محمد ابن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمّك تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه :

صوت

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسيرٍ * ليس ينّيك عنه مثلُ حبير
ليس أمرُ الهوى يُدبرُّ بالرأى * ولا بالقياس والتفكير
الحنُّ في هذا لعلية ثقلٌ أوّل . وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقلٍ عن الهشام .

تسوفت لها
خمسون سنة ،
وسبب وفاتها

أخبرني بحظّة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه :
أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوفِيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ (١)
ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عَون بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال : ماتت عليّة سنة تسع ومائتين ، وصَلَّى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أَنَّ المأمون ضَمَّهَا إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَقْبَلُ رَأْسَهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا مُغَطًى ، فَشَرِقَتْ مِنْ ذَلِكَ وَسَعَلَتْ ثُمَّ حُمَتْ بِعَقِبِ هَذَا أَيَّامًا يَسِيرَةً وَمَاتَتْ .

(١) في الأصول : « ست عشرة ومائتين » والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فمن صنعته :

صوت

قام بقلبي وقعد * ظبي نقي عنى الجلد
خلفني مدماً * أهِم في كل بلد
أسهرني ثم رقد * وما رثي لي من كد
ظبي إذا أزدت له * تذلاً تاه وصد
واعطشاً إلى فسيم * يمج نمرًا من برد

٩٦
٩

- عروضه من مجزوء الرجز. وأنشعر الغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقیل أول
مطلق في مجرى الوسطى من رواية عبد الله بن المعتز والهشامی، وذكر الهشامی أن
له أيضاً فيه لحناً من ثقیل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه
لأبي العباس بن حمدون خفيف ثقیل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. شيء من أوصافه وأمه أم ولد بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأجملهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً ليناً طيباً من مثله.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعت أبي (يعني طاهر ابن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للأمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلى، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: ١٠

كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزّم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: ١٥ كذت عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعترّ في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى ابن الرشيد! وما سمعت قط غناء أحسن من غناؤه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

(١) كذا في ١، ٢، ٣. وفي ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى الخ». وفي ب، س: «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى الخ». ٢٠

مدحت عريب
حسنه وغناه

كانت اذا ركب
جلس له الناس
لرؤية حسنه

أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال .

عجب الرشيد من
جواب له في صباه
وقبله

قال الرشيد لأبي عيسى آبنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) .
فقال له : على أت حظله منك لي . فعيجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .

وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن

نحسط من رؤية
هلال شهر رمضان

أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :

٥

حدثني من شهيد المأمون ليلة وهم يترأفون هلال شهر رمضان وأبو عيسى
أخوه معه وهو مستلق على قفاه ، فرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر
عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :

دهاني شهر نصوم لا كان من شهر * وما ضمت شهرًا بعده آخر الدهر
فلو كان يُعديني الإمام بقنطرة * على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر
فقاله بعقب قوله هذا الشعر صرع ، فكان يُصرع في اليوم مرّات إلى أن مات ، ولم
يلغ شهرًا آخر .

١٠

وذكر علي بن الهشامي عن جده آبن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي :

مدح إبراهيم بن
المهدي غناءه
٩٧
٩

١٥ من أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد .
قلت : ثم من ؟ قال : مخارق .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني آبن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله

عابث طاهر بن
الحسين أمام
المأمون فغضب
فقرضاه

آبن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصّعدى^(١) قال :

كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ

٢٠ أبو عيسى هندباء^(٢) فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة . فغضب طاهر

(١) هذه النسبة إلى صعدة ، وهي من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه سراحة . (انظر مفردات ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَاهِبَةً ، وَالْأُخْرَى عَلَى يَدَيَّ
مَذْلُومٌ ، يُفْعَلُ هَذَا بِي بَيْنَ يَدَيْكَ !! فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيَعْبَثُ
بِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ .^(١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله
ابن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال :

عزّص يعقوب بن
المهديّ فضحك
المأمون ونهاه

بينما المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرصافة وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه
في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهديّ وكان أفسى الناس، معروفاً بذلك، فلما أقبل
وضع أبو عيسى كفه على أنفه، وفهم المأمون ما أراد فكاد أن يضحك، فلما آنصرف
بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له : والله لعمرك أن أبطحك فأضربك مائة ديرة!
ويلاًك! أردت أن تفضخني بين أيدي الناس يوم جمعة وأنا على المنبر! إياك أن
تعود لمثل هذه! قال : وكان يعقوب بن المهديّ لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جاءه،
فأخذت له دايةً مثلثةً وطيبتها وتنوقت فيها . فلما وضعها تحته فمأ، فقال : هذه
ليست بطيبة . فقالت له الداية : فديتك! هذه قد كانت طيبةً وهي مثلثة، فلما ربعتها
فسدت . قال : وكان يعقوب هذا مُحَقَّقًا، كان يخطر بباله الشيء فيشتبه فيثبته
في إحصاء خزائنه . فضجّ خازنُه من ذلك، فكان يثبت الشيء ثم يثبت تحته أنه
ليس عنده، وإنما أثبتته ليكون ذكره عنده إلى أن يملكه . فوجد في دفتر له فيه^(٢)
تَبَّتْ ثِيَابٌ : «تَبَّتْ ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية والحشامية، لاشيء
— أستغفر الله — بل عندنا منها زرجية كانت للمهديّ . الفصوص الياقوت الأحمر
التي من حالها كذا وكذا لا شيء — أستغفر الله — بل عندنا منها درج كان فيه

٢٠ (١) في ح ، ب ، س : «مى» . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : «...دفتر عنده

له فيه» . (٣) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب، ولم نعر عليها فيما عرفناه من مظانها .

للهدى خاتم هذه صفته . فحمل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لمّا قرأه
حتى فخص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط . .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلبى قال حدثني الهيثم
ابن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون يحبه
ويغنى أن يل الأمر
بعده

كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعده للأمر بعده ، وتذاكرنا
ذلك كثيراً . وسمِعته يقول يوماً : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، وما يسهل
شيء منهما على أحد ، وذلك لحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدى لشدة حبي لآياه .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :
كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع
عن دابته فلم يسلم دماغه ، فكان يخبط في اليوم مرات إلى أن مات .
كان يحب صيد
الخنازير فوقع عن
دابته ، وكان ذلك
سبب موته

حدثني محمد قال حدثنا أبو العيّن قال حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال :
لمّا مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعمامتى على ، فخلعت عمامتى
ونبذتها وراء ظهري — والخلفاء لا تعزى في العمام — ودنوت . فقال لى : يا محمد ،
حال القدر دون الوطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، فجعل
الله الحزن لك لا عليك .
عزاء محمد بن عباد
المأمون فيه

٩٨
٩

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول :
مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ،
وأمتنع من الطعام أياماً حتى حاف أن يضّر ذلك به .
مات سنة تسع
ومائتين

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني أبو العيّن قال سمعت محمد
ابن عباد يقول : وجد عليه المأمون
وجداً شديداً

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا، وَكَانَ لَهُ مُحِبًّا
وَالِيهِ مَائِلًا. فَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ أَمْرَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَحَضَرَهُ النَّاسُ، وَكَانَتْ
فِيهِمْ حُضْرًا، فَمَا رَأَيْتُ مُصَابًا حَزِينًا قَطُّ أَجْمَلَ أَمْرًا فِي مُصِيبَةٍ وَلَا أَأَحْرَقَ وَجَدًا
مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ صَامَتِ تَجْرَى دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ غَيْرِ كَلْحٍ وَلَا اسْتِنْثَارٍ^(١).

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ :
دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِي إِيَّاهُ وَقَدْ تَوَفَّى أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى وَكَانَ لَهُ حُجْبًا
وَهُوَ يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ بِمَنْدِيلٍ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ وَتَمَثَّلْتُ
قَوْلَ الشَّاعِرِ :

نَقَصُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا * نَقَصُ الْمَنَابِإِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَاعَةً يَبْكِي، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ وَتَمَثَّلَ :

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضَّ * فَحَسْبُكَ مَنَى مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَنْعُ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النِّوَانِحُ
ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : هَيْهَ يَا أَحْمَدُ ! نَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْجَحَا
نَحِيَّةً مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمَا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هَيْهَ يَا عَمْرُو ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بَكُّوا حَذِيفَةَ لَمْ تُبَكُّوا مِثْلَهُ * حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالَّذِي فِي كَتَبِ اللَّغَةِ : كَلَحَ وَجْهَ الرَّجُلِ كَلُوحًا وَكَلَاخًا (كَفَرَاب) :
تَكَثَّرَ فِي عُبُوسٍ أَوْ عَيْسٍ فَأَنْرَطَ فِي تَعْبِهِ . وَالْاسْتِنْثَارُ : إِتْرَاجُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ أَدَى .

بكاه المأمون وتمثل
شعرا وعزاه فيه
ابن أبي دواد
وعمر بن مسعدة
وناحت عليه عريب

٥

١٠

١٥

٢٠

فإذا عَرِيبٌ وَجَوَارٍ معها يَسْمَعَنَّ ما يدور بيننا، فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً . فقال لها المأمون : قُولِي، فَرُبَّ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٌ . فقالت :

كَذَا فَلْيَجْلِ الخُطْبُ وَلْيَقْدَحِ الأَمْرُ * وليس لعينٍ لم يَفِضْ مأْوَها عُذْرُ^(١)

كَأَنَّ بَنِي العَبَّاسِ يَوْمَ وفاته * نَجْمُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البدر

فبكى وبكىنا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي، فناحت ورَدَّ عليها الجوارى . فبكى المأمون .
حتى قلتُ : قد خرجتُ نفسهُ، وبكىنا معه أحرَّ بكاء، ثم أَمْسَكَتُ . فقال لها المأمون :
اصْنَعِي فِيهِ لَحْناً وَغَنِّي بِهِ . فصنعتُ فِيهِ لَحْناً على مذهب النُّوحِ وَغَنَّتْهُ إِياه على
العُودِ . فوالذي لا يُخْلَفُ بِأَجَلٍ مِنْهُ لَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ غَنَاءً أَكْثَرُ مِمَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ نَوْحاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنَا الطَّبِيبُ بن محمد الباهلي قال حَدَّثَنِي موسى
ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

طلب المأمون من
أبي العتاهية أن
يسليه عنه

٩٩
٩

لَمَّا مات أبو عيسى بن الرشيد وَجَدَ عَلَيْهِ المأمون وَجْداً شديداً حتى أَمْتَنَعَ مِنْ
النَّوْمِ ولم يَطْعَمْ شَيْئاً . فدخل عَلَيْهِ أبو العتاهية ، فقال لَهُ المأمون : حَدِّثْنِي : يا أبا إسحاق
بحديث بعض الملوك من كان في مثل حالنا رفاقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس
سليمان بن عبد الملك أخفَّ ثياباً ومَسَّ أَطْيَبَ طاباً وَرَكِبَ أَفْرَهَ خَيْلِهِ وتقدَّم إلى جميع
مَنْ مَعَهُ أَنْ يركبَ في مِثْلِ زِيَّهِ وأَكَلَ سَلاحه ، ونظر في مِرْآةٍ فأعجبته هَيْئَتُهُ وحسنتُهُ ،
فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت :

أَنْتَ نِعَمَ المَتاعُ لو كُنْتَ تَبَقَى * عَيْرَ أَنْ لا بقاءَ لِلإنسانِ

أَنْتَ خَلَوْتَ مِنَ العيوبِ ومِمَّا * يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فاني

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت

بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية . والمرى هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية ،
فأمل هذا . وأصل الشعر « كان بنو نهان » فغير وجعل « كان بنو العباس » .

(٢) في ب ، س : « الطيب » .

فأعرض بوجهه ، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو في قبره . قال : فبكي المأمون والناس ،
فما رأيت بايًّا أكثر من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعته ، والشعر له ، وطريقته من الثقيل الثاني مطلق
في مجرى البنصر . وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضًا صنعة من خفيف الرمل :

صوت

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السُّهَادُ نَوَى * مَيَّ فَنَوِي مُشْرَدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْمَدُ
وَفؤَادِي بِحُسْنِ وَجْهِ * يَهْكَ يَشْقَى وَيَكْدُ

ومن غنائه أيضًا وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل — ولحنه من الثقيل الأول — :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّانِي ثُمَّ عَلَّانِي * ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرُ
نَحْرَجْتُ أَجْرَ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنِّي * عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلَا يَسْحَاقُ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرُو .

*

وَمَنْ عُرِفَتْ لَهُ صِنْعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي
فَمِنْ صِنْعَتِهِ :

صوت

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِينٌ بِتَشْتِيتِ مَا أَلْفَا
وَمَا زَالَ قَلْبُكَ مَأْوَى السَّرُورِ * كَثِيرَ الْهَوَى نَاعِمًا مُتَرَفَا
أَلْحَ عَلَيْكَ بِرَوْعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِيكَ مُسْتَهْدِفَا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه مأخوذة وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

أخبرني أحمد بن جعفر بحظرة قال حدثني أبو حشيشة قال :

- ب كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له قلم ، فعلمه الصوت وحدقه . فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نضارب مولاي عبد الله بن موسى . وقد أخذ النبيذ من الجماعة . فضرب عبد الله وثقيف صوتا فأختلغا فيه وتشابرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه ، وطال تشابرها فيه . وكان ثقيف معريدا يذهب عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضا معريدا . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل ، فضرب به رأس عبد الله ابن موسى فطوقه إياه . وأبتدر خدم عبد الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عريدة أيضا ، فُرِزِقَ في ذلك اليوم حلما لم يرمثله ، وقال لخدمته : إن قتلتك قتلْتُ كلبا وتحدث الناس بذلك ، ولكن آخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبدا .

قال بحظرة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعرفي قال :

- ١٥ دعاني عبد الله بن موسى يوما ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريدة . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بردون أشهب متقلدا سيفا وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجنا إسماعيل بين يديه إجلالا له ، وقال له : ياسيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلى . قال : دعني من هذا ، من عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعبد جماعة من كان عنده . قال له : هاتهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنَا فَرَعًا . فأقبل علي من بينهم فقال لي : يا حفصي ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعا فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ،

اختلف مع ثقيف الخادم في صوت ف ضرب ثقيف رأسه بالعود فلم عليه ، وكان معريدا

١٠٠
٩

دعا الحفصي فآثر عليه أخاه إسماعيل

فقام إسماعيل بنى وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجِئْنِي وَبَدْعُكَ ؛ لَأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَّا شَجَّةً أَوْ عَرَبْدَةً مَعَ حِرْمَانٍ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِرٍّ مَعَ خِلْعَةٍ وَوَعْدٍ مُحْصَلٍّ ، أَتَلُومُهُ عَلَى ذَلِكَ ! . فَكَفَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَبْدَةِ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ — وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ — قَالَ :

كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي ، فَمَرَّ بِهِ خَادِمٌ لِصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : اِسْمِي ”لَا تَسْلَ“ . فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ بِنَا حَتَّى نُسَرَّ الْيَوْمَ بِذِكْرِ هَذَا الْبَدْرِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ . فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ :

وَشَادِنِ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقْلَ

مَظْلُومَ خَضِرِ ظَالِمٍ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفْلَ

اعْتَدَلْتُ قَامَتُهُ * وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلَ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالَعَ سَعِيدٌ مَا أَفْلَ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ * فَقَالَ لِي اِسْمِي ”لَا تَسْلَ“

وَأُطْلِعَتْ فِي وَجْهِهِ * لَهُ وَرْدَتَانِ مِنْ نَجْمَلِ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مَنْ * سَمَّاكَ بِلِ قَالِ الْمَثَلِ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقْ جَمَالًا وَكَمَلُ

قَالَ : وَقَالَ فِيهِ — وَقَدْ قِيلَ لِمَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ — :

عَنْ الَّذِي نَهَوَى وَذَلَّ * صَبُّ الْفُؤَادِ مُحْتَبَلُ

لَجَّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا الِ * هَجْرُ إِذَا لَجَّ قَتْلُ

مَنْ شَادِنٍ مُتَّطِيقٍ * فَاقْ جَمَالًا وَكَمَلُ

تَنَاصَفَ الْحُسْنَ بِهِ * فَلَا تَسْلُ عَنْ ”لَا تَسْلَ“

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال :

دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتقوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمة عدلٍ
لا حيف فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إلى أبيه القاسم
وكنث قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكبث
على يديه أقبلهما . فقال لي عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ! ! قلت : بأبي وأمي
هو من مملوك ! وقبثت رجله أيضاً ، فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت ،
فلما رأى الغلام زيادتي عليه في الضرب آغم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من
ذنبه : أنا متلذذٌ وهذا منكسب . فضجحت وقلت : هو ذاك ياسيدي . وعجبت
من حدة جوابه ممتدراً على صغره سنه .

كان له ابن جيد
الضرب وطلب إلى
المكي أن يقومه
مهما أنه مملوك

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه
لحن من خفيف الثقل الأول بالنصر — :

كان كريماً ممدحاً

صوت

أعبد الله أنت لنا أمير * وأنت من الزمان لنا مجير
حكيت أباك موسى في العطايا * إمام الناس والملك الكبير
قال محمد بن يحيى والعنابي : ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة .

غنى بشعر لعمر بن
أبي ربيعة

صوت

إق أسماء أرسلت * وأخوال الشوق مُرسِل
أرسلت تستريري * وتقدى وتعذل
ولحنه فيه رمل . قال : وفيه لابن سريج والغريض ومالك الحان .

٢٠

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد
السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان عبد الله بن موسى الهادي معزباً ، وكان قد أحفظ المأمون^(١) مما يعرف
عليه إذا شرب معه . فأمر بأن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ؛ وأُقعد على باب حرساً .
ثم تذاً من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ، ثم نادى فعرّب عليه
أيضاً وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرمًا بالصيد ، فأمر المأمون^(٢) خادماً من
خواص خدمه يقال له "حسين" فسّمه في درّاج وهو بمرسى أباد ، فدعا عبد الله^(٣)
بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدّراج فأكله . فلما أحسّ ركب في الليل
وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني . قال : وأكل معه من الدّراج خادمان ، فأما أحدهما
فمات من وقته ، وأما الآخر فبقى مدّة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

٥

١٠

* *

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

١٠٢
٩

فمن مشهور صنعته :

ألا يا دير حنظلة المفدى * لقد أورثتني سقماً وكداً^(٣)
أزف من العقار إليك دنا * وأجعل تحته الورق المندي^(٤)

١٥

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن
عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رمل وخفيف ثقيل . وفيه لعبد الله بن
موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش — وهو ممن لا يحصل قوله —
أنه لحنين ، ولم يصح عندنا من صانعه .

٢٠

(١) في ج : « وكان قد أعزل بالمأمون » أي أعياه أمره وضاعت به الحيل فيه .
(٢) لم تقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الدبر في ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
(٤) في أ ، م ، ح : « زفا » بالفاء وهي مصحفة عن « زفا » بالقاف .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

عبدُ الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأمُّ عبد الله بن محمد أمُّ وَلَد . وكان ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً لينا ويصنع صنعةً صالحةً . وأمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبُ غَلَبَ عليها ، وأسمها أُمَّةُ العزيز . وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة — وكانت سمينَةً حسنةَ البدن — فيقول لها : يا زُبَيْدَةُ يا زُبَيْدَةُ ، فغَلَبَ عليها ذلك .

نسبه

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنيّةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً ، فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السّوم ، فتركها ليكرههم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فأشترها وزاد . فتبعها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عندها ، فسأله ذلك فومده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

كان صديقا لأبي نهشل فأحب جارية اشترأها أخوه فكتب له شعرا فأخذها له منه

يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ * مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ * عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعِ مُهْمَلِ
أَحْسَنْتَ فِي وَدِّي وَأَجْمَلْتَ بِلِ * جُزْتَ فِعَالِ الْحُسَيْنِ الْمُجْمَلِ
بِلَيْتِكَ فِي ذِي يَمَنِ شَاخٍ * تَقْصُرُ عَنْهُ قُتَّتَا يَدْبَلِ
خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا دَا النَّدَى * وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسِيلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِيذِي وَحْدَةٍ * تَرْكُتَهُ بِالْعِزِّ فِي جَحْفَلِ

نجومٌ حَطَى مِنْكَ مَسْعُودَةٌ * فَمَا أَرْجَى لَسَنَ بِالْأُفْلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلْتَهُ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهُلِ
لَا تَحْرِمْنِي وَلَدَيْكَ الْمُنَى * بِاللَّهِ صَيْدَ الرَّشَاءِ الْأَحْلِلِ
رَمِيتُ مِنْهُ بِسِمَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى بِالرَّيِّ فِي مَقَتَلِي
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ * إِذَا نَاءَ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَنَاسَيْتَ وَأَسْكَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوحِشِ الْمَنْزِلِ
تَرَكْتَنِي فِي لُحْيَةٍ عَائِمًا * لَا أَعْرِفُ الْمُدِيرَ مِنْ مُقْبِلِ
صَرَحَ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ بَيْنَ * لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ مُشْكِلِ

١٠٣
٩

قال : فلم يزل أبو نهشلٍ بأخيه حتى نزل له عنها .

وأخبرني الصُّوْلِيُّ أيضًا بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبر في كتابٍ لمحمد
ابن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفَرَّازِيِّ قال :

خرج الى ضيعته
ونكاتب هو ونديمه
أبو نهشل يشعر

كَانَ أَبُو نَهْشَلٍ بْنُ حَمِيدٍ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَنَدِيمًا لَهُ وَكَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ
صَيْعَةٌ بِالسَّوَادِ تُعْرَفُ بِالْعَمْرِيَّةِ ، فَفُجِرَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو نَهْشَلٍ :
سَقَى اللَّهُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْغَيْثَ مَنَزِلًا * حَلَلْتُ بِهِ يَا مَوْئِسِي وَأَمِيرِي .
فَأَنْتَ الَّذِي لَا يَخْلُقُ الدَّهْرَ ذِكْرُهُ * وَأَنْتَ أَخِي حَقًّا وَأَنْتَ سِرُّوْرِي
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ :

لَئِنْ كُنْتُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْيَوْمَ لَاهِيًا * فَإِنَّ هَوَاكُمَ حَيْثُ كُنْتُ ضَمِيرِي
فَلَا تَحْسِبْنِي فِي هَوَاكُمَ مُقَصِّرًا * وَكُنْ شَافِعِي مِنْ مُخْطَطِكُمْ وَمُجِيرِي

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحنًا، وصنع
فيها سُلَيْمٌ بْنُ سَلَامٍ لَحْنًا آخَرَ .

(١) في ح : « ما الرى » . (٢) حرك لضرورة الشعر . (٣) في الأصول : « فيه » .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال :
كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواصل ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتد .
قال : وأنشدني له في المعتد :

نادم الواصل
والخلفاء من بعده
إلى المعتد ،
وشعر له فيه

رأيت الهلال على وجهك * فإزلت أدعو إلى لك
فلا زلت تحيا وأحيا معاً * وآمنى الله من فقديك
قال : ومن شعره — وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل — :

صوت

يا مَنْ كُلُّ خَلْقٍ * تراه صَباً مُتَمِّمٌ
وَمَنْ تَجَالَلَ تَيْمًا * فإِذَا تراه يُكَلِّمُ
لأشياء أعجب عندي * ممن يراك فيسَلِّمُ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدماً ،
فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزازي قال حدثنا الرباشي
قال أنشدني أبو المحلم الحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حبة الطائيين وهم رهط
أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة :^(١)
^(٢)

ومهما يكن ريب الزمان فإنني * أرى قمر الليل المغرب كالقني
يَهْلُ صغيراً ثم يعظم ضوؤه * وصورته حتى إذا ما هو آستوي
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه * ويمصح^(٣) حتى يستسیر فلا يرى

(١) هو حرمة بن المنذر بن معد يكرب الطائي ، كان نصرانياً وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) انظر ترجمته في الأغاني ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق . (٣) كان والياً لكسرى على الحيرة بعد

قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصح : ٢٠
ذهب وانقطع .

كذلك زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصُه * وتكراره في دهره بعد ما مضى^(١)
تصبح أهل الدار والدَّارُ زينةً * وتأتى الجبال من شَمَارِيجِهَا العُلا^(٢)
فلا ذا غنى يُرجى عن فضل ماله * وإن قال أنحنى وخذ رشوةً أبى^(٣)
ولا عن فقيرٍ ياتحنون لفقره * فتنفعه الشكوى إلهنَّ إن شكَّ
قال : وكان حنظلة هذا قد تعبد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصروني ديراً^{١٠٤}
بالجزيرة؛ فهو الآن يُعرف به يقال له دِيرَ حَنظَلَة . وفيه يقول الشاعر
يا دِيرَ حَنظَلَة المهيِّج لي المَوى * قد تستطيع دواءَ عشقِ العاشق



وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد^{١٠}
الصنعة وثلثها المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعره
وكان له خبر يتصل به حسب ما شرطنا في هذا الكتاب وضمناه إياه من الأخبار،
ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك

قال ابن المعتز حدثني الثميري قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممتُ^{١٥}
صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدت أيام السنة تركت الصنعة، فلما صنعها ترك
الصنعة . فمنها — وهو لعمري من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ولو لم يصنع غيره
لكفاه — في شعر أبي العتاهية :

(١) في معجم البلدان : « في إثره » . (٢) في الأصول : « ربة » والتصويب عن
معجم البلدان . (٣) يلاحظ أن الضمائر في هذا البيت والذي بعده متباينة ، والمراد بها واحد
هو الموت ، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا . ٢٠

صوت

يَضْطَرِبُ الخُوفُ والرجاءُ إذا * حَرَّكَ موسى القُضيبَ أو فَكَّرَ
ولحنه من النِّقيلِ الأولِ . والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ
ذِكْرَها بِجُودَةِ صَنَعَتِهِ وأنه شُبِّهَ فيه بِصَنَعَةِ الفحولِ ومُحْكَمِ أغاني الأوائلِ .

ومنها :

صوت

هي النَّفْسُ ما حَمَلَتْها تَحَمُّلُ * وللدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْوِرُ وتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلِّي بنِ الجَهمِ . والغناءُ لأبي عيسى بنِ المُنْتَوَكِلِ، ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى .

أخبار علي بن الجهم ونسبه

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب
 ابن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي^(١)
 ابن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بنى ناجية ،
 ينسبون إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج
 إلى ناحية البحر بن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي^(٢) في مُسَاظَة كانت بينهما ، فطأ طأت
 ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قنبا
 فحكته به ، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :
 عين جودي لسامة بن لؤي * علق ساق سامة العلاقه^(٣)
 رب كأس هرقها ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مَهْرَاقَه

نسبه ونسب قبيلته
 بنى سامة

وقال من يدفع بنى سامة من نسابي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات
 تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما
 ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل

(١) في ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) في ابن خلكان : « عتبة » .

(٣) في ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أكرم بن ذهل بن عمرو بن مالك

بن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ » . (٤) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٥) ورد في لسان
 العرب (في مادة « فوق ») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها
 ضيقاً . فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت إليه زوجه الأزد فأهجم . فلما رى سواكه أخذتها فصبتها .
 فنظر إليها زوجها ، فلب ناقة وجعل في حلابها سما وقدمه إلى سامة ، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير .
 فيينا كان في موضع يقال له جوف الخيلة نهش أفعى ، كما جاء في الأصل . وانظر بقية هذا الشعر في لسان
 العرب . (٦) العلاقة : في الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

(١) من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرف كعب أمه وظنه صادقا في دعواه . ومكث عنده مدة ، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين ، فرأوا الحارث فسأموا عليه وحادثوه ساعة . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعب وتفى أمه ، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «عمي سامة لم يعقب» . وكان بنوناجية آرتدوا عن الإسلام . ولما ولي علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الوثنية فسباهم وأسترقهم ؛ فاشتراه مصقلة ابن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت يده إلى معاوية ، فصاروا أحرارا ، ولزمه الثمن ، فشعث علي بن أبي طالب شيئا من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامة بن لؤي وتَد غالب بن سامة وأمّه ناجية ، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك أبنا سامة ولم يعقب ، وأن قوما من بنى ناجية بذت جرم بن ربان علاف أدعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية

(١) في الأصول : « من أهل البحرين » . (٢) انظر هذه القصة مفصلة في الطبرى

ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢) . (٣) يريد أنه نقض بعضا منها .

(٤) في ١ ، ٣ : « ثم هلك ابن سامة ولم يعقب » . (٥) في الأصول هنا : « ابن جرم » .

(٦) ربان علاف : بالراء المهملة المفتوحة والياء الموحدة المشددة ، وليس في العرب غيره ، ومن

سواه فبالزاي المعجمة . وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفا بصورتي ، وفي أكثرها زيادة « ابن » .
بين ربان وعلاف ، وهما لشخص واحد ، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية . (راجع القاموس وشرحه في مادتى بن زعلف) .

هذه ونسبوها هذا النسب، وأُتِمُّوا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مضقلة . قال : ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول علقمة الخصى التميمي أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجي بنت جرم * عجوزٌ بعد ما بلي السنام
فإن كانت كذاك فاليسوها * فإن الحلي للأثني تمام

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدي . فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريش العازبة . وإنما سُموا العازبة لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فنُسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو علاف ، وهو أول من اتخذ الرجال العلافية فنُسبت إليه . وأسم ناجية ليلي ؛ وإنما سُميت ناجية لأنها سارت في مقازة معه فعطشت فاستسقت ماء ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يريها السراب ، حتى جاءت الماء فشربت وسميت ناجية . وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مخالفة فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بغضه رضي الله عنه ، حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعرا فصيحاً مطبوعاً ، وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بُدْمائه والذُّكر لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه ويتقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبسه مدة . وأخبره تذكرك علي شرح بعد هذا . وكان ينحونحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة ، وهو القائل :

ورافضة تقول بشعب رضوى * إمام ، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا * من الأتراك مُشرعة السهام

كان شاعرا فصيحاً
اخضع بالمتوكل
وهجا عليا وشيعته

١٥

٢٠

وفيه يقول البحتري :

إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَا قُرَيْش * فلا في العير أنت ولا النفير
وما رُغْنَاؤُكَ الْجَهْمُ^(١) بِنُ بَدْرِ * من الأفار ثم ولا البدور^(٢)
ولو أعطاك ربك ما تَمَنَّى * لزاد الخلق في عِظَمِ الأيُورِ
عَلَامَ هَجَوْتَ مجتهدًا عَلَيَا * بما لَفَقْتَ من كَذِبٍ وزُورِ
أما لَكَ في آسَتِكَ الوجعَاءُ شُغْلُ * يَكُفُّكَ عن أذى أهل القبورِ

وسمعه أبو العيناء يومًا يطعن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له :
أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين ، فقال له : أتعني قصة بيعته أهلى من
مصقلة بن هبيرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتل الفاعل فعَل
قوم لوط والمفعول به ، وأنت أسفلهما .

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال :

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع^(٣) ، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال
علي بن الجهم في حبسه عِدَّة قصائد كتب بها الى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه
بعد ذلك الى نحرسان . فقال أول ما حُسِيسَ تصيدة كتب بها الى أخيه ، أولها قوله :

هجا بختيشوع فسبه
عند المتوكل فحبسه
سنة ثم نفاه وقال
في ذلك شعرا

توكلنا على رب السماء * وسلمنا لأسباب القضاء

ووطننا على غير الليالى * نفوسا ساحت بعد الإباء

وأفئنة الملوك محجبات * وباب الله مبذول الفناء

(١) الرغناء : أصلها عصب أو عرق في الندى يدر اللبن . واستعملها البحتري هنا في الأب .

(٢) في ديوان البحتري طبع مطبعة الجوائب :

ولو أعطاك ربك ما تمنى * عليه ل زاد في غلظ الأيور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب . (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧ ،

١٤٣٧ ، ١٤٤٧ ، ١٧٩٠) .

هي الأيام تكلمنا وتأسو * وتأتى بالسعادة والشقاء
وما يجدي الثراء على غنى * إذا ما كان محظور العطاء
حلبنا الدهر أشطره ومررت * بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا * فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس ضرر * وبعض الضر يذهب بالحياء
ولم تحزن على دنيا بولت * ولم نسبق إلى حسن العزاء
توق الناس يا بن أبي وأمي * فهم تبع المخافة والرجاء
ولا يغررك من وغد إخاء * لأمر ما غدا حسن الإخاء
ألم ترميهم رين على عيبا * وهم بالأمس إخوان الصفاء
فلما أن يليت غلوا وراحوا * على أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصروني * بمال أو بجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتكم * صديقا فادعوا قدم الحفاء
تضافرت الروافض والنصارى * وأهل الاعتزال على هجائي

— يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وعابوني وما ذنبي إليهم * سوى علمي بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو * وعزوب هارون المرائي
وما الجذماء بنت أبي سمير * يجذماء اللسان عن الخناء
إذا ما عتد مثلكم رجالا * فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء * وعودا في الصباح وفي المساء

(١) العقب : جمع عقبه وهي النوبة . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « عبا »

وهو تصحيف .

إِذَا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا * أَوْلَيْكَ شَرٌّ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ
أَنَا الْمُتَوَكِّلُ هَوَى وَرَأْيَا * وَمَا بِالْوَأْتِقَةِ مِنْ خَقَاءِ
وَمَا حَبَسُ الْخَلِيفَةِ لِي بَعَارٍ * وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسٍ مِنْهُ التَّنَائِي

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّبل البرجعي : ما شعر على
ابن الجهم في الحبس بدون شعر عدى بن زيد .
(١)

قال أبو الشَّبل
شعره في الحبس
كشعر عدى بن زيد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

كَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجُلَسَاءِ سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ
وَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ يَجْمَشُ الْخَدَمَ وَيَغْمِزُهُمْ ، وَإِنَّهُ كَثِيرُ الطَّعْنِ عَلَيْكَ وَالْعَيْبِ لَكَ وَالْإِزْرَاءِ
عَلَى أَخْلَاقِكَ ؛ وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُوْغِرُونَ صَدْرَهُ قَلْبِهِ حَتَّى حَبَسَهُ ؛ ثُمَّ أبلغوه عنه أَنَّهُ
هَجَاهُ . فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ وَكُتِبَ بِأَن يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِهَا ، ثُمَّ أُخْرِجَ فَصَلَّبَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ
مَجْرَدًا ثُمَّ أُنْزِلَ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

حبسه المتوكل
بسعاية جلسائه
ونفاه إلى خراسان
فعلَّبه طاهر بن
عبد الله فقال شعرا

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ قُلُوبِهِمْ * شَرْفًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبَجِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً بِنُكُولِهِ * وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارِقَ غِيْلِهِ * فَرَأَيْتَهُ فِي تَحْجِيلٍ مَحْمُولًا

(١) عدى بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر في حبسه . (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧)
وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعهم ويقرصهم . (٣) الشاذياخ :
من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديمًا بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقا بمدينة
نيسابور ، فبنى فيه دارا له ، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت
من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التثنية به ، وبالثانية
الفرار عنه والاحجام . ويلاحظ في الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلا ونكل به تخفف والاسم النكال بالفتح .

لا يأمن الأعداء من شداته * شداً يفصل هامهم تفصيلاً
ما عابه أن بُزَّ عنه لباسه * فالسيف أهول ما يرى مسئلاً
إن يتبدل فالبدر لا يُزرى به * أن كان ليلة تمه مبدولاً
أو يسلبوه المال يحزن فقده * ضيفاً ألم وطارقاً ونزيراً
أو يحبسوه فليس يحبس سائر * من شعره يدع العزير ذليلاً
إن المصائب ما تعدت دينه * نعم وإن صعبت عليه قلبه
والله ليس بغافل عن أمره * وكفى بربك ناصراً ووكيلاً
ولتعلمن إذا القلوب تكشفت * عنها الأكنة عن أضل سبيلاً

كتب المتوكل
لظاهر باطلاته
فأطلقه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال :
أطهر إني عن خراسان راحل * ومستخبر عنها فما أنا قائل
أأصدق أم أكفي عن الصدق أيما ^(٢) * تحيرت أدته إليك المحافل
وسارت به الرُجبان وأصطفقت به * أكف قيان وأجبتته القبائل
وإني بغالى الحميد والدم عالم * بما فيهما نامى الرمية ناضل ^(٣)
وحقاً أقول الصديق إني لمائل * إليك وإن لم يحفظ بالود مائل
ألا حرممة ترعى ألا عقد ذمة * لجارٍ ألا فعل لقولٍ مشاكيل
ألا منصف إن لم نجد متفضلاً * علينا ألا قاضٍ من الناس عادل

(١) في ٤١م : «وليعلمن» بالياء المثناة من تحت . (٢) في ٤١م : «عن الحق» . (٣) الرمية

النامية : التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت ؛ يقال أرمى فلان الصيد فرمى ؛ قال امرؤ القيس يهجو :

فهو لا ترمى رميته * ماله لا عد من قصره

يريد على بن الجهم أنه يصيب فرماه . وناضل : وصف من فضله إذا سبقه أرغله في المناضلة

وهي المباراة في الرمي .

فلا تَقْطَعَنَّ غَيْظًا عَلَيَّ أَنَا مَلًّا * فقبلك ما عَصَيْتَ عَلَيَّ الْأَنَامُ
أَطَاهِرُ إِن تُحْسِنُ فَإِنِّي مُحْسِنٌ * إِلَيْكَ وَإِن تَبْخُلُ فَإِنِّي بَاخِلٌ
فقال له طاهر: لا تنقل إلّا خيرا فإنّي لا أفعل بك إلّا ما تحبّ، فوصله وحمله وكساه.

أخبرني عمي قال حدّثني محمد قال :

بحسب جارية فباعده
فقال شعرا فأجابته

كان عليّ بن الجهم في مجلس فيه قينة، فعابها وجمشها، فباعده وأعرضت
عنه، فقال فيها :

خَفِيَ^(١) اللَّهُ فِيمَنْ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ * وَغَادِرْتَهُ نِضْوًا كَأَنَّ بِهِ وَقْرًا
دَعَى الْبَخْلَ لَا أَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ إِلَّا مَبَا * سَأَلْتُكَ أَمْرًا لَيْسَ يُعْرَى لَكُمْ ظَهْرًا
فَقَالَتْ لَهُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، لَيْسَ يُعْرَى لَنَا ظَهْرًا، وَلَكِنَّهُ يَلَأُ بَطْنًا !!

: أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَذْبُورِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ

كان يتشامم من
الحارثي فرآه فقال
شعرا

كَانَ الْحَارِثِيُّ يَجِيءُ إِلَى حُلْوَانَ وَأَنَا أَتَوَلَّاهَا — وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ عَلَى مَظَالِمِهَا —
فَإِذَا وَرَدَهَا وَقَعَ الْإِرْجَافُ^(٢)، فَلَمْ يَزَلْ مُتَّصِلًا حَتَّى يُخْرَجَ، فَإِذَا خَرَجَ سَكَنَ الْإِرْجَافُ.
فَأَتَانِي مَرَّةً وَظَهَرَ كَوْكَبُ الدَّنَبِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَقُلْتُ :

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ * فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعْ إِلَّا لِأَبْدَةٍ^(٤) * الْحَارِثِيُّ وَكَوْكَبُ الدَّنَبِ

(١) كذا في الأصول باثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، وفي «دعي» في البيت بعده .
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب للذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام .
لا فبيد أن يقع مثل عليّ بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي، إذ الأمر من «خاف» للخطابة «خافي» .
(٢) حلوان : مدينة بالعراق . (٣) الإرجاف هنا : الزلزلة، يقال رجفت الأرض وأرجفت .
(٤) الأبدية : الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش .

قال ابن المدبر: . وكان الحارثي أعور مُقْبِحَ الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البُصَرَاءِ لَا تَنْطَرُقُوا^(١) * جيشي وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِنَكِيرِي
رُدُّوا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ * أَعْمَى يُدَلِّسُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ^(٢)

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر عليّ

انحل شعر إبراهيم
ابن العباس

ابن الجهم وذكر أن علياً أنشده لإياه لنفسه :

أَمِيلُ مَعَ الدَّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي * وَأَخُذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَلَمَّا أَلْفَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي * وَأَجَمَعَ بَيْنَ بَالِي وَالْحَقِيقِ

فقال إبراهيم : كَذَبَ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَأَمِّم . وَاللَّهِ لَهَذَا الشَّعْرُ أَشْهُرُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ

العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال

قال المتوكل إنه
كذاب وأثبت
كذبه بكلامه له

قال المتوكل

علي بن الجهم أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِخُرَّاسَانَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالثُّغُورِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
فِيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَإِنَّمَا يُزَاهِي سَنَةَ^(٤)
الْخَمْسِينَ سَنَةً . فَلَيْتَ شَعْرِي أَى فَائِدَةٍ لَهُ فِي هَذَا الْكَذْبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

١٠٩
٩

(١) تطرف الشيء : تحيفه وأخذ من أطرافه . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ

« بالعور » . (٣) في ب ، سم : « أشبه » . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها

لا يبلغ مائة وخمسين .

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

عربد عليه بعض
ولد علي بن هشام
فجهاهم

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، وآنصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه وأغتابوه . فقال يهجوهم :

- بني مُتَمِّمٍ هل تدرون ما الخبر * وكيف يُسْتَرَامَرُ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتكم : مَنْ أبوكم يا بني عُصَبٍ * شَتَّى وَلَكِنَّا لِلْعَاهِرِ الْجَحَرُ
قد كان شَيْخُكُمْ شَيْخًا لَهُ خَطَرٌ * لَكِنْ أُمَّكُمْ فِي أَمْرِهَا نَظَرُ
ولم تكن أُمَّكُمْ - والله يكلُّوها - * محجوبةٌ دونها الحُرَّاسُ والسُّتُرُ
كانت مَغْنِيَةَ الْفَتَيَانِ إِنْ شَرَبُوا * وَغَيْرِ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ إِذَا سَكَبُوا
وَكَانَ إِخْوَانُهُ غُرًّا غَطَّارِفَةً * لَا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعِصِيَ إِذَا أَمَرُوا
قَوْمٌ أَعْقَاءُ إِلَّا فِي بَيْوتِكُمْ * فَإِنَّ فِي مِثْلِهَا قَدْ تُخْلَعُ الْأُذُرُ
فَأَصْبَحَتْ كَمَرَاجِ الشُّوْلِ حَافِلَةً * مِنْ كُلِّ لَاحِقَةٍ فِي بَطْنِهَا دَرَرُ
بُخْتَمٌ عُصَبًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ * نَوْأًا نَخَانِيثَ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبَرُ^(١)
فَوَاحِدٌ كَسَرَوْهُ فِي قَرَّاطِقِهِ * وَآخَرُ قَرَشِيٍّ حِينَ يُخْتَبَرُ^(٢)
مَا عَلِمَ أُمَّكُمْ مِنْ حَلٍّ مِثْرَهَا * وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَأْيُسُ الْقَدَرُ^(٣)

- (١) في الأصول : « كرمج » والمراح : مأوى الإبل . والشول من النوق : التي خف لبها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه) نتاجها . واحدها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما النافقة الشائل (بغير س) فهي اللامخ التي شول بذنبها للفحل أي ترفعه ، فذلك آية لقاها ، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأفئها ، وهي حينئذ شامد ، وجمعها شول وشمد . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا في الأصل أي وهما نوما نخانيث ... الخ ، فسرهما في البيت الثاني ، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل ، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك .
(٣) الكبر : الطبل . معرب . (٤) القراطق : جمع قرطق وهو القباء .

يوم إذا نُسبوا فالأثم واحدة * والله أعلم بالآباء إذ كثروا
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم * وأنتم في المخازي فتية صبر
أحببت إءلامكم إني بأمركم * وأمر غيركم من أهلكم خبر
تفكّهون بأعراض السكّام وما * أتم وذكركم السادات يا عمر
هذا الهجاء الذي تَبَقَّى مياسمه^(٢) * على جباهكم ما أورد الشجر

سعى عند المتوكل
بند مائة وبلغه أنه
هجاه فخبسه ،
وأحسن شعره
في الحبس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال :
كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق
فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى
كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه
أنه هجاه فخبسه . وأحسن شعره قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

قلت حبست فقلت ليس بضائري * حبسى وأى مهند لا يُغمد^(٣)
أوما رأيت اللث يَأْلَفُ غِيَالَه * كبراً وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة^(٤) * عن ناظر بك لما أضواء الفرقد
والبدر يُدركه السرار فتنبلي^(٥) * أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى * إلا وريقه يروع ويرعد^(٦)
والزاعية لا يُقيم كعوبها * إلا الثقاف وجذوة تستوقد^(٧)
والنار في أحجارها مخبوءة * لا تُصطلى إن لم تُثرها الأزند

١١٠
٩

(١) العرر : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم ؛ يقال : فلان عرة أهله .
(٢) الميامم : جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم ،
وميامم على اللفظ . (٣) في ب ، سه : « قالوا » . (٤) السرار : (بالفتح والكسر)
آخر أيام الشهر . (٥) في الأصول : « يراع » . (٦) الزاعية : رماح منسوبة إلى
رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة . (٧) الثقاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح

والحبس ما لم تغشه لدنيّة * شعاء نعم المنزل المتوّد^(١)
 بيت يحدّد للكرم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلّك بالحباب الأعبد
 كم من عليل قد تخطّاه الردى * فنجّا ومات طيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دؤاد إنا * تدعى لكلّ عظمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوؤ الردى وخاؤف لا تنفد
 أنتم بنو عم النبيّ محمد * أولى بما شرع النبيّ محمد
 ما كان من كرم فاتم أهله * كرم مغارسكم وطاب الخيد
 من السويّة يا بن عم محمد * خصم تقربه وأخر تبعد
 إن الذين سَعَوْا إليك بباطل * حساد نعمتك التي لا تُجحد
 شهدوا وغنبا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يومًا لبان لك الطريق الأقصّد
 فبأيّ جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها للثيم الأوغد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل

الربيعي^(٢) قال قال لي عليّ بن الجهم :

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلّم قبيصة جاريته فأجابته بشيء أغضبه،
 فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها، ففرج
 المتوكل وقد حم من الغم والغضب، فلما بصر بي دعاني وإذا الفتح يرى^(٣) بحتيشوع
 القارورة ويشاوره فيها، فقال لي : قل يا عليّ في عليّ هذه شيئا وصِف أنّ الطبيب
 ليس يدري ما بي، فقلت :

دخل على المتوكل
 والطبيب يفحص
 عله وكانت جاريته
 قبيصة أغضبه
 فضر بها ثم اغتم
 لذلك فقال هو
 في ذلك شعرا

(١) المتوّد : الذي يورد ويزار مثل المورد . وفي ب ، سه : " المتوّد " وهو تحريف .

(٢) في أ ، م : « الربيعي » . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل بننديه .

- تنصكر حال عِلَّتِي الطَّيِّبُ * وقال أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيْبُ
جَسَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِي * عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَبْرٌ عَجِيبُ
فما هذا الذي بك هاتِ قُلْ لِي * فكان جوابه مِنِّي النَّجِيبُ
وقلت أيا طيِّبُ الهِجْرُ دَائِي * وقلبي يا طيِّبُ هو الكَثِيبُ
فَرَّكَ رَأْسَهُ نَجَبًا لِقَبْلِي * وقال الحب ليس له طيِّبُ
فأعجبني الذي قَدْ قَالِ جِدًّا * وقلت بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبِيبُ
فقال هو الشِّفَاءُ فَلَا تُقْصِرْ * فقلت أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي أَشْجَوِي * فَأَتَى هَائِمٌ فَرْدٌ غَرِيبُ
فقال: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي ! يَا غَلَامَ اسْقِنِي قَدَحًا؛ لِحَاءَهُ بَقْدَحٌ فَشَرِبَ وَسُقِيَتِ الْجَمَاعَةُ
مِثْلَهُ . وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَضَّلُ الشَّاعِرَةُ بِأَبْيَاتٍ أَمَرَتْهَا قَبِيحَةٌ أَنْ تَقُولَهَا عَنْهَا ، فَقَرَأَهَا فَاذَاهِي :
لَا كُتُبَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ * حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يَقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشَقُهُ * إِنَّ الشُّكَاةَ لَمَنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَأْسُ
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ * عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَاسُ
فقال المتوكل : أَحْسَنْتَ يَا فَضْلُ . وَأَمَرَ لَهَا وَلِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَدَخَلَ إِلَى
قَبِيحَةٍ فَتَرَضَّاهَا .

١١١
٩

خرج مع جماعة
الى الشام فقطع
عليهم الأعراب
الطريق فقتل أصحابه
وثبت هو وقال
شعرا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
خرج علي بن الجهم الى الشام في قافلة ، فخرجت عليهم الأعراب في خُصَافٍ (١)
فَهَرَبَ مَنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَثَبَّتَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ،
وَنَابَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَدَفَعَهُمْ وَلَمْ يَحْظُوا بِشَيْءٍ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

٢٠ (١) في الأصول «خُصَافٌ» بالخاء المهملة وهو تصحيف . وخُصَافٌ : برية بين بالس وحلب .
(معجم البلدان لياقوت) .

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ * وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّمِ يَعْدَرُ
 غَرِيزَةُ حَرٍّ لَا اخْتِلَاقُ تَكْلُفٍ * إِذَا خَامَ^(١) فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بُنُودَهُ * وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارُ عَجَاجِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْثَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشْمَرٍ * يَجُولُ بِهِ طَرَفُ أَقْبِ^(٢) مُشْمَرُ
 بَارِضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكُ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُرُ
 فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جَمْعِهِمْ * عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ
 مُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ * وَنَارُ السَّوْغَى بِالْمَشْرِفَةِ تُسْمَرُ
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا أُنْخَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ
 وَلَمْ أَلِكُ فِي حَرِّ الْكَرِيمَةِ مُحْجِمًا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ^(٣)
 فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ، * إِذَا أَصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّعْ عَسْكَرُ
 مَنَعْتَهُمْ مِنْ أَنْ يَنَالُوا قَلَامَةً * مَكْنَتُ شَجَاهِمِ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ
 وَتَلِكُ سَبَايَا قَدِيمًا وَحَادَثًا * هَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَزَّ الْمَوْخَرُ
 أَبْتُ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أُرَى * وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَنْضَجَرُ
 أَوْلَيْكَ أَلَّ اللَّهُ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ * بِهِمْ يُجْبَرُ الْعِظَمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هُمُ الْمَنِيكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنِيكِبٍ * سِيُوفُهُمْ تَفْنِي وَتُفْقِرُ

(١) خام : نكص وجبن . (٢) المشيح : المجيد . (٣) الطرف : الكريم

من الخيل . والأقرب : الدقيق الخصر الضامر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف في كتب اللغة أن يقال سيف بآثر وبنار (بقتل يد النار) وبنار (وزان غراب) وبنورة

ولكن على بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة ، فرجحنا هذا الضبط ، إذ المستعمل في القطع من هذه المادة

إنما هو « بتر » الثلاثي ، واسم الآلة منه مِبْتَر .

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق والحسن بن علي قالاً جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي :

قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي فكذب إلى أمه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر

يا أمّنا أَفَدَيْكَ مِنْ أُمٍّ * أَشْكُو إِلَيْكَ قَظَاظَةَ الْجَهْمِ
قد سُرِّحَ الصَّبِيانُ كُلُّهُمُ * وَبَقِيَتْ مُحْصُوراً بِلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تُطْلِقْهُ لَأَخْرُجَنَّ حَاسِرَةً حَتَّى أَطْلِقَهُ . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : علي بن الجهم كذاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَدَ هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

١١٢
٩

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

مدح أحمد بن أبي دؤاد وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشتم به بعد أن فناه المتروكل

كان أحمد بن أبي دؤاد منحرفاً عن علي بن الجهم لأعتقاده مذهب الحشوية .^(١)
فلما حُيِسَ علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دؤاد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره وَيَشْفَعَ فِيهِ ، فلم يفعل وقعد عنه . فنها قوله :

يا أحمدُ بنَ أبي دؤادِ إِنَّمَا * تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يا أَحْمَدُ
أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ * خَوْضَ الرَّدَى وَخَوَافَ لا تَنْقُدُ
أَتَمَ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

* قَالَتْ حُيِسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي ،

(١) الحشوية : طائفة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ، وعندهم أن تارك النفل كترك الفرض .

وهم فرقة من المرجئة . (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

فلما نفى المتوكل أحمد بن أبي دؤاد شمت به على بن الجهم وهجاه فقال :
يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة * بعثت إليك جنادلاً وحديدا
ما هذه اليدع التي سميتها * بالجهل منك العدل والتوحيداً
أفسدت أمر الدين حين ولّيته * ورميته بأبي الوليد وليداً^(١)
لا محكاً جزلاً ، ولا مستطرفاً^(٢) * كهلاً ، ولا مستحدثاً معموداً^(٣)
شراً ، إذا ذكر المكارم والعلا * ذكر أنقلاباً مبدئاً ومعيداً^(٤)
ويؤد لو مسخت ربيعة كلها * وبنو إباد صففة وثريدا
وإذا تربع في المجالس خلته * ضبعاً وخلت بني أبيه قريدا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته * شريقاً تعجل شربه مردودا
لا أصبحت بالخير عين أبصرت * تلك المناخر والثنايا السوداء^(٥)

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

كتب علي بن الجهم الى طاهر من الحبس :

إن كان لي ذنب في حرمة * والحق لا يدفعه الباطل
وحرمتي أعظم من زلتى * لو نالني من عدلكم نائل
ولي حقوق غير مجهولة * يعرفها العاقل والجاهل
وكل إنسان له مذهب * وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولة * لا جائز يخفى ولا عادل
وقد تعجلت الذي خفته * منك ولم يأت الذي أمل

كتب من حبسه
شعرا لطاهر بن
عبد الله بن طاهر
ابن الحسين

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧هـ.

(٢) الجزل هنا: الجيد الرأي أصيله. (٣) لعلها « مستطرفا » بالطاء المعجمة أى معدودا ظرفا.

(٤) لعلها : « محمودا ». (٥) القلايا : المقاليات ، مفردة قلية. (٦) بعد هذه

الكلية وقبل الشعر كلمة « صوت » في ح ، ب ، س ، ولم يذكر فيه ألحانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع .

شعره في مقين
كان ينزل عنده
في جماعة بالكرخ

جحدثنى عمي قال حدثنا محمد قال :

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقايئون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم :

نزنا بباب الكرخ أطيب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلا بن سريخ والغريض ومعبد * بدائع في أسمعنا لم تبدل
وأانس ما للضيف منهن حشمة * ولا رهبر بالجليل المجل
يسر إذا ما الضيف قل حياؤه * ويفعل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من دم الوقار وأهله * إذا الضيف لم يأنس ولم تبدل
ولا يدفع الأيدي المريسة غيرة * إذا نال حظا من لبوس وما كل
ويطرق أطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشربيد وأعزم بطرف ولا تحف * رقيقا إذا ما كنت غير مبخل
وأعيرض عن المصباح والهج بمثله * فإن نحمد المصباح فاذن وقبل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * ونم غير مدعور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمّة * وكنت مليا بالنبيذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضى وتفنى والغواية تتجلى
ودع عنك قول الناس أتلّف ماله * فلا أنفأضى مذكرا غير مقيل
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا * وأاخرها في يوم لمومعجل

١١٣
٩

(١) : ظاهر أن معناه : يجالسون القيان ، وأن معنى مقين صاحب قيان .

سقى الله باب الكرخ من مُتَرَّزَةٍ * إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَبِرْكَةٍ زَلَزِلَ^(٢)
 مَسَاحِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسَرَحِ الْ * حِسَانِ وَمَثْوَى كُلِّ خَرَقٍ مُعَدِّلِ^(٣)
 لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ بَنَ حُجْرٍ يَحُلُّهَا * لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوْمِلِ^(٤)
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْصَرِ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُسْبِلِ^(٥)
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ^(٦) * عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ
 قَالَ أَتَشَدُّنِي عَلَى بَنِ الْجَهْمِ لِنَفْسِهِ :

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ أَمْرَأً بِفِعَالِهِ * بَحْزَى أَخَا لِي مَا جِدًّا سَمَحًا
 نَادَيْتُهُ عَنْ كُرْبَةٍ فَكَأَنَّمَا * أَطْلَعْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا

أَشَدُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْمَدْبَرِ شَعْرًا لِنَفْسِهِ
 فَكَذَبَهُ وَقَالَ إِنَّ
 الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ

فَقُلْتُ لَهُ : وَيْلَكَ ! هَذَا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يَقُولُهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ !
 بَحْزَدْنِي وَكَابِر . فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى بَنِ الْجَهْمِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ وَأَنَا عَنْده . فَلَمَّا
 رَأَى قَالَ : اجْتَمَعَ الْإِبْرَاهِيمَانِ . فَتَرَكْتُهُ سَاعَةً ثُمَّ أَتَشَدُّتُ الْبَيْتَيْنِ ، وَقُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ : إِنَّ هَذَا يُزْعِمُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهُ . فَقَالَ : كَذَبٌ ، هَذَانِ لِي فِي مُحَمَّدِ

(١) قَصْر وَضَّاحٍ : قَصْرُ بَنِي لَهْدَى قَرِيبَ رَصَافَةِ بَغْدَادَ ، وَقَدْ تَوَلَّى الزُّنْفَرَةَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ يُقَالُ لَهُ
 وَضَّاحٌ فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ وَضَّاحٌ مِنْ مَوَالِي الْمَنْصُورِ . وَقَالَ الْخَطِيبُ : لَمَّا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِنَاءَ الْكَرْخِ قَدْ ذَلِكَ رَجُلًا
 يُقَالُ لَهُ الْوَضَّاحُ بْنُ شَبَا ، فَبَنَى الْقَصْرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَصْرُ الْوَضَّاحِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوت) . (٢) بَرَكَةُ زَلْزَلٍ :
 يَبْغِدَادَ بَيْنَ الْكَرْخِ وَالصَّرَاةِ (بِفَتْحِ أَوَّلِهِ) وَبَابِ الْحَوْلِ (بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ مَعَ فَتْحِهَا) وَسُورَةُ أَبِي الْوَرْدِ تَنْسَبُ
 إِلَى زَلْزَلِ الضَّارِبِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوت) . (٣) الْخَرَقُ مِنَ الرِّجَالِ : الْكَرِيمُ الَّذِي يَخْرُقُ فِي كَرَمِهِ
 أَيْ يَتَسَّعُ فِيهِ . وَالْمَعْدَلُ : الَّذِي يَكْثُرُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَلَوْ مَهْ عَلَى إِسْرَافِهِ فِي الْكَرَمِ . (٤) رَوَايَةُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :

مَنَازِلُ لَا يَسْتَتِيعُ الْغَيْثُ أَهْلَهَا * وَلَا أَوْجَهُ اللَّذَاتُ عَنْهَا بِمَعْزِلِ
 مَنَازِلُ لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ حَلَّهَا * لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ لِحَوْمِلِ
 (٥) فِي يَاقُوتَ :

إِذَا لَرَأَى أَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْلُصٌ

(٦) فِي الْأَصُولِ : «لَمْ أَقُلْ» . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِیَا قُوتَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ .

أبن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بفتح : ألم أنك أن تتحل شعري !
فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك سوءة لك ! ما أوحك ! وهو
لا يتكر في ذلك ولا يتجمل . ثم التقينا بعد مدة فقال : رأيت كيف أخزيت إبراهيم
أبن العباس ! ! فجعلت أعجب من صلابته وجهه .

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء :
شعر له في الفراق

١١٤
٩

إعلي يا أحب شيء إليا * أن شوقي إليك قاض عليها
إن قضه الله لي رجوعاً إليكم * لا ذكرت الفراق ما دمت حيا
إن حر الفراق أنحل جسمي * وكوى القلب منك بالشوق نكا

كان محمد بن
عبد الملك الزيات
منحرفاً عنه ويسميه
عند الخليفة فهجاه

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :
كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبّه عند
الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح . فقال فيه علي بن الجهم :

لعمري الله متابعات * مصببات ومهجرات
على أبن عبد الملك الزيات * عرض شمل الملك للشئات
وأنفذ الأحكام جارات * على كتاب الله ذاريات
وعن عقول الناس خارجات * يرمي الدواوين بتوقعات
معتقدات كركي الحيات * سبحان من جل عن الصفات
بعد ركوب الطوف في القرات * وبعد بيع الزيت بالحبّات

(١) في ح ، ب ، س : « لا يفكر » . (٢) في ب ، س ، ح : « قال حدثني الخ »
وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سبعة (من باب سرب ومنع) شتمه ووقع فيه . وهذه
الكلمة محرفة في الأصول ، ففي ب ، س : « يسبه » وفي أ ، م : « يشمه » وفي ح : « يسبّه » .
(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه : فرقته
وأطارته . يريد أنها تعني كتاب الله . ويحتمل أن يكون ذاريات بالزاي أي عابثات .
(٥) الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ ^(١) * هارونَ ^(٢) يابنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
أما ترى الأمورَ مُهْمَلَاتٍ * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فعا جِلِّ العِلَجِ بِمُرَهَفَاتٍ * من بعد ألفِ صُحْبِ الأصواتِ
بمُثَمِرَاتٍ ^(٤) غيرِ مُورِقَاتٍ * ترى بِمَتْنِيهِ مَرَضَاتٍ
* تَرَضَّفَتِ الأسنانُ في اللُّثَاثِ *

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج ^(٥) الخججي معاونته ، وأسترفده في نكته
فلم يعاونه ولم يرفده ، ثم قبض على عمر بن الفرج وأسلم إلى نجاح ليصادره . فقال
علي بن الجهم له :

استرفد عمر بن
الفرج فلم يرفده
ثم قبض على عمر
فشمت به وقال
شعرا

أبلغ نجاحاً فتى الفتيان مألوكه ^(٦) * تمضي بها الرِّيحُ مُصْداً وإيراداً
لن يخرج المالُ عفواً من يدي عميرٍ * أو يُعَمَدَ السَّيْفُ في فؤديه لإغماره
الرَّحِيضُونَ لا يُوفُونَ ما وعدوا * والرَّحِيضَاتُ لا يُخْلِفْنَ مِيعَاداً
قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً :

جمعتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما * تيهَ المملوكِ وأفعال المالكِ

٢١٥

(١) كذا في الأصول والنفس غير من حاجة لها (٩) :

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي . (٣) يريد ألقام من السياط .

(٤) مثرات : لها ثمر . والثمر من السوط : عقدة في طرفه تشبها بالثمر في الهيئة والتدلي عنه كشدلي الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ؛

لأن الواثق وكله به حين أغضب عليه ، يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان

سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) ٢٠

(٦) هو نجاح بن سلة أبو الفضل ، كان على ديوان التوقيع والتنج على الغال في عهد المتوكل ، ثم نكبه
عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥ هـ ، وكان متكبها من المتوكل وإلى الوزارة وجامعة أعماله .

(راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ + ١٤٤٧) : (٧) المألوكه : الرسالة .

أُهِدَتْ شَكْرًا بِلَا يَرْوَمُ زِيَّةً ^(١) * لَقَدْ سَلَكَتْ طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكِ
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارِعَةٍ * وَمَا أَرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمَتْرُوكِ

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :

تمثل بشعره نديم
لسليان بن وهب
وكان عريدا عليه
وأخيه هو فرضى عنه

كَانَ لِسَلْيَانَ بْنِ وَهْبٍ نَدِيمٌ يَأْتِسُ بِهِ وَيَأْلَفُهُ ، فَعَرَّبَدَ عَلَيْهِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيْلِ
عَرَبْدَةً قَبِيحَةً ، فَأَطْرَحَهُ وَجْهًا ^(٢) ، فَوَقَفَ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ . فَلَمَّا مَرَّ بِهِ وَثَبَ
إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَلَا تَكُونُ فِي أَمْرٍ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ^(٣) :

الْقَوْمُ إِحْوَى صَدِيقٍ بَيْنَهُمْ تَسَبُّ * مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعَدِّلْ بِهَا تَسَبُّ
تَرَاضَعُوا دِرَّةَ الصَّبَاءِ بَيْنَهُمْ * فَأَوْجَبُوا الرِّصَيعَ الْكَأْسُ مَا يَجِبُ
لَا تَحْفَظَنَّ عَلَى السَّكَانِ زَيْنَهُ * وَلَا تَرِيثَنَّ مِنْ أَحْلَاقِهِ رِيثُ

١١٥
٩

١٠ فَقَالَ لَهُ سَلْيَانُ : قَدْ رَضِيتَ عَنْكَ رَضًا صَحِيحًا ، فَعُدْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مَلَازِمِي .
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْبَيَاتِ :

الْوَرْدُ يَضْحَكُ وَالْأَوْتَارُ تَصْطَبْخُ ^(٤) إِنْ النَّأْيُ يَنْدُبُ أَشْجَانًا وَيَنْتَجِبُ
وَالرَّاحُ تُعْرِضُ فِي نَوْرِ الرَّبِيعِ كُلِّ * تُجَلِّيُ الْعُرُوسَ عَلَيْهَا الدَّرُّ وَالذَّهَبُ
وَاللَّهُوُ يُلْحِقُ مَغْبُوقًا بِمُصْطَبِّحِ * ^(٥) وَالدُّورُ سَيَّانٌ مَحْنُوثٌ وَمُتَخَبِّ
وَكُلُّهَا أَنْسَكِبَتْ فِي الْكَأْسِ آوْنَةٌ * أَقْسَمْتُ أَنْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ

١٥

^(١) يقال : رزاه ماله من باب قطع وعلم رزوا ومرزوة إذا أصاب منه خيرا .

^(٢) هو أبو أيوب سليان بن وهب بن سعيد . كتب للأموين وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم
لأشناس ، ثم إلى الوزارة للهندي بالله ثم للعمد على الله ، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام
والبخري . وينقل سليان المذكور في الدراويج الكبار والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه
في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

٢٠

^(٣) في باب النسب ، أحد : « عليه » . (٤) كذا في الأصول .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

. أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان معاً فسرى عنه

دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدوة من غُدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يحيى قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته حَظِيَّةٌ له ، فتغصص عليه عَمُّهُ وقتراً . فخبَّر علي بن الجهم بالخبر . وقيل له : قُلْ في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أَمَا تَرَى الْيَوْمَ مَا أَحْبَبَ شِمَائِلُهُ * صَفْوٌ وَغَيْمٌ وَإِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ
كَأَنَّهُ أَنْتَ هَاهُنَا لَا شَبِيهَ لَهُ * وَهَلْ وَهَجَرُ وَتَقَرُّيبٌ وَإِبْعَادُ
فَمَا كَرِ الرَّاحَ وَأَشْرَبَهَا مُعْتَقَةً * لَمْ يَدْخُرْ مِثْلَهَا كَسْرَى وَلَا عَادُ
وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ * زَهْرٌ وَنُورٌ وَأَوْرَاقٌ وَأَوْرَادُ
كَأَنَّمَا يَوْمُنَا نَحْنُ الْحَبِيبُ بِنَا * بَذْلٌ وَبُخْلٌ وَإِبْعَادٌ وَمِيعَادُ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فَعْلِكُمْ * نَعْيٌ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِنْسَادُ
فَأَسْتَحْسِنُ الْأَبْيَاتِ وَأَمْرٌ لَهُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ : وَحَمْلُهُ وَخَلْعُ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٌ بَأَنْ يُغْنَى
فِي الْأَبْيَاتِ . الْغِنَاءُ لِبَذْلِ الطَّاهِرِيَّةِ ، خَفِيفٌ رَمَلٍ . وَفِيهِ لَغِيْرَهَا هَزَجٌ .

١٥

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خُرَّاسَانَ قال :
رأيت علي بن الجهم بعد ما أُلْطِقَ مِنْ حَبْسِهِ جَالِسًا فِي الْمَقَابِرِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ :
وَيْحَكَ ! مَا يُجْلِسُكَ هَاهُنَا ؟ ! فَقَالَ :

جلس في المقابر
بعد خروجه من
السجن وقال شعرا

يَسْتَأْقُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ * وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالْوَطَنَ
فَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُرُهُ * إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ صَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا

٢٠

حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد علي بن الجهم وفيه غناء: شهر له وفيه غناء.

صوت

لو نَصَلَتْ إلينا * لو هَبْنَا لك ذَنْبَكَ
بأبي ما أبغض العيد * شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لَيْتَنِي أَمْلِكُ قَلْبِي * مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أيها الواصل بالله لقد ناصحت ربك
بما رأى الناس إماماً * أنهب الأموال نهبك
أصبحت محبتك العذ * يا وحزب الله حزبك
الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هرج .

مدح أبا أحمد بن
الرشيد فلم يعطه
شيئا فجهجاه

١١٦
٩

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فقال يهجوه :

يا أبا أحمد لا يُنْفَخُ عِجِي من الشَّعر الفِرارُ
لبنى العباس أحلام * م عِظَامٌ ووقارُ
ولهم في الحرب إقدا * م ورأى وأصطبارُ
ولهم ألسنة تب * يرى كما تبرى الشَّفارُ
ووجوه كنجوم الليل تهدي من يحارُ
وتسليم كنسيم الروض جادته القطارُ
ولعطفك عن الحج * يد شمس وأز رارُ
إن تكن منهم بلا شك فلعود قنارُ

(١) القنار : ربح العود المحرق .

حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ
دَخَلَ إِلَيْنَا عَلَى بْنِ الْجَهْمِ بِعَقِبِ مَوْتِ أَبِي وَالْمَجْلِسُ حَافِلٌ بِالْمُعْزِينَ ، فَتَلَّ قَائِمًا
وَأَنشَدَنَا يَرِثِيهِ :

رثى عبد الله بن
طاهر بشعره وأنشده
ابنه يعزبه

أَيُّ رَكْنٍ وَهَى مِنَ الْإِسْلَامِ * أَيُّ يَوْمٍ أَخْنَى عَلَى الْأَيَّامِ
جَلَّ رُزْءُ الْأَمِيرِ عَنْ كُلِّ رُزْءٍ * أَلَا كَيْتُهُ خَوَاطِرُ الْأَوْهَامِ
سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيلًا * وَأَبَاحَتْ حَيَّ عَزِيزَ الْمَرَامِ
مَا بَنَى مُضْعَبٍ حَلَّاتٍ مِنَ النَّاسِ * سَاحَلُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ قُلْدَهْرٍ رَيْبٍ * عَمَّ مَا خَصَّكُمْ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ
أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا دُمُوعًا * شَاهِدَاتٍ عَلَى قُلُوبٍ دَوَامِ
مَنْ يُدَاوِي الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْلَأُ الْمُدَّ * لَكَ لَدَى فَادِحِ الْخَطُوبِ الْعِظَامِ
نَحْنُ مُبْتَنِيَا بِمَوْتِهِ وَأَجَلُ الْإِلَهِ * خَطِيبُ مَوْتِ السَّادَاتِ وَالْإِعْلَامِ
لَمْ يَمُتْ وَالْأَمِيرُ طَاهِرٌ حَيٌّ ^(١) دَائِمُ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْعَامِ
وَهُوَ مِنْ بَعْدِهِ نِظَامُ الْمَعَالِي * وَتَمَوَّامُ الدُّنْيَا وَسَيْفُ الْإِمَامِ
قَالَ : فَمَا أَذْكَرَ أُنَى بِكَيْتٍ أَوْ رَأَيْتُ فِي دُورِنَا بَايِكًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْدٍ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ :
دَخَلْنَا يَوْمًا إِلَى الْمُعْتَرِّ وَهُوَ مُضْطَبِّحٌ عَلَى صَوْتِ اخْتَارِهِ وَأَقْرَحِهِ عَلَى عَمْرِيَبٍ ،
وَأُظُنُّ الصَّنْعَةَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَكِرَ أَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْجُلَسَاءِ كُلِّهِمُ الْجَوَائِزَ وَالطَّيِّبَ وَالْخَلَعَ . وَالصَّوْتُ :

غنت عريب المعتز
بشعره فطرب
وفرق مالا

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعدَكَ لم تنظر إلى حَسَنِ * والنَّفْسُ بعدَكَ لم تسكن إلى سَكَنِ
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبَتَ غَائِبَةً * حَتَّى إِذَا عُدَّتْ لِي عَادَتِ إِلَى بَدَنِي
والشعرُ لعلِّي بن الجهم .

خرج مع عبد الله
ابن طاهر للصيد
وغرَّبُوا فقال شعرا
يصف ذلك

حَدَّثَنِي بِحِظَّةٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ وَعُمَى قَالُوا جَمِيعًا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ :

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلَيَّ بَنَ الْجَهْمِ مِنَ الْحَبْسِ أَقَامَ مَعَهُ بِالشَّادِ بِحِظَّةٍ ، فَنَجَرُوا
يَوْمًا إِلَى الصَّبِيِّ ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرْجٌ كَثِيرُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ ،
فَأَصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا ، وَأَقَامُوا يَسْرِبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ
يَصِفُ ذَلِكَ :

وَطِئْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبَزَاةُ الْبَيْضُ حُمَرَ الدَّرَاجِ (٢)
وَلَمْ تَحْمَسْهَا الْأَذْغَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَهْجْنَا حِمَاهَا بِالْكَلَابِ النَّوَاجِ (٣)
بُمُسْتَرَوِحَاتٍ سَابِحَاتٍ بِطُونُهَا * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الزَّوَالِ (٤)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهَوَادِي كَأَنَّهَا * وَمَا عَقَفْتُ مِنْهَا رَعْوُسُ الصَّوَالِ (٥)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ (٦)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ (٧)

١١٧
٩

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدراج : جمع دراج
وهو طير جميل المنظر ملون الريش . وفي الأصول : « الدراج » وهو تحريف . (٣) نواج الكلب :
نباحه . وفي أ ، ح ، م : « النواج » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفي ب ، س :
« البوارج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تسممه . وسابحات : سرعات .
(٥) الزوال : هنا بمعنى السريمة . يقال سهم زالج أى يزج على وجه الأرض ثم يمضى .
(٦) الهوادي هنا : الأعناق . وعقفت : مطقت وعوجت .
٢٠ (٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكويج : الذى لحبته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْتَ بِهَا الْغِيْطَانَ فَلَيْتَ كَأَنَّهَا * أَنَا مَلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْخَوَالِجِ^(١)
 فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاحِرٍ * بِصَيْدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُحَارِجٍ^(٢)
 قَرَنَّا بُرَاةً بِالصُّقُورِ وَحَوَمَتٍ * شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَامِجِ^(٣)

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال :

كتب عليّ بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس :

كتب من حبسه
إلى المتوكل شعرا

صوت

أَقْلَسْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * يَتَّبِعْكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
 وَيَفْسِدُوكَ بِالنَّعَمِ السَّابِغَاتِ * وَلَيْسَ ذَا مِيعَةٍ أَمْرَدًا
 وَتَجَرِيْ مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي * تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
 وَيُعْلِيْكَ حَتَّى تَوَافَتْ السَّمَاءُ * تُسَالُ لِحَاوِزَتَهَا مُضْعِدًا
 فَمَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلَّ أَسْمُهُ * وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيُّ الْهُدَى
 فَشَكَرَا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ * إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا
 وَعَفَوْكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ * فَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ * إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً * تَعُوْذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعِدَا
 لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ * لِأَنْتَ أَجَلٌ وَأَصْلَى يَدَا
 أَلَمْ تَرَّ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

(١) حوایج : جمع حائلة وهي « ف القطن حتى يخلص الحب منه » .

(٢) خارجه : نأهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا في الصيد . (٣) كذا في أكثر

الأصول . والزماج : مع زيج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب ، تغلب على لونه
 الحمرة . وفي ب ، س : « الرواج » . جمع راج ، وهو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها .
 وهذا لا يصلح في هذا المقام .

وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَايَتِهِ * فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيهَا أَمْرٌ * تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا
وَالَا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنَ عَمْرٍو * مُبِيجَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صِدَائِهِ * يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حَسَدَا

٥

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

شمت بأحمد بن
أبي دراد حين فلعج
وقال شعرا يهجو

لَمَّا فُلِحَ ابْنُ أَبِي دُرَادٍ شِمْتُ بِهِ عَمِّي ابْنَ الْجَهْمِ وَأَطْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَا مَعَا * فَوْقَ الْفِرَاسِ مُمَهَّدَا بُوْسَادِ
فَرِحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَرْيَةِ كُلَّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِفًا بِمَعَادِ
كَمْ مَجْلِسٍ لَلَّهِ قَدْ عَطَّلَتْهُ * كَيْ لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
وَلَكِنْ مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأَتْهَا * حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
وَلَكَمْ كَرِيمَةٍ مَعْتَبِرَ أَرْمَلَتَهَا * وَمُحَدِّثٍ أَوْقَعَتْ فِي الْأَقْيَادِ
إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا * لَمَّا أَتَاكَ مَوَاصِبُ الْعُودِ
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّبِيبَ فَلَمْ يَجِدْ * شَيْئًا لَدَائِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَدِّ
فَذُقِ الْمَوَانَ مَعْجَلًا وَمُؤَجَّلًا * وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ
لَا زَالَ فَالْحُكَّ الَّذِي بَكَ دَائِبًا * وَيُفْعَلُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

١٠

١٥

١١٨
٩

أَنْشَدَنِي عَمِّي لِابْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ لِعَرِيبٍ :

شعر له غنت فيه
عريب

نَطَقَ الْهَوَى بِجَوَى هُوَ الْحَقُّ * وَمَلَكَتْنِي فَلَيْمَنِكَ الرَّقُّ
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعْدَبَهُ * رِفْقًا وَلَيْسَ لِفْطَالِمِ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تَكَلَّنِي * ضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَالْأَفْقُ

٢٠

وأشدني له وفيه غناء أيضا ، ويقال إنه آخر شعر قاله :
 يارحمة للغريب بالبلد الذ * لارج ماذا بنفسه صنعنا
 فارق أحبابه فانتفعوا * بالعيش من بعده وما انتفعا
 وقال لمغن حضر معه مجلسا وكان غير طيب :

هجا مغنيا بشعر

كنت في مجلس فقال مغني ال * نعيم كم بيننا وبين الشتاء
 فذرع البساط مني إليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء
 فإذا ما عزت أن تتغنى * آذنت الحر كله بأقضاء

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :
 لما حبس أمير المؤمنين المتوكل على بن الجهم ، وأجمع الجلساء على عداوته
 وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره
 حقوقه عليه ، وهي :

استشفع بقييحة
 الى المتوكل رهو
 في حبسه فأرسلت
 اليه ابنا المعتز

عفا الله عنك ألا حزمة * تعوذ بعفوك أن أبعدا
 ووجه بها الى بيدون الخادم ، فدخل بها الى قبيحة وقال لها : إن علي بن الجهم
 قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل
 من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز
 وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه ، بخاء بها ووقف بين
 يدي أبيه . فقال له : ما معلنك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إلى أمي .
 فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديته —
 خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يرده ،
 وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

٢٠

فلا عدت أعصيك فيما أمرت * إلى أن أحل الثرى ملحدا

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

- وَإِلَّا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعَفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
(١) وَثَبَّ ابْنُ حَمْدُونَ وَقَالَ لِلْعَتَرِ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ دَفَعَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَى السَّيِّدَةِ ؟ قَالَ
بَيِّدُونَ الْخَادِمَ : أَنَا ، فَقَالُوا لَهُ : أَحْسَنْتَ ! تُعَادِينَا وَتَوْصِلُ رُقْعَةَ عَدُوِّنَا فِي هِجَانِنَا !!
فَأَنْصَرَفَ بَيِّدُونَ وَقَامَ الْمُعْتَرِّ فَأَنْصَرَفَ . وَأَسْتَلَبَ ابْنُ حَمْدُونَ قَوْلَهُ :

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
بِفَعْلٍ يُنْشِدُهُمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَشْتُمُونَ ابْنَ حَمْدُونَ وَيَضْحَكُونَ وَالْمَتَوَكِّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفَقُ
وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الْمَتَوَكِّلِ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَوْقِعْ
بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ . فَقَالُوا لِابْنِ حَمْدُونَ : وَيْلَكَ ! تُعِيدُ هِجَانِنَا وَشَتْمَنَا ! فَقَالَ : يَا حَقِّ وَاللَّهِ
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ
فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ :

لَمَّا أَفْتَتِحَتْ أَرْمِينِيَّةٌ وَقُتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلَى بْنِ الْجَهْمِ فَأَنْشَدَ
الْمَتَوَكِّلُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يُهِنُّهَا فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ فِيهَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ
الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَبِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ * جِئْتَ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
بِجَمَلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ * بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ
* قَهْرًا بَلَا خَتْلٍ وَلَا تَطْوِيلِ *

(١) فِي الْأَصُولِ : « فَوْثَبَ » . (٢) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمِيَّةَ ، ظَفَرِيَّةٌ نَعَا

وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ قَفْلَيْسَ سَنَةَ ٢٣٨ هـ .

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه ، وأمر له المتوسك بثلاثين ألف درهم ، وتمم القصيدة . وفيها يقول :

جاوز نهر الكر بالخيل * تَرْدَى بفتيان كاسد الغيل^(١)
 معودات طلب الدحول^(٢) * نزر العيون طيبي النصول^(٣)
 شعث على شعث من الفحول * جازن يلف الحزن بالسحول^(٤)
 مكانه معتلج السيول^(٥) * يسوسة كهل من الكهول
 لا يثنى للصعب والدلول * على أغر واضح الجول^(٦)
 حتى إذا أصحرا للخذول^(٧) * لاجزة بصارم صقيل^(٨)
 ضربا طلحفا ليس بالقليل * ومنجنيق مثل حلق الفيل^(٩)
 ترفض عن خرطوم الطويل * صواق من حجر السجيل^(١٠)
 ترك كيد القوم في تضليل * ما كان إلا مثل رجع القيل
 حتى كملت عن حربه المفلول * وعن نساء حسر دهل
 صوارخ يعنن في الديول * ثواكلي الأولاد والبعل
 لا والذي يعرف بالعقول * من غير تحديد ولا تمثيل
 ما قام لله وللرسول * بالدين والدنيا وبالتنزيل

* خليفة جعفر المأمول *

(١) الكر (بضم أوله) : نهرين أرمينية وأزان يشق مدينة تفليس . وتردى الغيل رديا ورديانا : ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها . (٢) في أكثر الأصول : « الدحول » بالدال والحاء وهو تصحيف وفي ج : « الدحول » بالدال والحاء المهملتين . والدحول : جمع ذحل وهو الثأر .
 (٣) نزر : جمع أنزر ونزراء . ونزر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .
 (٤) في ج : « طيب » . وفي أ ، م هكذا : « حيتي » . وفي ب ، سه : « صيتي » .
 (٥) اعتلج الأمواج والسيول : التطمط . (٦) أصح : برز . (٧) طلحفا : شديدا .
 (٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسي معرب . (٩) السجيل : حجارة كالدر .

مدح المتوكل
بقصيدة وأرسلها
من حبسه مع علي
ابن يحيى

١٢٠
٩

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال :
رأيت مع علي بن يحيى المنجّم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف
الهاروني ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال :
قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عرّضها علي أمير المؤمنين فعرضتها . فلما سمع قوله :
وَقُبَّةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النَّجْوَى * مَ تَصْنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
تَخْرُ الْوَفُودُ لَهَا * إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَفَوَارَةُ ثَارِهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارِهَا
تُرَدُّ عَلَى الْمُنْزِلِ مَا أَنْزَلَهُ * إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا
تَهْلِلُ وَجْهَهُ وَاسْتَحْسَنَهَا . فلما انتهيت إلى قوله :
تَبَوَّأَتْ بِعَدَاكَ قَعَرَ السَّجُونِ * وَقَدْ كُنْتُ أَرَى لَزْوَارِهَا
غَضِبَ وَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ وَقَالَ : هذا بما كسبت يداه ، ولم يسمع تمام القصيدة .

شاع مذهبه وشبه
فسافر لطلب قتل
في الطريق وقال
شعرا قبل موته

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال :
لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشبهه وذكّره كلّ أحدٍ بسوءٍ من
صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فالتقينا في قافلة إلى حلب ،
ونخرج علينا نفر من الأعراب ، فتسرّع إليهم قوم من المُقاتلة ، ونخرج فيهم فقاتل
قتالاً شديداً وهزّم الأعراب . فلما كان من غدٍ نخرج علينا منهم خلقٌ كثير ، فتسرّعت
إليهم المُقاتلة ونخرج فيهم فأصابته طعنةٌ قتلته ، فجئنا به وأحتملناه وهو يتزف دمه .
فلما رأني بكى وجعل يُوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا
قابق قلقتاً شديداً وأحسّ بالموت ، فجعل يقول :

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين
سامراء ميل . (٢) يحتمل جداً أن تكون : « تفضي » .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ * أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) * وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

فأبكي كلَّ من كان في القافلة، ومات مع السَّحَر، فُرِّفَ في ذلك المنزل على مرحله
من حَلَب .

*
* *

ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل

صوت

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ * إِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحٌ
وإن حَقَرُوا يَرَى حَفَرَتْ بِئَارَهُمْ * فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُشِيرُ النَّبَّاتُ^(٢)

الشعر لأبي دلامة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن المعتز .

(١) دجيل : نهر يخرج من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .

(٢) النباتات : جمع نبئة، وهي تراب البئر .

أخبار أبي دلامة ونسبه

نسبه وهو مولى
لبنى أسد وكان
فاسد الدين مهتكا

أبو دلامة زَند بن الجَوْن . وأكثُر الناس يُصَحِّفُ اسمَه فيقول "زيد" بالياء ،
وذلك خطأ ، وهو زَند بالنون . وهو كوفيٌّ أسودٌ ، مولى لبني أسد ، كان أبوه - بدا
لرجل منهم يقال له فضا فض فاعتقه . أدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم
نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وأتقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور
والمهدي . فكانوا يقدّمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره . وقد كان أتقطع
إلى رُوح بن حاتم المُهَلَّبِيّ أيضًا في بعض أيامه . ولم يصل إلى أحد من الشعراء أوصل
إلى أبي دلامة من المنصور خاصّة . وكان فاسد الدين ، ردىء المذهب ، مرتكبًا
للحارم ، مُضِيْعًا للفروض ، مجاهرًا بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويعرف به ، فيُتَجَانَى
عنه لِلطَّيفِ محمّله . وكان أوّل ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائزُ له به قصيدة
مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار
قال حدثني محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال :
لما قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبا مسلم التي يقول فيها :

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفَتْنِي الْقَتْلَ فَأَتَيْتُ * عَلَيْكَ بِمَا خَوَّفَتْنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ
أبا مُسْلِمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغَيِّرَهَا الْعَبْدُ

أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : أحسبكم . قال : عشرة آلاف درهم ،
فلما خلا به قال له : إيه ! أما والله لو تعدّيتها لقتلتك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال :
سمي لي أبو دلامة نفسه زَندًا (بالنون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضا فض ، وله
أيضا شعر ، وكان في الصحابة .

أول شعر عرف به
١٢١
٩

١٠

١٥

٢٠

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني جعفر
ابن الحسين المَهَلَّبِيّ قال :

أعفاه المنصور
من لبس السواد
والقلانس دون
الناس

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السَّوَادِ وَقَلَانِسٍ طَوَالٍ تُدَعَمُ
بِعِياذٍ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَأَنْ يَلْعَقُوا السُّيُوفَ فِي الْمَنَاطِقِ ، وَيَكْتُبُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ :
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فدخل عليه أبو دُلَامَة فِي هَذَا الزَّيِّ . فَقَالَ ٥
لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : مَا حَالُكَ ؟ قَالَ : شَرُّ حَالٍ ، وَجُيْشِي فِي رِصْفِي ، وَسَيْفِي فِي آسَتِي ،
وَكِتَابُ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِي ، وَقَدْ صَبَغْتُ بِالسَّوَادِ ثِيَابِي . فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ وَحَدَّه
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : لِيَأَيُّهُ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ .

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ لَكَبْنِ النَّطَّاحِ فَذَكَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ سِوَاءً وَزَادَ فِيهَا :
وَكُنَّا نَزَجِّي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً * بَخَادٍ بِطُولٍ زَادَهُ فِي الْقَلَانِسِ ١٠
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا * دِنَانُ يَهُودٍ جُلَّتْ بِالْبِرَانِسِ
فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثني
الجاحظ قال .

طلب من المنصور
أو السفاح ، كلب
صيد ثم تدرج
في الطلب إلى أشياء
كثيرة

كان أبو دُلَامَة بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ وَاقِفًا — وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ ١٥
أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ السَّفَّاحِ — فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ . قَالَ أَبُو دُلَامَة : كَلْبٌ
أَتَصِيدُ بِهِ . قَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ . قَالَ : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ . قَالَ : وَغَلَامٌ
يَصِيدُ بِالْكَلْبِ وَيَقُودُهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا . قَالَ : وَجَارِيَةٌ تُصْلِحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا
مِنْهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ جَارِيَةً . قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِبِيدُكَ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ
يَسْكُنُونَهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ دَارًا يَجْمَعُهُمْ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةً فَمِنْ أَيْنَ ٢٠

يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . فقال : قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فياني بنى أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ : فأنظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتدأ بكلمة فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأل بهيمة لما وصل إليه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب قال :
 اسم أبي دلامة زَنْدٌ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِيَ أبا دُلَامَةَ بِاسْمِ جَبَلٍ
 بمكة
 ١٢٢
 ٩
 بمكة يقال له أبو دُلَامَةَ ، كانت قريش تَتَدُّ فيه البنات في الجاهلية ، وهو بأعلى مكة .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمي
 قال حدثني الكُرَّانِيُّ عن العُمَرِيِّ عن الهَيْثَمِ قال :

دخل أبو دُلَامَةَ على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إِنِّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَاتَّجَعُوا * وَزَوَّدَكَ خَبَالًا بئس ما صنعوا
 (٢)
 والله يعلم أن كادت لِيَيْنُهُمْ * يومَ الْفِرَاقِ حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدِعُ
 عَجِبْتُ مِنْ صَبِيئِي يَوْمًا وَأُمَّهُمْ * أُمُّ الدُّلَامَةِ لِمَا هَاجَهَا الْجَزَعُ
 لا بَارِكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ * هَبَّتْ تُلُومُ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا
 ونحن مُسْتَنِيهِو الْأَلْوَانِ أَوْجَهُنَا * سُودٌ قَبَاحٌ وَفِي أَسْمَانَا شَنَعُ
 إِذَا تَشَكَّيْتُ إِلَى الْجُوعِ قُلْتُ لَهَا * مَا هَاجَ جُوعُكَ إِلَّا الرِّىُّ وَالشَّبَعُ

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأنفل
 أن يكون « أجدا البين فانتجعوا » لينفق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير « الخليط » مفردا وجمعا .

— وَيُرَوَّى وَهُوَ الْجَيِّدُ :

أَذَابَكَ الْجُوعُ مُدَّ صَارَتْ عِيَالُنَا * عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّئِيُّ وَالشَّيْبَعُ —
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلَصُهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ * دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءَ مَشْنَأَةٍ فِي بَطْنِهَا تَجَلُّ * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ
ذِكْرُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا * وَلَمْ تَحْكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
فَاخْرَنْطَمَتْ^(٢) ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضِبَةٌ * أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ بِالْكَعْ
أُخْرِجْ لَتَبِيعَ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانَا مَالٌ وَمَزْدَرَعُ
وَأَخْذَعُ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

- ١٠ فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني وأكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة — وقال الهيثم: بستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن سئلت زدتك. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة .

- ١٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّلَاسِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :
شَهِدَ أَبُو دُلَامَةَ بِشَهَادَةِ لُجَارَةٍ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَلَى أَثْنَانٍ نَازِعِهَا فِيهَا رَجُلٌ .
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ : اسْمَعْ مَا قُلْتُ فَيْكَ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ثُمَّ أَقْبِضْ مَا شِئْتَ .
قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشَدَهُ :

شهد عند ابن أبي ليلى
لجارة له وقال شعرا
فأماضي ابن أبي ليلى
شهادته

- ٢٠ (١) النجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدح : الاعوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت أنفها واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فاضى الكوفة . أول من استقضاء على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاء بعد ذلك بنو العباس .

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ * وَإِنْ بَحَسُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بَرَى حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاطُ.

ثم أقبل على المرأة فقال : أتبيعينني الآن ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت :
بمائة درهم . قال : ادفعوها إليهما ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتهالك ،
وقال لأبي دلّامة : قد أمضيتُ شهادتك ولم أبحث عنك ، وأبتعتُ ممن شهدت
له ، ووهبتُ ملكي لمن رأيتُ . أرضيت ؟ قال نعم ، وأنصرف .

شرب مع السيد
الجمري رأبي عطاء
السندى فذم ابنته
وأخبر المنصور
فأكرمه

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال
حدثنا محمد بن سلام عن عليّ بن إسماعيل قال :

١٢٣
٩

كنتُ أسقي أبا دلّامة والسيد ، إذ خرجت بنتُ لأبي دلّامة ، فقال فيها
أبو دلّامة :

١٠

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا ربّك لُقمان الحكيم
أجريا أبا هاشم . فقال السيد :

ولكن قد تضمك أم سوء * إلى لبّاتها وأب لئيم

فضحك لذلك . ثم غدا أبو دلّامة إلى المنصور فألقاه في الرّحبة يصلح فيها شيئاً
يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم أندفع فأنشده بعدهما :

١٥

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقل آفعدوا يا آل عباس

ثم أرتقوا في شعاع الشمس كلهم * إلى السماء فأتهم أظهر الناس

وقدّموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والأنف والأذنان في الراس

(١) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية ح لأن أبا هاشم كنية السيد
الجمري . وسيأتي في الصفحة التالية هذا الخبر بين أبي دلّامة وأبي عطاء السندى . فلعل ذلك هو الذي أوقع
الناسخ في هذا البس .

٢٠

فَأَسْتَحْسِنُهَا، وَقَالَ لَهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ أَمْرِكَ هَذِهِ؟ فَأَخْرَجَ نَخْرِيطةً قَدْ كَانَ خَاطَهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : تَمْلَأُ لِي هَذِهِ دَارَهُمْ، فُلِمْتُ فَوَسِعَتْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ مَا حَتَبَسَهُ عِنْدَهُ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا وَشَبِيعًا، وَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ فَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ، فَبَالَتْ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ كَتِفِهِ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَّيْتُ عَلَى - لِأَخِيَّتِي - ثَوْبِي * فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ : أَجِزْ . فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا * مُطَهَّرَةٌ وَلَا غُلٌّ كَرِيمٌ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّتْهَا أُمُّ سَوَاءٍ . إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُ لُئِيمٌ

فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ! مَا حَلَّكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ ! وَاللَّهِ لَا أَنَا زَعَكَ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ : لِأَنْ يَكُونَ الْهَرَبُ مِنْ جَهَنَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا تُوِفِّي أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يَعْزُونُهُ ؛ فَأَنْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أُمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرَاهَا تَحْوِيلًا
وَبَلَى عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلِي كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا

رَأَى السَّفَّاحَ عِنْدَ
الْمَنْصُورِ فَغَضِبَ
وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى
الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ

١٢٤
٩

فَلْتَبْكِينَ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبَرَةً * وَلْيَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * بِجَعَلْتَهُ لَكَ فِي الثَّرَاءِ عَدِيلًا^(١)
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
أَلِشَّقِيقِي أَتَّحَرْتُ بَعْدَكَ لِلَّتِي * تَدَعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا
فَلَا حُلْفَةَ يَمِينٍ حَقٌّ بَرَّةً * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُؤْلًا^(٢)

قال : فَأَبْكِي النَّاسَ قَوْلُهُ . فغَضِبَ المنصورُ غضباً شديداً وقال : ائِنَّ سَمِعْتِكَ تُشِيدُ
هذه القصيدة لأَقْطَعَنَّ لِسَانَكَ . فقال أبو دُلّامة : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أبا العباس
أمير المؤمنين كان لي مُكْرِمًا وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ،
فقل كما قال يوسف لإخوته : (لَا تَثْرِيْبُ ، عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .
فُسِّرَى عن المنصور وقال : قد أَقْلَنَّاكَ يا أبا دُلّامة ، فَسَلْ حاجَتَكَ . فقال : يا أمير
المؤمنين ، قد كان أبو العباس أَمَرَ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض
ولم أَقْبِضْهَا . فقال المنصور : وَمَنْ يَعْرِفُ هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى
جماعة من حضر . فوثب سليمان بن مُجَالِدٍ وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دُلّامة ،
نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغِيْظٌ : يا سليمان أَدْفَعْهَا إليه
وسِيْرهُ إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن عليّ) ، وقد كان خرج بناحية الشام ،
وأظهر الخِلافَ) . فوثب أبو دُلّامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنِّي أَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ أُخْرَجَ
مَعَهُمْ ، فوالله إِنِّي لَمُسْتَعْوِمٌ . فقال المنصور : اِمْضِ فَإِنْ يُمْنِي يَغْلِبُ شُؤْمَكَ فَأُخْرَجُ .

(١) الثراء : لغة في الثرى . وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى : « بالتراب » . (٢) السؤل
يهمز ولا يهمز : ما سأله . (٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ،
خرج عليه ستة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة
هائلة دارت فيها الدائرة أخيراً على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجربَّ ذلك منى على مثل هذا العسكر؛
 فإنى لأدرى أيهما يغلب : أيمنك أم شؤمى ، إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ
 تجربة . قال : دَعْنِي من هذا فإلك من الخروج بَدْ . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شَهِدْتُ
 والله تسعةَ عشرَ عسكراً كُلُّها هُزِمَتْ ؛ وَكُنْتُ سَبَّيْهَا . فَإِنْ شِئْتَ الآنَ على بصيرةٍ
 أن يكونَ عسكركَ العشرين فافْعَلْ . فَاسْتَغْرَبَ أَبُو جَعْفَرٍ ضَحِكاً ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ
 مع عيسى بن موسى بالكوفة .^(٢)

أخبرنى عمى قال حدثنا الكزائى قال حدثنى العمري عن الهيثم بن عدي قال :
 لما مات أبو العباس السفاح وولى المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له
 أبو جعفر : ألسنتي القائل لأبي العباس :

أغضب المنصور
 لكثرة مدحه
 السفاح

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا * لِوَاءِ الْأَمْرِ فَانْتَقَضَ اللَّوَاءُ
 فَحَنَ رَعِيَّةٌ هَلَكَتْ ضَيْعاً * تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءُ
 قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبت والله ! أفلسَتِ القائل :
 هَلَكَ النَّدَى إِذْ بَنَتْ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلَا
 وَلَقَدْ سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
 وَلَقَدْ حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُولَا
 فقال أبو دلامة : إِنَّ أَخَاكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ غَلَبَنِي عَلَى صَبْرِي ، وَسَلَبَنِي عَزِيمَتِي ، وَعَزَّزَنِي
 بِإِحْسَانِهِ إِلَى وَجْزِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ مَا لَمْ أَتَأَمَّلْهُ ، وَإِنِّي أَرْغَبُ فِي الثَّنِ فَاسْتَفَرَّهُ
 السَّلْعَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا . فَإِنْ أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيَ ، أَخَذْتُ مَا أَخَذَ ، فَأَمْرٌ بِهِ فَخِيسٌ ثَلَاثَا
 ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَوَصَّلَهُ ، ثُمَّ حَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

(١) أى أكثر من الضحك وبالع فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي
 العباسي أمير الكوفة . وكان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدي ،
 ثم خلعه المهدي من ولاية العهد .

أمره روح بن
حاتم بمبارزة
خارجي نخده

١٢٥
٩

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثني أبو دلالة قال :

أتني بني المنصور أو المهديّ وأنا سكران ، فخلّف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبيّ لقتال الشّراة^(٢) . فلما آلتني الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأبّيت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ، ولأخذنّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فأسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

لما استجرتك أن أقدم في الوغى * لطاعين وتنازل وضرب
فهب السيف رأيتها مشهورة * فتركها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما يحيى وما يرى * من واردات الموت في الشباب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلالة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجنّ . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمُر لي بشيء آكله ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فزوّق وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فأقفعل^(٣) وعيناه تقدان ، فأسرع إليّ .

(١) هورج بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلاً شجاعاً جواداً . (٢) الشّراة : الخوارج . (٣) كذا في ح . واقفعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فافعل » ، هو تحريف .

فقلت له : على رَسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أقتل مَنْ لا يقا تلْك ؟ قال لا . قلت : أقتل رجلاً على دينك ؟ قال لا . قلت : أفستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقا تلْه إلى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ أو ترةٌ ، أو تعرفني بحالٍ تُحفظك على ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فأنصرف . قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن آكله معك ، وأحبُّ مواكلك لتتوكّد المسودةُ بيننا ، ويَرى أهلُ العسكر هوانهم علينا . قال : فأفعل . فتقدّمتُ إليه حتى اختلفتُ أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا صَحْكا . فلما استوفينا ودّعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلتُ ، ثم أنصرف وأنصرف . فقلت لروح : أما أنا فقد كنتُك قِرْنِي فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت ^(١) :

١٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى البراز فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت ^(٢) لها * وأصبحتُ لجميع الخلق بالرصد

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

٢٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فيخزي بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أوردكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد

(٢) في الأصول : « إن صدمت » وهو تحريف .

إن المهلب حب الموت أورتكم * وما ورنث اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لحدث بها * لكنّها خلقت فرداً فلم أجد
فضحك وأعفاني .

أمره مروان
ابن محمد بمبارزة
خارجي فخره
١٢٦
٩

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة :

كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى سنان الخارجي . فلما التقى الزحفان
خرج منهم رجل فنادى : من يارز ! فلم يخرج إليه أحد إلا أنجله ولم ينهه . فغاض
ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة ، فقتل أصحاب الخمسمائة ، فزاد
مروان وندبهم على ألف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتي
فرس لا أخاف خونه ، فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته وأفتحمته الصف . فلما
نظرني الخارجي علم أنني خرجت للطمع ، فأقبل إلى متهيناً وإذا عليه فرو قد أصابه
المطر فأبتل ، ثم أصابته الشمس فأقفعل ، وإذا عيناه قدان كأنهما من غورهما
في وقبين : فلما دنا مني أنشأ يقول :

وخارج أخرجه حب الطمع * فز من الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوي أهله فلا رجع *

فلما وقرت في أذني أنصرف عنه هارباً . وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟
١٥
إيتوني به ، فدخلت في غمار الناس فنجوت .

أعطاه موسى
ابن داود مالا
لبحج معه فهرب
إلى السواد وسكن
المال

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال
حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال :

(١) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . (٢) نهيه : كفه وزجره . وسياق الكلام
يقضي أن يكون « ولم يمهله » . (٣) في الأصول : « عن » . (٤) هذه لغة ضعيفة
وأفصح اللغات : « بخمسة الآلاف » . (٥) ترقبته : رصده . (٦) الوقب هنا : قفرة
في الجبل يجتمع فيها الماء .

(١) عززم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دُلّامة : ائجج معي
ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هايتها ، فدفعته إليه ، فأخذها وهرب إلى السّواد ،
بفعل يُنفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي قوت الحج
نفرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دُلّامة خارجاً من قرية إلى أخرى
وهو سكران ، فأمر يأخذه وتقيده وطرحه في تِجْل بين يديه ففعل ذلك به . فلما
سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيّها الناس قولوا أجمعون معاً * صليّ الإله على موسى بن داود
كأنّ ديباً جنى خذبه من ذهب * إذا بدا لك في أثوابه السّود
لما أعبذ بداويد وأعظمه * من أن أكلف حجاً يا بن داود
خبرت أن طريق الحجّ معطشة * من الشراب وما شربني بتصريد^(٤)
والله مافي من أجر فتطلبه * ولا الشاء على ديني بمحمود
فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن التّحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه^(٥)
بالسّواد ، حتى نفدت العشرة آلاف درهم .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير عن جعفر بن الحسين اللّهيّ ،
وأخبرني عمي عن الكُرّانيّ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال :
قال أبو أيّوب الموريانيّ لأبي جعفر ، وكان يشأ أبا دُلّامة ، : إن أبا دُلّامة
معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجداً ، وقد أفسد فتيان العسكر . فلو أمرته

أمره المنصور
بملازمة الجماعة
في مسجد القصر
فقال شعرا يستغفبه

(١) هو ابن عم السّفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده
موسى . فاستعمل السّفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) في الأصول : « خارج » . (٣) في الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) صرد شربه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة .
(٦) كذا في - . وفي سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكريك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : يا بن اللئناء ، ما هذا المجون الذي يلغنى عنك ! . قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفتُ بابَ قبري ! . قال : دعني من استكانتك وتضرعك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي . فلئن فاتتك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك . فوقع في شر ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصته ^{١٢٧} ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تعلم أن الخليفة لزمني * بمسجده والقصر مالى والقصر !
أصلى به الأولى جميعاً وعصرها * فويلي من الأولى وويلي من العصر
أصليهما بالكفر في غير مسجدي * فإلى في الأولى ولا العصر من أهر
لقد كان في قومي مساجد جمّة * سواء ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شئت خطة * يحط بها عني الثقيل من الوزر
وما ضره والله يغفر ذنبه * لو آت ذنوب العالمين هلى ظهري
قال : فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأباه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عدي^(٣)
وروايته بعض من روى عن الزبير .

أن أبا جعفر كان يحب العبث بأبي دلامة — وقال الآخر : إن أبا العباس السفاح
كان يحب ذلك — فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه . فعاتبه

٢٠ (١) لزه بكذا : ألزمه إياه . (٢) في ج : «وعول» . (٣) في ح : «الخرزى» .
وفي أ ، م : «الخرزى» .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّيَ . فعلم أنه يُحَاجِرُهُ ،^(١)
فأمر الربيع أن يوَكِّلَ به من يُحَضِّرُهُ الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال
ذلك عليه قال :

ألم تَرَيَا أَنْتَ الخليفةَ لَزْنِي * بمسجده والقصرِ مالى وللقصر!
فقد صَدَّنِي عن مسجدٍ أَسْتَلِّدُهُ * أَعْلَأُ فيه بالسَّاعِ وبالخمر
وكَلَّفَنِي الأولى جميعاً وعصرها * فويل من الأولى وعَوَّلِي من العصر
أَصَلَّيْهُمَا بالكُره في غير مسجدى * فإلى من الأولى ولا العصر من أجر
يَكَلِّفَنِي من بعد ما شِدْتُ تَوْبَةً * يَحُطُّ بها عني المثاقيل من وزري
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّة * ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدرى
ووالله مالى نِيَّةٌ في صلاته * ولا البر والإحسان والخير من أمرى
وما ضَرَّه والله يغفر ذنبه * لو آتَ ذنوبَ العالمين على ظهري

فبلغته الأبيات فقال : صدق ! ما يَضُرُّنِي ذلك ، والله لا يصلح هذا أبداً ، فدَعَوْهُ
يعمل ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر : قد أعفيناك من هذه الحال ،
ولكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أَظَلَّ^(٢) . فقال : أفعل . قال :
إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك . ووالله لئن فعلت لأحدَّكَ . فقال أبو دُلَامة :
البلية في شهر أصلح منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة . فلما حضر شهر رمضان
لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يحمي به ؛ فشق ذلك عليه ،
وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد الله وكل من كان يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء

أزيمه المنصور
بالقيام شهر رمضان
فكتب إلى ربيعة
شعرا يستشفع بها
للمهدي

(١) يعني : يخلص منه ويتحلل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظَل : غشى وأشرف
وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير . كان من رجالات
المنصور ثم المهدي . عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من القيام ، فلم يُجيبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف
شُكرك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك رِبطَةٌ ^(١) فإنَّه لا يخالفها . قال : صدقتَ والله ،
ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

١٢٨
٩

أبلغا رِبطَةَ أُنَى * كنتُ عبداً لأبيها
ففضى يرحمه الله * له وأوصى بي إليها
وأراها نَسِيتُنِي * مثَل نسيانِ أخيها
جاء شهر الصَّوم يمشي * مِشيَّةً ١٠ أَشتَهِيا
فأندأ لى ليلة القَدِّ * رِكاثي أُنغِيا
تَنطَحُ القِبلةَ شَمِراً * جَهَنِّي لَأَنالِيا
ولقد عشتُ زماناً * في فَيَافِي وجِها
في لِيالٍ من شتاءٍ * كنتُ شيخاً أَصْطَلِيا
قاعداً أوقِدُ ناراً * لِضَبابِ أَشْتَوِيا
وصَبوحٍ وغَبوقٍ * في عِلابٍ ^(٢) أَحْتَسِيا
ما أبالي ليلة القَدِّ * ر ولا تُسْمِعِنيها ^(٣)
فاطلبي لى فرجاً مني * بها وأَجْري لكَ فيها

١٠

١٥

فلما قرأتِ الرُقعةَ ضَحِكتُ وأرسلتُ إليه : اصْطبرْ حتى تَمُتِيَ ليلةَ القَدْرِ . فكتب
إليها : إني لم أسألكِ أن تكلمي في إعفائي عاماً قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد
فَنِيَ الشَّهرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) رِبطَة : هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي . (٢) العلاب : جمع

علبة وهي قَدَح ضخم من جلود الإبل أو هي قَدَح من خشب . (٣) لا هنا نافية ، وهو خبر
يراد به النهي .

- خافي إلهك في نفيس قد آخَضِرَتْ * قامت قيامتها بين المصلين
 ما ليلة القدر من همى فأطلبها * إني أخاف المنيا قبل عشرينا
 يا ليلة القدر قد كَسَّرَتْ أَرْجُلَنَا * يا ليلة القدر حَقًّا ما تُمَنِّينَا!؟
 لا بارك الله في خير أُوْمَلُّهُ * في ليلة بعد ما قننا ثلاثين
 فلما قرأت الأبيات نَحِكتُ ، ودخلت إلى المهدي فشَفَعْتُ له إليه ، وأنشدته
 الشعرين ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به ورِيْطَةٌ معه في الجملة ^(١) فدخل ، فأخرج رأسه
 إليه وقال : قد شَفَعْنَا رِيْطَةَ فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعَةُ
 سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته ؛
 إما أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ،
 فإني لا أحسنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة . قال : أعيدك بالله أن
 تختار أدنى الحالين وأنت أنت . فعِث به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه رِيْطَةٌ فأتتها
 له عشرة آلاف درهم .

أنشد المهدي شعره
 في نخاس فضحك
 منه

- أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال :
 مرَّ أبو دُلَّامة بنخَّاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منه من كل شيء حسن ،
 فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده :
 ١٥

إن كنت تبغى العيش حلواً صافياً * فالشعر أعزبه وكن نخَّاسا
 تنل الطوائف من طراف نُهْدٍ .. يُخْدِشُ كُلَّ عَشِيَّةٍ أَعْرَاسِ
 والرجح فيما بين ذلك راهبٌ * سَمَحاً ببيعك كنت أو مكَّاسا ^(٢)
 دارت على الشعراء حِرْفَةُ نُوْبَةٍ ^(٣) * فتجزعوا من بعد كأس كاسا

١٢٩
٩

- (١) الجملة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور . (٢) مكس في البيع يمسك (من باب
 ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : «نوبة حرفة» .

وَتَسْرَبُلُوا قُمُصَ الْكَسَا فَاوَلُوا * بالنَّخْسِ كَسْبًا يُذْهِبُ الْإِفْلَاسَا
بِفَعْلٍ الْمَهْدَى يَضْحَكُ مِنْهُ .

لَفَقَى رُؤْيَا لِلْمَنْصُورِ
وَأَخَذَ مِنْهُ ثِيَابًا

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ النَّطَّاحِ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي * ثِيَابًا بَحْمَةً وَقَضَيْتَ دِينِي

فَكَانَ بِنَفْسِي انْخَرَفَ فِيهَا * وَسَاجُ نَاعِمٍ^(١) فَاتِمٍّ زَيْنِي

فَصَدَّقْ بِأَفْذَنِكَ النَّفْسُ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي

فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : لَا تَعُدْ أَنْ تَحْلُمَ عَلَى ثَانِيَةٍ^(٢) ، فَأَجْعَلَ حُلْمَكَ أَضْغَاثًا وَلَا أُحَقِّقَهُ .

حَبَسَهُ الْمَنْصُورُ
لِسُكْرِهِ فَبَعَثَ لَهُ مِنَ
الْحَبْسِ شَعْرًا فَعَفَا
عَنْهُ

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَمَضَى فَشَرِبَ نِي بَعْضِ الْحَانَاتِ فَسُكِرَ وَأَنْسَرَفَ وَهُوَ يَمِيلُ .
فَلَقِيهِ الْعَسَسُ فَأَخَذُوهُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ

لَأَنِّي أَصْطَبِحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ * فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بَرَأْسِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فَأَخَذُوهُ وَمَضَوْا ، وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَسَاجَهُ وَأَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ — وَكَانَ يُؤْتَى بِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ

الْعَسَسُ — فَحَبَسَهُ مَعَ الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غُلَامَهُ مَرَّةً وَجَارِيَتَهُ

أُخْرَى فَلَا يَجِيبُهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّجَاجِ وَزُقَاءَ الدُّيُوكِ . فَلَمَّا

أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَيَلَّكَ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ :

فِي الْحَبْسِ ، وَأَنَا فُلَانُ السَّجَّانِ . قَالَ : وَمَنْ حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

(١) السَّاجُ : الطَّبْلَسَانُ الْأَخْضَرُ وَقِيلَ الْأَسْوَدُ وَقِيلَ الْمَقُورُ يَنْسُجُ كَذَلِكَ . وَفِي الْأَسَاسِ : « لِبَسُوا

السَّيْجَانَ وَهِيَ الطَّبَالِسَةُ الْمُدَوَّرَةُ الْوَاسِعَةُ » . (٢) فِي ب ، س : « النَّاسِ » .

(٣) مَحَلُّ فُلَانٍ : قَالَ حَلَمْتُ بِكَذَا وَهُوَ كَاذِبٌ .

وَمَنْ نَحَرَ طَبْلَسَانِي؟ قَالَ : الْحَرَسُ . فطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَعَمِلَ ،
فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي * عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَنَحَرْتَنِي سَابِحِي
أَمِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّظْفِ النَّضَاجِ^(١)
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الزُّجَاجِ^(٢)
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُسْبَتْ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُسْبْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَلِمَنْ لَأَقِيتُ شَرًّا * لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُسْبَتْ يَا أَبَا دُلَامَةَ؟ قَالَ : مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ
تَصْنَعُ؟ قَالَ : أَقْبَوِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِهِ بِجَائِزَةٍ .
فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ وَقَدْ طَبَخْتَ
بِنَارِ اللَّهِ؟ (بَعْنَى الشَّمْسِ) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَيْثُ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ «طَبِخْتُ بِنَارِ اللَّهِ» تَعْنِي الشَّمْسُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمَوْقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعُ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ .

١٣٠
٩

قَالَ ابْنُ النَّظَّاحِ : وَمَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِبَيْتٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :
رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي النَّوَامِ * قَوَاصِرَ مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ^(٣)

لَفَقَ رَوْيَا لَتَمَارَ
وَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرًا

(١) النطفة : الماء الصافي قل أو أكثر . (٢) في ١ ، ٣ : « برقت » . وترقق :
تلا لا أي تجي ، وتذهب . (٣) قواصر : واحدة قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع
فيه السم من البواري .

فَأَمَّ الْعِيَالُ وَصِيَّانَهَا * إِلَى الْبَابِ أَعْيُنُهُمْ طَاعَهُ
فَاعْطَاهُ جُلَّتْ تَمَرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا . فَأَخَذَهُمَا
وَانْصَرَفَ .

وَقَالَ ابْنُ النُّطَّاحِ :

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ فَانْشَأَ يَقُولُ :

إِنِّي نَذَرْتُ لَنَرَأَيْتُكَ سَالِمًا * بَقَرَى الْعِرَاقَ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ

لَتُصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * وَلَتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي

فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُسَمَّى
بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْمَهُمَا . فَأَمَرَ بِأَنْ يُمْلَأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا .

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ
عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

قَدِمَ الْمُهَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غُرَوَاتِهِ ، فَلَقِيَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ . فَدَنَّتْ وَقَبَّلَتْ يَدَهُ وَقَالَتْ : هَذَا نَذْرُكَ
عَلَيَّ ، إِنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبَ لِي أَرْبَعًا دَرَاهِمَ
وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَخْدُمُنِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ وَقَّيْنَا بِنَذْرِكَ ، ادْفَعُوا إِلَيْهَا
ذَلِكَ ، وَإِيَّاكَ يَا أُمَّاهُ وَهَذِهِ النُّذُورُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهَا وَيَنْشِطُ لِتَحْلِيلِكَ مِنْهَا .

قَالَ ابْنُ النُّطَّاحِ :

وَصَامَ النَّاسُ فِي سَنَةِ شَدِيدَةِ الْحَرِّ عَلَى عَهْدِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ أَبُو دُلَّامَةَ
يَنْتَجِزُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ رُقْعَةٌ يَشْكُو فِيهَا أَذَى الْحَرِّ
وَالصَّوْمِ وَهِيَ :

(١) الْجِلَّةُ (بِالْف) : قَفَّةٌ كَبِيرَةٌ لِلتَّمَرِ .

هنا المهدي بقدمه
من الري فلا حجره
دراهم

خبر من الصوم
والحرف فكتب
للمهدي شعرا فعجل
جائزته

- أدعوك بالرحم التي هي جمعت * في القرب بين قريتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشي * من منشد يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبدا * أرجو رجاء الصائم المتعبدا
ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيسا بالعذاب المؤصد^(١)
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يناطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطلك بالذى * أسلفتني من البلاء المرصد
فلما قرأ المهدي رفته غضب وقال : يا حاض كذا من أمه أي قرابة بني وبينك ؟ !
قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ،
وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال
حدثنا الخزازي عن المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضا في ذم الصوم :
هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففي جلده من خسنة برش^(٢)
— يعني أن جلده الرزق خشن الملمس فهو يفتش كما يفتش الضب — أشعر :
أضحي الصيام منيخا وسط عرصتنا * نيت الصيام بأرض دونها حرش^(٣)
إن صمت أوجعني بطني وأقلبنى * بين الجوائح مس الجوع والعطش^(٤)
وإن خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرتني بصر قد خانه العمش^(٥)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره :

١٣١
٩

عزى أم سله بنت
يعقوب في السفاح
فأضحكها

- (١) المؤصد : المطبق . (٢) في الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احتش الضب
وحرشه : صاده ، وهو أن يحرك يده على حجره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل :
« أتعلني بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالشي من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة :
الخشونة . يتنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دلّامة على رَيطَة بعد وفاة المهديّ، وقال أُنّ النطّاح : دخل على أمّ سَلَمَة بنتِ يعقوب بن سَلَمَة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدتها :

مَنْ جُجِلَ فِي الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَمْ يَكُنْ * صَبْرِي عَلَيْكَ غَدَاةٌ بِنْتُ جَمِيلَا
يَحْدُونُ أَبَدًا لَهُ وَأَنَا أَمْرٌ * لَوْ مِتُّ وَجَدًا مَا وَجَدْتُ بَدِيلَا
لَأَنَّى سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَجُودَ مَنْ سَأَلْتُ بِجَمِيلَا

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ . لَمْ أَرِ أَحَدًا أَصِيبَ بِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ . فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ يَرَحُّكَ اللَّهُ، لَكَ مِنْهُ وَلَدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ . فَضَحِكْتُ — وَلَمْ تَكُنْ مِنْذَمَاتِ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَحِكْتُ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتُ — وَقَالَتْ لَهُ : لَوْ حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لِأَضْحَكْتَهُ .

أخبرنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك قال :

خدع المهديّ بموت
زوجته وخذعت
زوجته الخيزران
بموتة كذلك فضحكا
منهما

دخل أبو دلّامة على المهديّ وهو يبكي . فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : مَاتَتْ أُمُّ دَلَامَةَ، وَأَنشَدَهُ لِنَفْسِهِ فِيهَا :

وَكُنَّا كَرْوِجٍ مِنْ قَطَا فِي مَنَازِلَةٍ * لَدَى خَفِضٍ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَبُّبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ * وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فَأَمَرَ لَهُ بِثِيَابٍ وَطِيبٍ وَدَنَانِيرٍ، وَخَرَجَ . فَدَخَلَتْ أُمُّ دَلَامَةَ عَلَى الْخَيْزُرَانِ فَأَعْلَمَتْهَا أَنَّ أَبَا دَلَامَةَ قَدْ مَاتَ، فَأَعْطَتْهَا مِثْلَ ذَلِكَ، وَخَرَجَتْ، فَلَمَّا التَقِيَ الْمَهْدِيُّ وَالْخَيْزُرَانِ عَرَفَا حِيلَتَهُمَا بِفَعْلَا يَضْحَكَانِ لِذَلِكَ وَيَعْجَبَانِ مِنْهُ .

(١) أم سلمة : هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح، وتزوجها بعده عبد الله

ابن عبد الحميد المخزومي . (انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) . ٢٠

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب
آبن النطاح قال :

فرض له المنصور
على كل هاشمي عطاء
فنقصه العباس بن
محمد دينارين فذمه

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

أما ورب العاديات صُبْحًا * حقًا ورب الموريات قَدْحًا
لأن المغيرات على صُبْحًا * والناكثات من فؤادي قَرْحًا
عشر إيل بنهن صُبْحًا * يحلفن مالي ككل عام صُبْحًا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلامة؟ قال: أربعة وعشرين سنة. ففرض له
على كل هاشمي أربعة وعشرين دينارًا، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد
في عشر الأصحى يتنجزها. فقال: يا أبا دلامة، أليس قد مات أبوك؟ قال بلى.
قال: أنقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك علي ولدين. فابى
إلا أن ينقصه. فخرج وهو يقول:

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله * فاغسل يديك من العباس بالياس
واغسل يديك بأشنان^(١) فأنقهما * مما تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك يا عباس عن قرع * جنات عدن وعن جرزي^(٢) آس

- ١٥ (١) الضيح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا جحمة. (٢) نكأ القرع: قشره قبل أن يبرأ فيبندى. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرقة؛ ففي ح: «الناكثات». وفي أ، م: «الناكثات». وفي ب، س: «الفاتكات». (٣) في الأصول: «قدحا» بالبدال، وهو تحريف. (٤) في أ، م: «صبا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتها غير واضحة. (٥) يحلفن: يستأصلن. وفي ب، س: «يتلفن». وفي سائر الأصول: «يحلفن» بالحاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفا عن «يحلفن» بالالف بمعنى يستأصلن أيضا. (٦) الأشنان (بالضم): حمض تفصل به الأيدي. (٧) الجرزة: الخزمة.

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الديارين على بن صالح وقال له : إنما نقصتُك دينارين لموت ابنك دلامة . فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مغضباً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : أولى له . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمنه . وقد كان قال فيه :

لعلى بن صالح بن علي * نسب لو يعينه بساج
وبنو مالك كثير ولكن * مالنا في بقائهم من فلاح
غير فضيل فإن للفضل فضلاً * مستبيناً على قریش البطاح

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

خاصم رجل أبا دلامة في داره ، فأرتفعا إلى عافية القاضي فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتني دهاء الرجال * وخصمتها سنة وإفيه
فأدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكوئك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني . قال : إذا يعزلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لاتعرب المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهديد والتوعد .

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

أمره المهدي بهجاء
أحد الحضور
فهجا نفسه

دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى
والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أعطى
الله عهداً لئن لم تهجّ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك — ويقال إنه قال : لأضربن
عنقك — فتطوّل إليه القوم ، فكلمنا نظر إلى واحد منهم غمز به عليه رضاه . قال
أبو دلامة : فعلمتُ أنّي قد وقعتُ وأنها عزيمةٌ من عزّماته لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً
أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أبلغُ إليك أبا دُلامة * فليس من الكرام ولا كرامة

إذا ليس العمامة كان قرداً * وينتزيهاً إذا نزع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤماً * كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإنّك قد أصبحت نعيم دُنيا * فلا تفرّح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجاز به .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال :

قال شعرا في المهدي
وعلى بن سليمان
وقد خرجا للصبيد
فأصاب الأثرل
وأخطأ الثاني

نخرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصبيد ، فسَنَحَ لهما قَطيعٌ من ظبَاء ، فَأُرْسِلَتِ
الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديّ ظبيّاً بسهم فصرعه ، ورمى عليّ بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهديّ ظبيّاً * شكّ بالسهم فؤاده

وعليّ بن سليمان * ن رمى كلباً فصّاده

فهنيئاً لهما كلٌّ أمرئٍ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلالة ، وأمر له بجائزة سنوية . أخبرني بهذا الخبر عتي عن الكزائي عن العُمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فلقب علي بن سليمان "صائد الكلب" وعلق به .

١٣٣
٩

أنشد المنصور
شعرا فأعطاه دارا
وكفوة ثم احتاج
الى الدار وعوضه
بدها

قال ابن النطاح : وأنشد أبو دلالة المنصور يوما :

هاتيك والدتي عجوز هـ^(١) * مثل البليّة دِرْعُها في المشجب^(٢)
مهزولة الخمين^(٣) من يرها يقل * أبصرت غولا أو خبا ، القطرب^(٤)
ما إذ تركت لها ولا لابن لها * مالا يؤمل غير بكر أجرب
ودجائجا خمسا يرحن اليهم^(٥) * لما يبيضن^(٦) وغير غير مغرب^(٧)
كتبوا إلى صحيفة مطبوعة^(٧) * جعلوا عليها طينة كالقرب
فعلبت أن الشر عند فكائها * ففككتها عن منل ربح الجورب
وإذا شبيه بالأفاعى رقت^(٨) * يوعذني بتلطي وتؤب^(٨)
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم^(٩) * لزبا فهل لك في يال لزب
لا يسألونك غير طل سحابي * تغشاهم من سبيلك المتحلب
يا باذل الخيرات يابن بدولها * وآبن الكوام وكل قريم منجب
أتم بنو العباس يعلم أنكم * قدما فوارس كل يوم أشهب

(١) الهمة : العجوز القانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موقفة منصوبة توضع عليها الثياب وتلشر . يريد أن أمه فتيت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) الحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . (٤) القطرب هنا : ذكر الغيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز في تابع المستقى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرقاعه . (٧) مطبوعة : مخنومة . (٨) فى الأصول : «وتأوب» ويقال لغة ثأب وتأوب بالضعيف . وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون فى «تأففة ألف الأساس» ، وإذا كانت لُزمت فى القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَاسُ خَيْلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال : فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم . وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعوته إليها . فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةُ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ

فهو كالماخض التي اعتادها الطلأ * قُيِّقَ فَقَرَّتْ وَمَا يَقَرُّ قَرَارُهُ

إِنْ تَحْزُ عُسْرُهُ بِكَفِّكَ يَوْمًا * فَبِكَفِّكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ

أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ ، وَأَنْتِ * وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَتَّى بَوَارُهُ

هَلْ يَخَافُ الْهَلَاكَ شَاعِرُ قَوْمٍ * قَدَّمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ

لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعْيَرُوا * شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ

فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَعْرَيْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فَأَسْتَعْبَرَ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَ بِتَعْوِيضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصَلَهُ .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده مُحَرِّزٌ وَمُقَاتِلٌ ابْنَا دُؤَالٍ يَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيْبِهِ .

أَبَا دُلَامَةَ وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحَرِّرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي

أَلَمْ تَرْحَمْ الْعَلَجَيْنِ مِنَ الْحَيْنَيْنِمَا * وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِحَلَقِهِمَا مِنْ مُحَرِّزٍ وَمُقَاتِلِ

فَإِنْ يَأْذِنُ الْمَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقُلُّ * مَقَالًا كَوَقْعِ السِّيفِ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ

وَلَا تَدْعُنِي وَالْمَمُومُ تَتَّوْبُنِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعَلَجَيْنِ جَمُّ الْبَلَابِلِ^(٣)

عابه عند المهدي
محرز ومقاتل ابنا
دؤال فهجاهما
بمحضرته

١٣٤
٩

٢٠ (١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غيرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أي ولا تفعل تدعني .

فقال . أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يقديان بها أعراضهما منك ؟ قال :
ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

قال ابن النطاح :

مدح سعيد بن دعلج
فأجازه

ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج^(١) مولى بني تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل « سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبح من غريم
غريم لازم بفناء بيتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(٢)
له مائة على ونصف أخرى * ونصف التصف في صك قديم
دراهم ما آتفت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم ألك في العشيرة باللثيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد
كافأتك عن قومك وزدتك مائة .

(١) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدثها لأبي جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضاً وعزله بعد
ذلك . وولى للهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)
(٢) قال الزنجشیری فی تفسیر قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا) : « الرقيم اسم كلهم ، قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقوا حديثهم
نقرا في الجبل ، وقيل : هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين
غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفي اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة
أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم . الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد .
الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادي . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول
يذهب أهل اللغة » .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهيّ عن عمّه
مصعب :

داعب المنصور
في جنازة بنت عمه
حتى ضحك

أن حمّادة بنت عيسى تُوفيت وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حُفرتها
قال لأبي دُلّامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمّادة
بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتُدفن فيها . فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه .

أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرّانيّ قال قال أبو عمر
حفص بن عمر العمرى حدّثنا الهيثم قال :

سأل الخيزران
جارية فوعده
بها وأبطأت
فاستنجزها بشعر،
وفصة زوجته وابنه
مع هذه الجارية

تحت الخيزران، فلما خرجت صاح بها أبو دُلّامة . قالت : سلّوه ما أمره .
فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : أدنوني من تحملها . قالت : أدنوه ، فأذني . فقال : أيتها
السيدة ، إنني شيخ كبير وأجرك فيّ عظيم . قالت : فقه . قال : تهين لي جارية من
جواريك تؤسني وترفق بي وترينني من عجوز عندي ، قد أكلت ريفدي ،
وأطالت كدّي ، وقد عاف جلدي جلدّها ، وتمتيت بُعدها ، وتشوّقت فقدها .
فضحك الخيزران وقالت : سوف أمرُك بما سألت . فلما رجعت تلقّاها
وذكّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض^(١) . ثم دخل على أمّ عبيدة حاضنة
موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أبليغي سيّدتي بالليّة يا أمّ عبيدة
أنها أرشدّها اللّهُ وإن كانت رشيدة
وعدّتي قبل أن تحي * ربح للحجّ وليده
فتأيت وأرسل * ست بعشرين قصيده

(١) غرض : خيّر ومَلَّ .

كَلَّمَا أَخْلَقْنِ أَخْلَقَ * مَتُّ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَه

لَيْسَ فِي بَيْتِي لَنْهِي * مَدِ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَه

غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ * سَاقُهَا مِثْلُ الْقَدِيدَه

وَجْهُهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو * يَتِ طَرِيٌّ فِي عَصِيدَه

مَاحِيَةٌ مَعَ أَتْنِي * مِثْلُ عِرْسِي بِسَعِيدَه

١٣٥
٩

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ ضَحِكَتْ وَأَسْتَعَادَتْهَا مِنْهُ لِقَوْلِهِ « حُوتَ طَرِيٌّ فِي عَصِيدَه »
وَجَعَلَتْ تَضَحُّكُهَا، وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقَمَتْ فَقَالَتْ لَهَا : خُذِي كُلَّ مَا لَكَ
فِي قَصْرِى فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ دَعَتْ بِبَعْضِ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمْهَا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ . فَأَنْطَلَقَ
الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ فَأَدْفَعِيهَا إِلَيْهِ ، وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ
لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ مُحَبَّةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ آثَرْتُكَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا نَزَلَ دَخَلَ
أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي . فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَبْرَأَ
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ . فَقَالَ : قُولِي مَا شِئْتِ لِأَنِّي أَفْعَلُهُ . قَالَتْ : تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَتُعَلِّمُهَا
أَنَّكَ مَالِكُهَا وَتَطْوُّهَا فَتَحْرُمَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا دَهَبْتَ بِعَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ . فَفَعَلَ وَدَخَلَ
إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّأَهَا وَوَأَفَقَهَا ذَلِكَ مِنْهُ : وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ :
أَيْنَ الْجَارِيَةِ ؟ قَالَتْ : فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ مُحْطَمٌ ذَاهِبٌ ، فَدَبَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبَلَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ وَيْلَكَ ! تَنْسَحُ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَقْتُ
مِنْهَا أَنْفَكَ . فَقَالَ لَهَا : أَهَذَا أَوْصَيْتُكَ السَّيِّدَةُ ! . فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ بَعَثَتْ بِي إِلَى
فَتًى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي أَنْفًا ، وَنَالَ مِنِّْي حَاجَتَهُ . فَعَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ دَهَى مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ وَحَلَفَ

(١) كَذَا فِي ١٠ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « أَخْلَقْنِ » بِالْفَاءِ الْمَرْحَلَةِ .

(٢) لَيْهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَيْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صُدْرِهِ وَنَحَرِهِ فِي الْخَصُومَةِ ثُمَّ جَزَّهُ .

أَلَا يَفَارِقَهُ إِلَّا عِنْدَ الْمَهْدَى . فَمَضَى بِهِ مُلَبِّبًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَهْدَى . نَعْرِفُ
خَبْرَهُ وَانْه قَدْ جَاءَ بِابْنِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ ؟ قَالَ : عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَيْثَمَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ بِأَبِيهِ ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ
تَقْتُلَهُ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ فَمَا فَعَلَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ . فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلْقَى ثُمَّ جَلَسَ . فَقَالَ
لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : أَعْجَبَكَ فَعْلُهُ فَتَضَحَكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : عَلَى بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَقَالَ لَهُ
دُلَامَةُ : قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : هَذَا
الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا ، يَبْنِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَنَكْتُ جَارِيَتَهُ
مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدَى أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكَه الْأَوَّلِ ،
ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لَهُ يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أَعْصِيكَ خَيْرًا مِنْهَا . قَالَ : عَلَى أَنْ تَجْأُهَا لِي
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ إِلَّا يَعَاوِدُ
بِمِثْلِ فَعْلِهِ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتْلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

وقال ابن النطاح :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدَى وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْسِدُهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ :
إِنَّهُ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدْ نَفْسَكَ لَهُ . فَقَالَ الْمَهْدَى : وَأَبْيَكَ إِنَّهَا لِكَلِمَةٍ عَذْرَاءُ
مِنْكَ ، أَحْسَبُكَ تَعْرِفُهُ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ وَلَا قُلْتُ أَنَا إِلَّا حَقًّا . فَأَمَرَ لِلشَّاعِرِ
بِجَائِزَةٍ ، وَلَأَبَى دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ مُحَضَّرِهِ .

سأله المهدي عن
شاعر فاطمراه
فأجازه لحسن
محضره

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيْلُ قَالَ :

رَأَيْتُ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ قُرُوءَةً فِي الصَّيْفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ الْقُرُوءَةَ ! قَالَ :
بَلَى ، وَرَبِّ مَمْلُوءٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ . فَتَزَعْتُ فَاضِلَ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .

خلع عليه العقيل من
ثيابه التي عليه

قَالَ : وَأَهْدَى لِلْمَهْدَى فَيْلًا ، فَرَأَاهُ أَبُو دُلَامَةَ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ :
يَا قَوْمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَيْلَ بَعْدَكُمْ * لَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي رُؤْيَا الْفَيْلِ

فزع من رؤية
الفيل وقال فيه
شعرا

ابصرتُ قصرًا له عينٌ يعلِّبها * فكذتُ أرمي بسَلْحِي في سَرَويلي
قال ابنُ النطَّاح :

أنشد المهدى شعرا
في بقلته واستوجهه
أخرى غيرها

ودخل أبو دلامة على المهدى^(١) فأنشده قصيدته في بقلته المشهورة :
أتانى بغِلَّةٍ يَسْتامُ مِنِّي^(٢) * عريقٌ في الخسارة والضلال
فقال تبيعها؟ قلت أرْتَبِطُها * بجحكك إن بيعى غير غالى
فأقبل ضاحكا نحوى سرورا * وقال أراك سَمَحًا ذا جمال
هَلُمَّ إِلَى يَخْلُوبِي خِداعًا * وما يَدْرِى الشَّقِيُّ بمن يَخَالِي^(٣)
فقلتُ بأربعين فقال أحسن * إلى فإن مثلك ذو سِجَال
فأتركتُ خمسةً منها لعلبى * بما فيه يصير من الخيال

١٠ فقال المهدى : لقد أفلت من بلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ
شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها . قال : ثم أنشده :

فأبدلنى بها يا ربَّ طِرْفًا^(٤) * يكون جمالَ مرْكَبِهِ جَمَالِي
فقال لصاحب ذوابه : خيِّره من الإصْطَبِلِ مرْكَبَيْنِ . قال : يا أمير المؤمنين إن
كان الاختيار لى وقعتُ في شرٍّ من البَغْلَةِ، ولكن مرُّهُ أن يختار لى، فقال : آخترله .
١٥ وأخبرنى به عمى عن الكرائى عن العُمري عن الهيثم بن عديّ، وخبره أتم .

وأخبرنى محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عديّ قال :
دخل أبو دلامة يومًا على المهدى، فحادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي
أحدٌ من أهلى لم يصلك ؟ قال : إن أُمْنَتْنِي أخبرْتُك ، وإن أعْقَيْتَنِي فهو أحبُّ إلى .
قال : بل تُخبرنى وأنت آمن . قال : كلُّهم قد وصلني إلّا حاتمَ بنى العباس . قال :

احنال على العباس
ابن محمد بشعرواخذ
منه ألفى درهم
ركان راهن المهدى
على ذلك فأخذ
منه ستة آلاف

(١) في ج : « أتانى خائب » . (٢) استام : طلب السوم أى تعيين الثمن . (٣) السجال هنا :
المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس فى الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) فى ب ،
س : « بين مركبين » .

(١) ومن هو؟ قال: عمك العباس بن محمد. فالتفت إلى خادم على رأسه وقال: جأ عُنقِ العاصِ بظُرْ أُمِّه. فلما دنا منه صاح به أبو دُلَامة: تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخَنِّث مولاك وتُكُثِّ عَهْدَه وأمانَه. فضحك المهدى وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه، ثم قال لأبي دُلَامة: وَيْلَكَ! والله عَمِي أَبْخُلُ الناس. فقال أبو دُلَامة: بل هو أَخَنَى الناس. فقال له المهدى: والله لو مِيتَ ما أعطاك شيئاً. قال: فإن أنا أُمِيتُهُ فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فأنصرف أبو دُلَامة فخرَّ للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه وأنشده:

قَفَّ بالديارِ وأَيُّ الدهرِ لم تَقِفْ * على المنازلِ بين الظُّهرِ والنَّجَفِ
وما وَقُوفُكَ في أَطْلالِ مَنزِلَةٍ * لولا الذي أَسْتَدْرَجْتُ من قَلْبِكَ الكَلَفِ
١٠ إن كنتِ أَصْبَحْتَ مشغولاً بِساكنها * فلا وربَّكَ لا تَسْفِيكَ من شَغَفِ
دَعْ ذا وَقُلْ في الذي قد فاز من مُضِرٍ * بالمَكْرُماتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرِفِ^(٣)
هذي رسالةُ شَيْخٍ من بَنِي أَسَدٍ * يَهْدِي السَّلامَ إلى العباسِ في الأَمْحَفِ^(٤)
تَخْطُها من جَواري المِضِرِّ كاتِبَةٌ * قد طالما ضَرَبْتُ في اللامِ والأَلِفِ
وطالما أَخْتَلَفْتُ صَيْفاً وشاتِيةً * إلى معلِّمها بالألواحِ والكَتِفِ^(٥)
١٥ حتَّى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وأَمْتَلَأا * منها وخِيفَتْ على الإِسْرافِ والقَرْفِ^(٦)
صَبِنَتْ ثلاثَ مِيزِينٍ ما تَرى أحداً * كما يَصونُ تِجَارُ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نحو مَجْلِسِهِ * مبادِراً لصلاةِ الصُّبْحِ بالسَّدَفِ^(٧)
حانتَ له لَحْظَةٌ منها فأبصرَها * مُطَلَّةً بين سَجَفَيْها من الغُرفِ

١٣٧
٩

(١) جأ: اضرب. (٢) الظهر: موضع. والنجف (بالتحريك): موضع بظهر الكوفة

وهو دومة الخندل بعينها، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب. (٣) في ب، س:

«عزم». (٤) مقترف: مكتسب. (٥) في ب، س: «ضيفا» بالضاد المعجمة

وهو تصحيف. (٦) القرف: التهمة. (٧) السدف: الظلة.

خَفَرٌ وَاللَّهِ مَا يَدْرِي غَدَاتُنِي * أَخَرْتُ مِنْكَ شَيْئاً أَمْ غَيْرُ مَنْكَشَفٍ
 وَجَاءَهُ النَّاسُ أَفْوَاجاً بِمَاءِهِمْ * لِيَغْسِلُوا الرَّجُلَ الْمَغْسِيَّ بِالنُّظْفِ^(١)
 وَوَسَّوْا بِقُرَائِنٍ فِي مَسَامِعِهِ * بِخَافَةِ الْحَرِّ وَالْإِنْسَانُ لَمْ يَخَفِ^(٢)
 شَيْئاً وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَوْقُوفاً عَلَى التَّلَفِ
 قَالُوا : لَكَ الْوَيْلُ مَا أَبْصَرْتَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ * تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 فَقُلْتُ أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ * يُعِينُ قُوَّتَهُ فِيهَا عَلَى ضَعْفِ
 قِجَامِ شَيْخٍ يَهِيءُ مِنْ رِجَالِهِمْ * قَدْ طَالَمَا خَدَعَ الْأَقْوَامَ بِالْخَلْفِ
 فَابْتَاعَهَا لِي بِأَلْفِي دِرْهَمٍ فَاتَى * بِهَا لَمَّا لَقِيَهَا عَلَى كَتِفِي
 فَبِتُّ أَلْتَمِثُهَا طَوَّاراً وَأَلْزَمُهَا * طَوَّاراً وَأَصْنَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي التُّخَفِ
 فَبَيْنَ ذَلِكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَنْبِئِي الدَّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِ^(٣)
 وَذِكْرَ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالطِّينُ فِي طَرَفِ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفاً أَمْ غَيْرُ مُعْتَرِفِ
 فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْ لَا فَإِنِّي مَدْفُوعٌ إِلَى التَّلَفِ

قال : فضحك العباس وقال : وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام
 ادفع إليه ألفي درهم ثمنها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما آحتال
 له به . فأمر له المهدي بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرهم
 ذلك ؟ قال : لأني مُعَدِّمٌ لا شيء عندي . وقال عُمِّي في خبره : فقال له العباس بن محمد
 شاركني في هذه الجارية . قال : أفعل ولكن على شريطة . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكَةُ
 لَا تَكُونُ إِلَّا مَفَاوِضَةً^(٤) ، فاشتر معها أخرى ، ليعت كل واحد منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي فل أو أكثر . (٢) في ح ، ب ، س :

« خافه » وهو تحريف . (٣) المشهور في مثل هذا أن يقال : فبيننا ذلك كذا أو « بيننا » . وقد جاء
 بها أبو دلالة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

وياخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبِّحَكَ اللهُ وقَبِّحَ ما جِئْتَ به !
خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
العَبَّاسُ قال :
أمره أبو مسلم
بمبارزة رجل فقال
شعرا أضحكه
فأعفاه

- ° كان أبو دُلَامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلاً إلى
البراز؛ فقال له أبو مسلم : اُبْرِزْ إليه . فانشأ يقول :
- أَلَا لَا تَلْمَنِي إِنْ فَرَرْتُ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَحَطَّأَ
فَلَوْ أَنِّي فِي السُّوقِ أَتْبَاعُ مِثْلَهَا * وَجَدْتُ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَضِيحِكَ وَأَعْفَاه .

- ١٠ ونسخت من كتاب ابن النطّاح : وعدته ريلة جارية
فاستنجزها بشعر

أَنْ رَيْطَةَ وَعَدْتُ أَبَا دُلَامَةَ جَارِيَةً فَطَلْتُهُ حَتَّى أَمْتَدَحَهَا بِعِدَّةِ قِصَائِدٍ ، كُلُّ
ذَلِكَ لَا تَنِي لَهُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعْتُ . وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
تَخْرُجُ وَتُكَلِّمُ الرِّجَالَ وَتَبْلُغُ عَنْهَا الرِّسَالُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ لِأُمِّ عَيْيِدَةَ حِينَ عِيلَ صَبْرُهُ :

- أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِنْ * شِئْتِ يَا أُمَّ عَيْيِدَةَ
أَنَّهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتِي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ لِلْحَجِّ وَلَيْسَ
فَتَنْظُرْتُ وَأَرْسَلْتُ * ثَلَاثَ عَشْرِينَ قَصِيدَةً
كَلَّمَا تَخْلُقُ أُولَى * بَدَّلْتُ أُخْرَى جَدِيدَةً
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * لَيْسَ فِي بَيْتِي قَعِيدَةً
غَيْرُ مِثْلِ الْقَوْلِ عِنْدِي * ذَاتِ أَوْصَالٍ مَدِيدَةٍ
- ١٥ ٢٠

وجُهِهَا أَسْمَجُ مِنْ حُو * يَ طَرِيٌّ فِي عَصِيدِهِ
ذَاتِ رِجْلٍ وَيَدٍ كُل * تَاهَا مِثْلُ الْقَدِيدِهِ

فدخلت على رَبطَةٍ فأنشدتها الشعرَ، فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدِّي :^(١)
أن أبا دلالة نزل بالكوفة، فأراه أضيافَ بغدادهم، ثم بعث إلى سِنْدِيَّة نَبَاذَة
يقال لها دَوْمَةٌ، فبعثت إليهم بَحْرَةً من نَبِيدٍ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم
بأخرى، ثم جاءت لتقاضى الثمن . فقال : ليس عندي الثمن، ولكنني أمدحك بما
هو خيرٌ من نَبِيدِكَ . فقال :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَحْمَرُ مِلءِ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَصْلِ يَنْبِذُ حَالِيَاهُ * يَنْبُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ
وهذا الخبر يُروى عن الأقيشر أيضا .

قال شعرا في الجنيذ
النخاس يذمه
ويمدح جارية له

قال إسحاق وحدثني أبي :

أن أبا دلالة كان كثير الزيادة للجنيد النخاس، وكان يتعشق جارية له ويغضبه .
بفأه يوما فقال : أخرج لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشتري !

(١) يلاحظ أن جد إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميون بن بهمن، وأنه مات وابنه
١٥ طفل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواية
الأدب العربي . فلعن في كلمة « عن جدِّي » تحريفا أو هي من زيادات النساخ . (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي
في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « مثل » وهو
تحريف . وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغاني طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، وروايته :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَسْمَرُ مِلءِ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَسْرِ يَنْبِضُ حَالِيَاهُ * يَحْمُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ
٢٠ يرويه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم
(٣) يَنْبِذُ : يَنْبِضُ .

قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخُ يمدح ويُطرى . قال : ما أنا بخرجها إليك
أو تقول فيها شعرا . قال : فأحلف بعينها أن ترونيها إياه وتأمرها بإنشاده من أهلك
يعترضها ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها . فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سأمسي ميتاً * أو سوف أصبح ثم لا أُمسي
من حبّ جارية الجُنْدِ وبُغْضه * وكلاهما قاضٍ على نفسي
فكلامها يُشفي به سقمي * فإذا تكلم عاد لي نكسي

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعود ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً
شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له
أدويةً تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا بن الكافرة ! أتصف هذه الأدوية
لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم ألفت إلى إسحاق فقال : اسمع
أيها الأمير متى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

عاد إسحاق الأزرق
وعنده طبيبه فقال
شعرا ينصحه فيه
بمجانبة الطبيب

نحّ عنك الطبيب وأسمع لنعتي * لأنني ناصح من النصّاح
ذو تجارب قد تقلبت في الصبح * دهرأ وفي السقام المتّاح
غاد هذا الكجّاب كلّ صباح * من متون الفتيّة السّاح^(١)
فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً * من عتيق في الشم كالنّفّاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداح^(٢)
فتقوى ذا الضعف منك وتلفي * عن ليل أصحّ هذي الصّباح^(٣)
ذا شفاء ودغ مقالة هذا * ناك ذا أمه بأير رباح

(١) السّاح : السنان ، واحدها ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليل أي بعد ليل .
(٣) رباح : القرد .

فضحك إسحاق وعواده، وأمر لأبي دلالة بخمسة درهم. وكان الطيب نصرانياً فقال:
أعوذ بالله من شرك يا ركل (يريد يا رجل) . وقال الطيب: أقبل مني أصلحك الله
ولا تسألني عن شيء قدامه. فقال أبو دلالة: أما وقد أخذت أجرة صفقتي وقضيت^(١)
الحق في نصح صديق، فأنعت له الآن أنت ما أحببت .

تتأدر بسلسلة
الوصيف في حضرة
المهدي

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
أبو السبل عاصم بن وهب البرجمي قال :

دخل أبو دلالة على المهدي وبين يديه سائمة الوصيف واقفاً ، فقال : إني
أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً ليس لأحد مثله . فإن رأيت أن تُسرفني بقبوله .
فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فإذا به يردون محطماً
أعجب هريماً . فقال له المهدي : أي شيء هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مهر ! فقال له :
أوليس هذا سائمة الوصيف بين يديك قائماً تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو
عندك رصيف ! فإن كان سائمة وصيفاً فهذا مهر . فجعل سائمة يشتمه والمهدي
يضحك . ثم قال لسائمة : ويلك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في محفل
فضحك . فقال أبو دلالة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحد
إلا وقد وصلني غيره ، فإني ما شربت له الماء قط . قال : فقد حكمت عليه أن
يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك . قال : قد فعلت على أن
لا يعاود . فقال له : ما ترى ؟ قال : أفعل ، فلولا أتى ما أخذت منه شيئاً قط
ما فعلت معه مثل هذه . ففضى سائمة فحملها إليه .

عبث به ابنه فأراد
أن ينجسيه فحكم
زوجته

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكرائي قال حدثني الخليل بن أسد
عن عبد الرحمن بن صالح قال :

(١) كذا في جميع الأصول . ولعله : « أجرة صفقتي الخ » .

- جاء ابن أبي دُلَامَة يوماً إلى أبيه وهو في محفِل من جيرانه وعَشِيرته جالس،
 بفلسر، بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخى، كما ترون، قد كَبِرَتْ
 سِنُّهُ، وَرَقَّ جِلْدُهُ، وَدَقَّ عَظْمُهُ، وَبَنَّا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشِيرُ
 عليه بالشئِ يُمِسُّكَ رَمَقُهُ وَيُبْقِي قُوَّتَهُ، فيخالفنى فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه
 قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسمعونى
 بمسألته. فقالوا: تفعلُ حُبًّا وَكَرَامَةً. ثم أقبلوا على أبي دُلَامَة بالسَّتْمِ وتناولوه
 بالعتاب حتى رَضِيَ وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يُريد، فستعلمون أنه
 لم يَأْبِ إِلَّا بَيْلِيَّةً. فقالوا له: قل. فقال: إنَّ أبى إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتعاونونى عليه
 حتى أَخْصِيه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الحصاء، فيكونَ أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره.
 فعَجَبُوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعَبَثَ بأبيه وينجِّله حتى يَشِيعَ ذلك عنه
 فيرتفع له بذلك ذكْر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبى دُلَامَة: قد سمعتَ فأجب. قال:
 قد سمعتُم أتم وعرفتكم أنه لن يَأْتِيَ بخير. قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد
 جعلتُ أمَّه حَكَمًا بَيْنى وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقصَّ
 أبو دُلَامَة القِصَّةَ عليها، وقال لها: قد حَكَمْتُكَ. فأقبلت على الجماعة فقالت: إنَّ أبنى —
 أصلحه الله — قد نصَّح أباه وبرَّه ولم يَأُلْ جُهْدًا، وما أنا إلى بقاء أبيه بأخوج منى إلى
 بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ مِنَّا، ولا بَحَرَتْ بمثله عادةٌ لَنَا، وما أَشْكُ فى معرفته
 بذلك. فليبدأ بنفسه فليخَصِّها، فإذا عُوِفِ ورأينا ذلك قد أثرَ عليه أثرًا محمودًا آستعمله
 أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وخجلَ أبْنُهُ، وأنصرف القوم يضحكون
 ويعجبون من خُبْنِهِم جميعًا واتَّفَقَهم فى ذلك المذهب.

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل
عن أبيه قال :

أمر المهديّ
مروانيا بقتل
خارجي فبنا السيف
في يده فقال هو
في ذلك شعرا

كان عند المهديّ رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى
المهديّ بعلج فامرّ المروانيّ بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فبنا السيف
عنه ، فرمى به المروانيّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهديّ الكلام
فغاضه حتى تغير لونه وبأن فيه . فقام يقطين^(٢) فأخذ السيف وحسّر عن ذراعيه
ثم ضرب العليّ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل
إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلالة فقتل :
يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيّها الإمام سيفك ماض * وبكفّ الوليّ غيرك^(٣)

فإذا ما نبا بكفّ علمنا * أنها كفّ مبغض للإمام

قال : فسرى عن المهديّ وقام من مجلسه ، وأمر سجّابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل .

(١) العليّ : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادي .

(انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغاني من هذه الطبعة) .

(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره
فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن
المعتز بالله .

- أدبه وشعره ودفاع
أبي الفرج عن
منهجه في الأدب
- وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرة تُشرك
في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإن كان فيه رقة الملوكة وغزل الظرفاء
وهلولة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجدين ولا تقصر عن
مدى السابقين، وأشياء ظريفة من أشارات الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس
عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكل
ظريف، بين ندامى وقيان، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود
من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفانح الفرش ومختار الآلات،
ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبّط الرقيق الذي يفهمه
كُلٌّ من حضر، إلى جعد الكلام ووخشيته، وإلى وصف اليد والمهامه والظبي
والظليم والناقة والجل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن
ذلك وأحسن قيل له ميسر، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط
في البعض وقصر في اليسير، وينسب إلى، التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطى
المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد بمن تقدم لوجد مساعاً . ولو أن قائلًا
أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى —

(١) السبّط : السبل المرسل . والمجعد : المعقد .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حبة قلبه وطحهاها » . وبقوله : ^(١)

ويأمر لليحموم ^(٢) كل عشيّة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق

١٤١
٩

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويبلغى ^(٣) ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . وإمكن أقواماً أرادوا أن يعرفوا أنفسهم الوضيعة ، ويسيدوا بذكرهم الخامل ، ويعلموا أقدارهم الساقطة بالطن على أهل الفضل والقدر فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخرون إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة ، ودرج فلم يبق له خلف يقيطره ولا عقب يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعة

(١) اللبيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأبأها الذوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجع .

(٢) هكذا في لسان العرب وكتاب نسب الخليل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعليق : ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه . ويسبق : يأكل حتى يصيبه كالشحم . وقد ورد هذا البيت في ب ، سه هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق
وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأمر في كل ليلة * بقت وتعليق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خصاس الجنود ، لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلقه قنا ويقضيه شعيراً . وهذا مدح كالحجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : « ولست أرى هذا عيباً ، لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها يسرجه وبلجانه خوفاً من عدو يفجؤها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار ، فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه وبلجانه . وإذا كان واقفاً غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه » .
(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوروبا) .

(٣) هكذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : « يلقي » باللقاف .

وَعُلُوا . وَلَا تُنْظَرِ إِلَى أَضْدَادِهِ كَمَا أَزْدَادُوا فِي طَعْنِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ وَأَسْأَلِهِمْ
الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، زَادُوهَا سَقُوطًا وَضَعَةً ، وَكَلَّمَا وَصَفُوا
أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّضُوا آدَابَهُمْ ، زَادُوا بِهَا ثِقَالًا وَمَقْتًا . فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُحْصَلُ الْمَوَافِقُ ،
عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْآدَابِ ، إِلَى التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَهَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَنَفِيِّ حَتَّى نَهَاكَ عَنْهُ ،
فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ ، وَأَرْنَكُوا أَكْثَرَهُ مِنْهُ . وَأَنَا أَذْكَرُ ذَلِكَ
بِعَقَبِ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ، مُصَرِّحًا بِهِ عَلَى شَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمُسَيِّقِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى النِّعَمِ وَعِلَلِهَا . وَلَهُ
فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْآدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ ، وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ وَغَيْرِهِمْ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاوَةِ
عِلْمِهِ وَإِدْبَارِهِ .

عليه بصناعة
الموسيقى

وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِمُخَطِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِمُخَطِّهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ
بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يَحْجُوزُ وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ نَعَمِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ،
وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي حَلْقِهِ وَمَذْهَبِهِ . وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَشَاوَرَهُ فِيهَا . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ : « قَرَأْتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — الرِّسَالَةَ الْفَاضِلَةَ الْبَارِعَةَ الْمَوْفِقَةَ . فَأَنَا وَاللَّهُ أَقْرَأُهَا
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى أَوَّلِهَا مَبْتَهَجًا ، وَأَتَأَمَّلُ وَأَدْعُو مَبْتَهَلًا ، وَعَيْنُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
عَلَيْكَ وَعَلَى نِعْمِهِ عِنْدَكَ . فَإِنَّهَا — عَلَيْهِ السَّلَامُ — النِّعْمَةُ الْمَعْدُومَةُ الْمِثْلُ . وَلَقَدْ تَمَثَّلْتُ
وَأَنَا أَكْرَرُ نَظْرِي فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ فِي سَيِّدِنَا وَأَبْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

كتاب عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر له
وقد بعث إليه رسالة
إلى ابن حمدون

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَمِمَّا يَدْعُ * لَذَى إِرَابَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
وَلَا وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ جِدًّا فِي هَزْلٍ ، وَلَا هَزْلًا فِي جِدٍّ يُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي بِلَاغَتِهِ
وَفَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَإِنَارَةِ بَرَاهَانِهِ وَجَزَالَةِ أَلْفَافِهِ . وَلَقَدْ خَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّ لِسَانَ جَدِّكَ

العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزك الله — نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما، ولو أن هذه الرسالة جبهت الإبراهيمين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبنيه إسحاق وهم مجتمعون لبهت منهم الناظر، وأخرس الناطق، ولأقروا لك بالفضل في السبق؛ ظهور حجة الصديق، ثم كان قولك لهم فرقاً بين الحق والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فن من الفنون، إلا برزت فيه تبرز الجواد الرائع، المغبى في وجه كل حصان تابع. عَضَدَ الله الشرف ببقاءك، وأحيا الأدب بحياتك، وجَمَلَ الدنيا وأهلها بطول عمرك.»

١٤٢
٩

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها. والمشهور عنه وعن أضراده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا.

أصوات له
في أشعار مختلفة

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها :

صوت

هل تَرِجَعَنَّ لِيَالٍ قَدْ مَضَيْنَ لَنَا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزماناً^(١)
صَنَعْتَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ.

(١) يقول : هل تعود ليال لنا مضت أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا وطمونا . وأزمان أزمان يراد به أزمان طمونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالتركيب المزجي . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه ، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء ، لحذف العاطف وركب الظروفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء ينفوه خيالاً

ومن صنعتته في الثقل الأول أيضا — وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه : ون
لحن آتويه — :

صوت

ننّي جانب القصرين فالدير فالحمى * إني الشجر المحفوف بالطين والمندر^(١)
ومن نعتته الطريفه الشكيلة مع جودتها :^(٢)

صوت

وا بلائي من محضّر ومغيّب * وحبيب مني بعيد قريب
لم ترّد ماء وجهه العين إلا * شرقت قبل ريبها قريب
خفيف ثقيل، ابتداءؤه نشيد .

زارته زرياب
في يوم الشعانين
وغناها

ومن صنعتته ، وله خبر أخبرني به عليّ بن هارون بن المنجّم عن زرياب قالت :
زرت عبد الله بن المعتز في يوم الشعانين^(٣) ، فسرّ بورودي وصنع من وقته لحنًا في شعر
عبد الله بن العباس الرّبيعي الذي له فيه هنّج وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم أي يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آت الرزق يوم يوم فأجمل * طلبا وابغ للقيامة زادا

ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نحى حقيقتنا وبه * ض القوم يسقط بين بينا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام
الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠ ، ٣١) . وقد ورد هذا البيت في الأصول : « أزمان أزمان »
والنون عارية من الشكل ، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .
(١) المدر : التراب المتبلد ، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا في ح . وفي ب ، سه :
« الطريفة الشكل » . وفي أ ، م : « الطريفة الشكل » . (٣) في لسان العرب (في مادة سعن) :
« قال ابن الأثير : هو عيد لم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع ، وهو سرياني معرب . وقيل : هو جمع =

صوت

أنا في قلبي من الطَّيِّ كُلُّومٍ * فدع اللّومَ فإنَّ اللّومَ لومٌ^(١)
حبذا يومُ السَّعائين وما * نلتُ فيه من سرورٍ لو يدومُ

— الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هزج — قالت : فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هزجاً وهو :

زارني مولاي فيه ساعة * ليتَه والله ما عشتُ يُقيمُ

ولحنُ ابن المعتز في «حبذا يوم السَّعائين» وهذا البيت خفيف رمل، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعتَه التي تظَّارَف فيها وملَّح^(٢) :

زاحمَ كُفِّي كُفَّه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكثويا * يا قُرَّة العين ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله « ويا » ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده لئلا يستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هزج .

١٥ = واحد سعنون « ا ه . والمشهور فيه « الشعائين » بالشين المعجمة ؛ فقد ورد في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط : « الثاني — الزيتونة ، وهو عيد الشعائين ، وتفسيره بالعربية التسبيح ، يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ا ه .

(١) لوم : تخفف لوم بالهمز . (٢) في ب، س : « تظافر » . وفي سائر الأصول :

« تضافر » . وظاهر أن كليهما تحريف .

نشرت عليه نشر
في صورة جميلة
فقال فيها شعرا على
البدئية

١٤٣
٩

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يجها ويهيم بها ، فخرجت علينا من
صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالة معصفرة وفي يديها جنابي باكورة^(١)
باقلا^(٢) . فقالت له : يا سيدي تلعب معي جنابي ؟ فالتفت إلينا وقال على يديته
غير متوقف ولا مفكر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأول
من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن نقله كله لما حواه من قيمة علمية
كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

” الجنابي — في القاموس : . الجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسائي (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة
للصبيان . وفي اللسان : « الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يتجانب الغلمان فيعتمد كل واحد من الآخر »
ونحوه في المخصص “ .

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغاني ومعاهد التنخيص قال : ” قلنا قوله « جنابي » باقلا يظهر أنه شيء
كالسلة ولم نثر عليه في اللغة ، ولعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد
النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه
مال شارح القاموس . وعبارته : « والجناباء بالمد والجنابي كسائي مخففا مقصورا هكذا في النسخ التي رأيناها
وفي لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمان بالتشديد في (س م ن) فليكن
هذا الأصح ، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في لسان العرب أيضا ، والذي فيه الصاغاني بالضم
والتخفيف ككسائي . انتهى وتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سمان في (س م ن) بوزن
جاري ١ هـ . ونقول : المهور من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها
« وأحمد بن أبي الحواري كسكاري ، وكسائي أبو القاسم الحواري ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها
هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسائي حرفه النساخ عن (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه
المادة في نسخة القاموس المطبوعة ببلاط سنة ١٣٠٣

بقي قول شارح القاموس إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمد أيضا في لسان العرب . ولعلها وردت
كذلك مضبوطة بالقلم في النسخة التي كانت عنده ، فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .
وبعد ، وتشديد هذه الغظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع
بين المولدين فخرت به الستة الشعراء . والله أعلم ١ هـ .
(٢) في معاهد التنخيص طبع ببلاط سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : « جنابي من باكورة باقلاء » .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِمِثْلِي فِي مُعْصَفَرَةٍ * عَشِيَّةً فَسَقَانِي ثُمَّ حَيَّانِي
 وَقَالَ تَلَعَّبُ جَنَابِي فَقُلْتُ لَهُ * مَنْ جَادَ بِالْوَصْلِ لَمْ يَلْعَبْ بِهَجْرَانِ
 وَأَمْرٌ فُغْنِي فِيهِ . غَنَّتْ فِيمَا أَرَى فِيهِ هَزَارُ خُنَّاءٍ ، وَهُوَ رَمْلٌ مُطْلَقٌ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

جدر خادمه نشوان
 بخرج عليه ثم عوفى
 فسر وقال شعرا

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ غُلَامٌ بِجَبِّهِ ، وَكَانَ يَغْنَى غِنَاءً صَالِحاً ، يُقَالُ لَهُ « نَشْوَانٌ » .
 بِخَدْرِ وَجَرَعَ عَبْدُ اللَّهِ لَذَلِكَ جَزْعاً شَدِيداً ، ثُمَّ عُوْفِيَ وَلَمْ يُؤْثَرِ الْخَدْرُ فِي وَجْهِهِ أَثْراً
 قَبِيحاً . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ عُوْفِيَ فَلَانٌ بَعْدَكَ ، وَخَرَجَ
 أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ ، وَقُلْتُ فِيهِ بَيِّنَتَيْنِ وَغَنَّتْ زُرْيَابُ فَيَمَّا رَمَلًا ظَرِيفًا ، فَاسْمَعُوهمَا
 إِنْ شَادَا إِلَى أَنْ تَسْمَعُوهمَا غِنَاءً . فَقُلْتُ : يَتَفَضَّلُ الْأَمِيرُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِنْشَادِي
 إِيَّاهُمَا . فَأَنْشَدَنِي :

لِي قُرْ جُدَّ لَنَا أَسْتَوِي * فزاده حُسْنًا فزادت هموم
 أَظْنُهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى * فنقطته طرباً بنجوم

فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ لِي : لَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ زُرْيَابٍ كُنْتَ أَشَدَّ
 أَسْتَحْسَانًا لَهُ . وَخَرَجَتْ زُرْيَابُ فَفَتَّتَهُ لَنَا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ فِي أَحْسَنِ غِنَاءٍ ، فَشَرَبْنَا
 عَلَيْهِ عَاقَةَ يَوْمِنَا .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

غضب عليه غلامه
 نشوان فقال شعرا
 يرضاه به

غَضِبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، بِخَفْهِدٍ فِي أَنْ يَرْضَاهُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ
 حِيلَةٌ . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَنِي فِيهِ :

بَابِي أَنْتَ قَدْ تَمَّ * دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ

وأصطباري على صدو * دِكْ يوماً من العَجَبِ
 ليس لي إن فَقَدْتُ وج * هَكَ في العيش من أَرَبْ
 رَحِمَ الله مَنْ أعا * ن على الصالح واحتَسَبْ
 قال : تَمَضَيْتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أَدَارِيهِ وَأَرْفُقُ بِهِ حَتَّى تَرْضَيْتُهُ وَجِئْتُهُ بِهِ ،
 فَمَرَّلَنَا يَوْمَئِذٍ أَطِيبُ يَوْمٍ وَأَحْسَنُهُ ، وَغَنَّنَا هَزَّارُ ۚ ، هَذَا الشَّعْرُ رَمَلًا عَجِيبًا .

زار في حديثه
 أبا عيسى بن المتوكل
 وأنشده من شعره
 في كرم البنات فدحه

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال :
 دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبد الله بن المعتز وقد جاءه
 مسأماً ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب
 القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى :
 ١٠ قد احتجتُ إلى معونتك في أمر دُفِعْتُ إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة .
 قال : وما هو ؟ قال : زوجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مدهبنا ،
 وأساء عِشْرَةَ أَهْلِهِ ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانِّهِ وَأَوْطَانِهِ ، ويهددنا
 ويُوعِدنا بَشَرَهُ ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْماً لِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فِينَا بِالْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ
 السَّيِّئِ ، وكثرة معاونته له على ما يُزِرِّي بدينه ونسبه . وقد توعَّدنا بأنه يكشف وجهه
 لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبته الذي نخره لنا وعاره علينا ،
 ١٥ لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلّا أنّي أستعذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا
 أوجه إليه بعد انصرافك ، وأُرأسله بما أنا المتكفل بعده بآل يعود إلى عِشْرَتِهِ ،

١٤٤
٩

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن .
 كان ولي القضاء بسر من رأى ، وكان عالماً عفيفاً ثقة . توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣
 ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن^(١) أن أُرَدَّ هذا الصَّهرَ إلى حيث تحبَّ ويقع بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا ترون إلى هذا الرجل النبیه الفاضل السَّريَّ الشريف يُدْفَعُ إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إنَّ لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاتِه فِدَاكَ عَمَّكَ . فأنشده لنفسه :

وَبَكَرٍ قُلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَعْلِ * وَإِنْ أَثَرِي وَعُدُّ مِنَ الصَّيِّمِ
أَلَمْزُجٍ بِاللُّثَامِ دَمِي وَلَحْمِي * فَمَا عُدْرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ

فقال له أبو عيسى : أمتنع الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك وجعلهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شراً نيك .

١٠ أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبدُ الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المعتز في داره طبقات من الصُّنَّاع ، وهو يلبي داره ويبيضها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيْلُ الذي جاء مُذْ لِيَالٍ أحدث في داري ما أخوج إلى الغرامة والكُلَّمة ، وقال :

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا * وَدَارٍ تَدَاعَى بِحِيطَانِهَا
أَظْلُ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا * شَقِيًّا مُعْنَى بِنْيَانِهَا
أَسْوَدَ وَجْهِي بِتَبْيِضِهَا * وَأَهْدِمَ كَيْسِي بِعُمُرَانِهَا

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كُنتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ وَمَعَنَا التُّمَيْرِيُّ ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَقَامَ التُّمَيْرِيُّ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً جِدًّا ، ثُمَّ دَعَا بَعْدَ انْقِضَاءِ صَلَاتِهِ وَبَجِدَ سَجْدَةً طَوِيلَةً جِدًّا ، حَتَّى اسْتَنْقَلَهُ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ بِسَبِّهَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَجِّبًا ثُمَّ قَالَ :

(١) في ب ، س : «وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث» وهو تحريف ٥٠

كان يعمر داره
ويبيضها وقال شعرا
في ذلك
خفف التُميرى
صلاته وأطال
السجود بعدها
فقال هو شعرا

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةً * كَمَا آخُلَسَ الْجُرْعَةَ الْوَالِغُ

وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا تَبَجَّةً * كَمَا خُتِمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ^(١)

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال :
كانت بنت الكزاعة تألف عبد الله بن المعتز، وكان يحب عناءها ويستظرفها
ويحبها ويواصل إحضارها، ثم أنقطعت عنه فقال :

انقطعت عنه بنت
الكزاعة وكان يحبها
فقال شعرا

لَيْتَ شِعْرِي بِنِ كَسَاغَلِيتَ بَعْدِي * وَهُوَ أَشْكَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ

هَكَذَا كُنْتُ مِثْلَهُ فِي سُرُورٍ * وَغَدًا فِي الْهَمُومِ مِثْلِي يَصِيرُ

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كان يحب جارية
قبيحة الصورة
فاعترض عليه
النميري فأجابته بشعر

كَمَا عِنْدَ ابْنِ الْمَتَرِيوِيٍّ وَمَعْنَا التُّمَيْرِيِّ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْمُغَنِّينَ

تَغْنِيهِ، وَكَانَتْ مُحْسِنَةً إِلَّا أَنَّهُا كَانَتْ فِي غَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ، فَعَلَّ عَبْدُ اللَّهِ يُجَشِّسُهَا^{١٠}
وَيَتَعَلَّقُ بِهَا. فَلَمَّا قَامَتْ قَالَ لَهُ التُّمَيْرِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْتَعِشُقَ هَذِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قَلْبِي وَثَابُ إِلَى ذَا وَذَا * لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ

يَسِيمُ بِالْحُسْنِ كَمَا يَنْبَغِي * وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فِيهِوَاهُ

١٤٥
٩

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني^{١٥}
عبد الله بن المعتز قال :

راسل خسزاي
فتأخرت عنه فقال
شعرا فأجابته

كَانَتْ تُخْرِمِي جَارِيَةَ الضَّبِطِ الْمُغْنِي تُوَادِمُنِي وَأَنَا حَدَثْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ النَّيِّدَ .

وَكَانَتْ مُغْنِيَّةً مُحْسِنَةً شَاعِرَةً ظَرِيفَةً. فَارْسَلْتُهَا مَرَارًا فَتَأَخَّرَتْ عَنِّي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :

رَأَيْتُكَ قَدْ أَظْهَرْتَ زُهْدًا زُتُوبَةً * فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكَ الْخَمْرُ

فَأَهْدَيْتُ وَرَدًا كِي يُدَكَّرَ عَيْشَةً * لِمَنْ لَمْ يُمَتِّعْنَا بِهَجَّتِهَا الدَّهْرُ^{٢٠}

(١) المزود : وعاء الزاد . (٢) كذا في جميع الأصول هنا . وتقدم في الصفحة الماضية :
« عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجاست :

أنا قريض يا أميري محبر * حكى لي نظم الدرر فصل بالشذر^(١)
 أنكرت يا ابن الأكرمين إناجى * وقد أفصح لي ألسن الدهر بالزجر
 وأذننى شرح الشبَاب بينه * فياليت شعري بعد ذلك ما عذرى

شعره في موسم
الربيع

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع^(٢) بالعباسية والدنيا
 كالجنة المنزعة . فقال عبد الله :

حبذا آذار شهراً * فيه للنور انتشار
 ينقص الليل إذا حـا * ويمتد النهار
 وعلى الأرض أخضرار * وأصفرار وأحمرار
 فكأن الروض وشي * بالغت فيه التجار
 نقشه أس ونسريد * من ورد وبهار^(٣)
^(٤)

هنا عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر
بولاية ابنه محمد
شرطة بغداد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال :

كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف^(٥)
 مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطري قوى الرائحة . فارسي معرب . (٤) البهار : نبت طيب

الريح جعل له قفاحة صفراء ينبت أيام الربيع . مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب

بالظفر لما عظم أمره . وكان شجاعاً مقداماً فأنكا مهيباً . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميراً . وكان
قد أبعدته المعتضد إلى مكة . ولما بويع المعتز بالخلافة أحضره وقز به وقبض اليه الأمور . قتل

سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٩) .

فَرِحْتُ بِمَا أضعافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ * وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرْجِعَ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً * كَمَا بَدَأْتُ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ * وَلَا بَدَّ مِنْ يُسِيرُ إِذَا مَا آتَى الْعُسْرُ

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها :

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفْوَةٍ * فَمِنَّا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وَإِنْ رَجَعْتُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً * إِلَيْنَا فَمِنَّا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب إليه عبد الله بن المعتز :

انقطع عنه محمد
هذا مدة طويلة
فكتب له شعرا
يعاتبه

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدْ * وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا * فَأَطْلُبُ وَجْرَبُ وَأَسْتَقِصُّ وَأَجْتَهِدُ
نَاوَلْتَنِي حَبْلَ وَضْلِهِ بِيَدٍ * وَهَجَرَهُ جَاذِبًا لَهُ بِيَدٍ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ * إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدٍ

* *

صَوْت

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمُتَّ لِمَ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً * فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

١٤٦

٩

أبيات من معلقة
زهير وشرحها

(١) أم أم أوفى : يريد أم منازل أم أوفى . (٢) الأطلا : جمع طلا وهو ولد البقرة
والظبية الصغير . وقوله ينهضن : يعني أنهن يمين أولادهن إذا أرضعن ثم يرعين ، فإذا ظنن أولادهن
قد أقبلن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات ليرضعن . (عن شرح
ديوان زهير لا علم الشنمري) .

فلما عرفت الدار قلت لربها * ألا عِم صباحاً أيها الربيع وأسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطيع العوالي ركبته كل لهزم
ومن هاب أسباب المنية يلقها * ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل . الحومانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها
حوامين . وقال غيره : الحومانة : ما كان دون الرمل . والدراج والمنتلم : موضعان .
وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير " الدراج " مضمومة الدال . والعين : البقر .
والآرام تسكن . الجبال . خلفه : يذهب فوج ويحيى فوج يخلفه مكانه . ويروى :
جثم وجثم . فمن قال جثم قال : جثم يثتم جثوماً ، ومن قال جثم قال : جثم يثتم
جثماً ، والآي : البطء . الزجاج : جمع زج . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا
أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة .
واللهزم : السنان المحدد ؛ يقال رمح لهزم وسنان لهزم : حاد . وأثم أوفى : امرأة
كانت لزبير فطلقها . وله في ذلك خبر يُذكر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سلمى . والغناء للغريض ، ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبذل الكبيرة ثقل أول
بالبنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقل أول . ولإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى
في الخامس والسادس . وفيهما ثقل أول يقال إنه ليزيد حوراء :

(١) الآرام من الظباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد . وفي اللسان
أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْرٍ وَأَخْبَارُهُ

هو زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ^(١)، وَأَسْمُ أَبِي سُلَيْمٍ رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ.

نسبه

وهو أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُقَدَّمِينَ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتُلِفَ فِي تَقْدِيمِ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى صَاحِبِيهِ. فَمَا الثَّلَاثَةُ فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِمْ، وَهَمَّ أَمْرُ الْقَيْسِ وَزُهَيْرٍ وَالنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ.

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ حَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَاعَرُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ زُهَيْرٌ.

قال جرير هو شاعر الجاهلية

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَافِلٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُوَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ] قَالَ :

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَيْلَةَ مَسِيرِهِ إِلَى الْخَنْبَازَةِ : أَيُّنَ ابْنِ عَبَّاسٍ ؟ فَأَتَيْنَاهُ ؛ فَشَكَا تَخَلُّفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقُلْتُ : أَوَلَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ ؟ قَالَ بَلَى ،

- ١٥ (١) سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ ، وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ غَيْرُهُ . (٢) فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ عَلَى الْمُلَقَّاتِ : «... رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ.» وَفِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ لِابْنِ سَلَامٍ : «... رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرٍو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ.» (٣) فِي ح : «بَنُ عَثْمَانَ وَهُوَ عَمْرٍو أَوْ خَلِّ.» (٤) تَكْلِمَةُ فِي السَّنَدِ يَقْتَضِيهَا سِيَاقُ الْخَبَرِ . (٥) الْجَاهِلِيَّةُ : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ثُمَّ مِنْ عَمَلِ الْجَلِيدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَوْلَانِ قَرِبَ مَرْجِ الصَّفْرِ فِي شِمَالِ حُورَانَ . وَيُقَالُ لَهَا جَانِبَةُ الْحَوْلَانِ أَيْضًا . (عَنْ حَجْمِ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوتَ) . (٦) كَذَا فِي ١ ، ٣ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « فَأَتَاهُ ... فَقَالَ ... » .
- ٢٠

قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة — ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا — ثم قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أت حمدًا يُخلدُ الناسُ أُخلدوا * ولكنَّ حمدَ الناسِ ليس بمُخلدٍ

قلت : ذلك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبم كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحيي الشعر ، ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاظم بين الكلام : يداخل فيه . ويقال : يتبع حوشي الكلام ، ووحشي الكلام ، والمعنى واحد .

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدم زهيراً . قلت : فأى منى كان اعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري — ولم أرَ بدويًا ينفي به — عن عكرمة ابن جرير قال :

قلت لأبي : يا أبت من أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير أشعرُ أهلها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجع .

(٢) يعاظم الكلام : يحول بعضه على بعض ويتكلم بالرجيع من القول و يكرر اللفظ والمعنى . أو يعقده ويوالى بعضه على بعض . وكل شيء ركب شيئاً فقد ماظله . (السان في مادة عظم) .

كان قدامة
ابن موسى يقدمه
على سائر الشعراء

قال جرير هو أشعر
أهل الجاهلية

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجِيدُ مَدَحَ الْمُلُوكِ وَيُصِيبُ وَصَفَ الْخَمْرِ . قلت :
فما تركت لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشَّعَرَ نَحْرًا .

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عيسى
ابن يـ يد قال : قال عنه الأحنف
ابن قيس هو أشعر
الشعراء

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟
قال : ألقى بن "دحين فضول الكلام . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :
فما يك من خير أتوه فإئما * توارثه آباء آبائهم قبل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن
عمرو القيسيّ قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن
عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أتم من
حديثه ، قال قال ابن عباس :

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاه ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس
أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سفيان^(١)
قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ،
ولا يقول إلّا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلّا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :
إذا أبتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق إليها يسود^(٢)

(١) الذي تقدّم في الصفحة السابقة : « يعاقل في الكلام » . والذي في اللسان وشرح القاموس

في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه ، يقال عاقل الكلام كما يقال عاقل فيه و بينه .

(٢) يقول : إذا نساقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسود من سبق إليها كنت السابق

إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغاني حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

...نقت إليها كَلَّ طَاقٍ مُبَرِّزٌ * سُبُوقٌ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُزْنَدٍ
 كفعل جواد يسبق الخيل عَفْوُهُ أَل * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُ وَيَجْهَدُنْ يَجِدُ
 ولو كان حَمْدٌ يُحْدِ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ * رَلِكُنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلَدٍ
 أَنَشِدْنِي لَهُ ، فَانشِدْتُهُ حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ . فقال : حَسْبُكَ الْآنَ ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ ، قَابَتْ :
 وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقراءتها وَزَلْ فَأَذَّنَ وَصَلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال
 أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ،
 ثم ذكر الحديث نحوه هذا .

١٤٨ وجدْتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد
 ابن محمد بن عبد العزيز الزهرري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه :
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَلَهُ مِائَةُ مَنَّةٍ
 فَقَالَ : «اللَّهُمَّ اعِزَّنِي مِنْ شَيْطَانِهِ» فَمَا لَكَ بَيْتًا حَتَّى مَاتَ .

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني :
 كَانَ مِنْ حَدِيثِ زُهَيْرٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ مُزَيْنَةٍ ، وَكَانَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 غَطَفَانَ جِيرَانَهُمْ ، وَقَدِّمًا وَلَدَتْهُمْ بَنُو مُرَّةٍ . وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّهُ خَرَجَ
 وَخَالَهُ أَسْعَدُ بْنُ الْغَدِيرِ بْنِ مُرَّةٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضٍ وَأَبْنَهُ كَعْبَ .

(١) يقال : رجل طلق البدن إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بجود بما
 عنده من العدو . والمبرز : الذي سبق الناس إلى الكرم والخير . والمزند هنا : البخل أو اللئيم . ويرى :
 « غير مجلد » أي ينتهي إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب . (٢) في الأصول : « فيسرع » .
 والتصويب عن الديوان بشرح الأعلام ، ورواية البيت فيه :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ أَل * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُنْ يَجْهَدُ وَيَجِدُ

استناده منه النبي
 صلى الله عليه وسلم
 لما قال شعرا حتى
 مات

خرج أبوه أبو سلمى
 مع خاله وابن خاله
 لفزرو طي فنعاه
 حقه في الغم ،
 وشعره في ذلك

ابن أسعد في ناس من بني مرة يغيرون على طيء، فأصابوا نعاماً كثيرة وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم . فقال أبو سلمى لخاله أسعد وأبن خاله كعب : أفردا لي سهمي، فأبى عليه ومنعاه حقه، فكفّ عنهما؛ حتى إذا كان الليل أتى أمه فقال : والذي أحلف به لتقومن إلى بعير من هذه الإبل فلتقعدين عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطيك، فقامت أمه إلى بعير منها فأعتقت سنامه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لِأَجْمَالِ الْعِجُوزِ مَنَى * إِذَا دَنُوتُ وَدَنُوتَ مَنَى

* كَأَنِّي سَمِعْتُ مَنْ جَنَّ *

— سَمِعْتُ لَطِيفَ الْجَسْمِ قَلِيلُ اللَّحْمِ — وَسَاقَ الْإِبِلَ وَأُمَّهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى قَوْمِهِ مُزِينَةً .

فذلك حيث يقول :

وَلَتَغْدُونَ إِبِلَ مَجْنُونَةٍ * مِنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَأَبْنِ كَعْبِ

— مَجْنُونَةٍ : مَجْنُوبَةٌ —

الْأَكْلَيْنِ صَرِيحَ قَوْمِيهِمَا * أَكَلَ الْحَبَارَى بِرَعْمِ الرُّطَبِ^(١)

— البرعم^(٢) : شجرة ولها نور — قال : فلبث فيهم حيناً، ثم أقبل بمزينة مغيراً على بني ذبيان .

حتى إذا مزينة أسهلت وخلفت بلادها ونظروا إلى أرض غطفان، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحده . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِي فَرَسًا لَخِيرَ غَزْوُهَا * وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسَهِّلَا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاهة والجن، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذي في اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل أن

ينفتح، وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أ، تنزل السهل . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مزيئة حتى دخل في أخواله
بنى مرة . فلم يزل هو وولده في بنى عبد الله بن غطفان إلى اليوم .

وقصيدة زهير هذه أعني :

* أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هريم بن ضمضم المري الذي يقول فيه
عنتره وفي أخيه :

ولقد خشيبتُ بأن أموت ولم تدُرْ * للحرب دائرة على أبني ضمضم

و يمدح بها هريم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المريين لأنهما
أحتملا ديته في مالهما؛ وذلك قول زهير :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تسبزل ما بين العشيرة بالدم^(١)

يعنى بنى غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال :

كان ورد بن حابس العبسي قتل هريم بن ضمضم المري ، فتشاجر عبس وذبيان

قبل الصلح ، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس

أو رجلا من بنى عبس ثم من بنى غالب ، ولم يطلع على ذلك أحدا ، وقد حمل الجمالة^(٢)

الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وقيل بل أخوه حارثة بن سنان . فأقبل رجل^(٣)

(١) ما والفعل بتأويل المصدر . وتسبزل : تشقق ، وبالدم : يريد بسفك الدم . يقول : سعى

هذان السيدان (هريم بن سنان والحارث بن عوف) في إحكام المهادين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة

والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلام الشنمري) .

(٢) الجمالة : الدية . (٣) في شرح التبريزي وابن الأنباري على المعلقات والأعلام الشنمري وشرح

ثعلب لديوان زهير : « وقد حمل الجمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهريم بن سنان بن أبي حارثة » .

(٤) في الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدمة :

قال معلقته في مدح
هريم بن سنان
والحارث بن عوف
وقد حملا دية هريم
ابن ضمضم في مالهما

من بني عَيسٍ ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بمُحَصِّين بن ضَمَضَم. فقال له حُصَيْن: مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الرَّجُل؟ قال: عَيْسِي. قال: من أَىِّ عَيْسٍ؟ فلم يزل يَنْتَسِبُ حتى أَنْتَسَبَ إلى بني غالب، ففقتله حُصَيْن. وبلغ ذلك الحارث بن عَوْف وهَرَم بن سِنَان فاشتدَّ عليهما، وبلغ بني عَيْسٍ فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركو بهم إليه وما قد آشتدَّ عليهم من قَتْلِ صاحبهم وأنهم يريدون قَتْلَ الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنه، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحبُّ إليكم أم أنفسُكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إنَّ أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحبُّ إليكم أم أبنى تقتلونه مكانَ قَتيلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، وتُتِمُّ الصِّلح. فذلك حين يقول زُهَيْرٌ يمدح الحارث وهَرَمًا:

١٠ * أَمِنْ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *
وهي أوَّل قصيدة مدَّح بها هَرَمًا، ثم تابع ذلك بعد.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ بهذه القصصة، وروايته أتمُّ من هذه، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الْقَاسِم بن مَهْرُويه قال حَدَّثَنَا عَبْد الله بن أَبِي سَعْدٍ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن إِسْحَاق المُسَيَّبِيّ قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَبْدِ الْعَزِيز بن عُمَر بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ

قصة زواج الحارث
ابن عوف ببهيسة
بنت أوس وتحملة
الدية في ماله بين
عيس وذبيان

١٥ آبن عَوْف عن أبيه قال:

قال الحارثُ بن عوف بن أبي حلثة: أُرَانِي أَخْطَبُ إلى أَحَدٍ فِيرِدْنِي؟ قال نعم. قال: وَمَنْ ذَاكَ؟ قال: أَوْسُ بنُ حَارِثَةَ بنِ لَأْمِ الطَّائِي. فقال الحارث لغلامه: أَرْحَلْ بِنَا، ففعل. فركبا حتى أتيا أَوْسَ بنَ حَارِثَةَ في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى الحارثُ بنَ عَوْفٍ قال: مرحبًا بك يا حَارِ. قال:

٢٠ (١) هكذا في الأصول. ولم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

وبك . قال : ما جاء بك يا حار ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت : من اجل وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري . قالت : فما لك لم تستنزل^(١) ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أقربد أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفي أثرها . قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني آلتفاته فرأيتُهُ ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني عما فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ! امضي ! فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حار اربع على ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغ أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لا كبر بناته) فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منك فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة^(٢) ، ولست بأبنة عمه فيرعى رحي ، وليس بمارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى) ، فدعها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها : فأجابته بمثل

٢٠ (١) في ب ، س : « لاستنزله » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « لم تقدم مني فيه قولاً » . (٣) الردة : القبح مع شيء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

- جوابها وقالت : إني نَحْرَاءُ وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ماتعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقّي ، ولا جارك في بلدك فيستحييك . قال : قومي بارك الله عليك . أدعي لي بهيسة (يعني الصغرى) ، فأثني بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقاتلتيهما — لكنني والله الجميلة وجهاً ، الصانع يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أباً ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتُك يا حارثُ بهيسة بنت أوس . قال . قد قبلتُ . فأمر أمها أن تهيبها وتُصيح من شأنها ، ثم أمر بيت فضرب له ، وأنزله إياه . فلما هبّت بعث بها إليه . فلما أدخلت إليه لبث هنيئة ثم خرج إلى .
- ١٠ . فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مددتُ يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدّم فتقدمتُ ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بي . فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكلما يفعل بالأمّة الجارية أو السبيّة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل ١٥ لمشلي . قلت : والله إني لأرى همّة وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنجبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلى . فقلت : أفرغت ؟ قال لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف مالا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أفرغت لنكاح النساء والعرب تقتل ٢٠ بعضها ! (وذلك في أيام حرب عبس وذبيان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : اخرج

إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم أرجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً . قال : فأخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم فشيننا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجل الذكرك . قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذُيبانَ بعدما * تقانوا ودقوا بينهم عطرَ منشَم^(١)
فأصبح يحرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال المزنم^(٢)
يُجْجَمها قوم لقوم غرامة * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم^(٣)

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

« صحا القلبُ عن سلمى وقد كاد لا يسلو^(٤) »

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فضرب زهير بها المثل ، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرها فإذا حاربوا اشترى منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها ، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في لسان العرب (في مادة نثم) وأمثال الميداني في «أشام من منشم» وفي شرح الأعلام الشنري لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل ، والمزنم : اسم فحل معروف . والتلاد : المسال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يفرعون في الدية صفار الإبل . (عن الأعلام) . ويروى هذا البيت في شرح القاموس (في مادة «زئم») هكذا :

فأصبح يحدى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم

(٣) . يججمها قوم : أي تجعل نجوما أي أقساطا على غارمها . يريد أن هذين الساعين حملا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم ، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلام) . (٤) في ١ ، ٢ : « كان » .

١٥١
٩

وهي قصيدة يقول فيها :

تداركُنا الأحلافُ ^(١) قد نُئِلَ عرشُها * وذُبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامِها النعلُ
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
وبما مدح به هيرما وأباه وإخوته وغنى فيه قوله :

مدح بقصيدته
القافية هيرما وأباه
وإخوته

صوت :

إنَّ الخليطَ ^(٢) أجَدَّ البينَ فأنفقا * رَعَلَقَ القلبُ من أسماء ما عَلَقا
وأخلفتك أبنةُ البكرى ما وعدتُ * فأصبح الحبلُ منها ^(٣) واهنا خلَقا
قامت تبدى بذى ضالٍ لِحَزْنِي * ولا محالة أن يشتاقي من عَشِقا
يبيد مُغْزِلَةَ أدماء خاذلةٍ * من ^(٤) الطباء تُراعى شادنا نَحْرَقا
انفرك : انفعل ، من الفُرقة . وأجدَّ وجدَّ بمعنى واحد ، من الجَدِّ خلاف اللعب .
والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ ^(٤) في المودة ، والضَّال : السَّدْرُ الصَّغَارُ ، وأحدثها
ضالَّة . والحيد : العُنُق . والمُغْزِلَةُ : الظبية التي لها غزال . والأدماء : البيضاء .
والخاذلة : المقيمة على ولدها ولا تتبع الأطباء . والشَّادِنُ : الذي قد شدَّ ن أي تحرك
ولم يقو بعد . والخَرِق : الدهش .

١٥ غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى ، وقيل إنه
لأبن جامع ، وقيل بل لحن أبن جامع بالبنصر . وفي الثالث والرابع لأبن المسكى رملٌ
صحيح من روايتي بئذٍ والهشامى .

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطى . ونل عرشها : أى أصابها ما كسرهما وهدمها . وذبيان :
قبيلة المدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم
لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال . (عن الأعل) .
٢٠ (٢) الخليط : المخالط ، ويقال للجمع أيضا خليط . (٣) فى ١ ، ٢ : « واهيا » بالياء المتناة .
(٤) فى ١ ، ٢ : « المحبة »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هريماً :

قد جعل المبتغون الخير من هريم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على عِلَّاته هريماً * يَلْقَى السَّاحَةَ منه والسدى خُلُقاً
ليثٌ بعثر يصطاد اللبث إذا ^(٢) * ما اللبث كذب عن أقرانه صدقاً ^(٣)
يطعنهم ما أرتدوا حتى إذا أطعنوا * ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقاً ^(٤)

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هريم سنان بن أبي حارثة . وذكر ابن الكلبي أنه
هوى امرأة فاستهم بها ، وتفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرف له خبره . فترغم
بنو مرة أن الحن استطارته فدخلته بلادها ، وأوأسست عجلته لكرمه . وذكر
أبو عبيدة أنه قد كان هريم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ، فهام على وجهه خرقاً
ففقده . قال : فرغم لي شيخ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد ،
فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً .
فرثاه زهير بقوله : ^(٥)

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا * مَا تَبْنِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ ^(٦)

- (١) عثر : (بتشديد التاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هي أرض مأسدة بناحية تبالة .
(٢) في ح والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الحملة . يقال : كذب
الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا المدح
يصدقها . (عن الأعلام) . (٤) اعتنق : اسرم قرنه . يقول : إذا ارتعى الناس في الحرب بالنبل
دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم ، فاذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فاذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه
والترمه ، أى أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعلام) . (٥) الأبيات الآتية
في الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) في الأصول : « مثل » وهو تحريف .
(٧) في الأعلام : « وقيل إنما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة » . (٨) في ١ ، ٢ :
« بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول للثابت والثاني لغيره .

خرف سنان بن
أبي حارثة ثم مات
فرثاه

إِنَّ الرِّكَّابَ لَتَبَتَنِي ذَا مِرَّةٍ * بِجَنُوبٍ نَجْدٌ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ
يَتَعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ * عَظُمْتُ مَصِيبَتُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتْ
وَمُدَّقِعُ ذَاقِ الْمَوَانِ مَلْعَنٌ * رَاخِيَتَ عُقْدَةَ حَبْلِهِ فَأَنْحَلَّتْ^(٣)
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ إِذَا سَطَا^(٤) * نَهَلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ^(٥)
والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله :

١٥٢

أشعاره غنى فيها

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَامِي عَرَفَتَ الطُّلُولَا * بِذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مَثْرَلَا
بَلَكِينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتَهُنَّ * طَوْرُ فَرِطٍ حَوَلَيْنَ رَقًّا مَحِيلَا^(٦)
المبائل هاهنا: اللاطِطُ بالأرض، وفي موضع آخر: الْمُتَّصِبُ القائم. وذو حُرُضٍ:
موضع. والحُرُضُ: الأشنان. وآيَاتُهُنَّ: علامَاتُهُنَّ. وفَرِطُ حَوَلَيْنَ: تَقَدَّمَ
حَوَلَيْنَ، والفَارِطُ: المتقدم.
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِسْحَاقُ، وَلَهُ فِيهِمَا لَحْنَانٌ: أَحَدُهُمَا ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ
الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ، مِنْ كِتَابِهِ. وَالْآخَرُ مَآخُورِيٌّ مِنْ مَجْمُوعِ غِنَائِهِ، وَرَوَايَتُهُ عَنْ
الْحِشَامِيِّ. وَفِيهِمَا لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو. يَقُولُ فِيهَا:
إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِيبِ * لَمْ أَعْصِ النَّهْأَةَ وَأَمْضَى الْفُرُولَا
جمع. قَالَ، أَيْ لَا أَتَطِيرُ.

- (١) الرِّكَّابُ: الإبل، والمراد راكبوها. وذات مرة أي ذا عقل ورأى مبرم. وقوله «إذا
الشُّهُورُ أَحَلَّتْ» أي إذا دخلت الشُّهُور التي يحل فيها الفُرُور. (٢) في ديوان زهير بشرح الأعلام
النحوي: «بجنوب نخل». (٣) في ١، ٢: «بكله» والكل: القيد.
(٤) في شرح الأعلام: «ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا». (٥) العلق: الدم.
(٦) في شرح الأعلام: «أمن آل ليلى الخ». (٧) في شرح الأعلام: «عن». (٨)
المحيل: الذي أتى عليه حول. شهرسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحجت يتغير ويدرس.

(١) فلا تأمني غزواً فراسيه * بني وائل وأحذريه جديلاً
وكيف اتقاء امرئ لايسؤ * ب بالقوم في النزوح حتى يطيل^(٢)
ومن الغناء في مدائح هريم قوله .

صوت

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الأرواح والديم^(٣)
كأن عيني وقد سال السليل بهم * وعبرة ما هم لو أنهم أمم^(٤)
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق * في السلك خان به رباته النظم^(٥)
الديم : جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السليل بهم :
أى ساروا فيه سيراً سريعاً . والسلل : واد . وقوله وعبرة ما هم أى هم عبرة ، وما هاهنا
صلة . لو أنهم أمم أى قصدت أزوهم . والأمم : بين القريب والبعيد . والقلق :
الذى لم يستقر لما أنقطع الخيط . والنظم : جمع واحد نظام ، شبه دموعه بلؤلؤ
أنقطع سلكه ، وبماء سال من الغرب .

الغناء في هذه الأبيات رمل لكن المكي بالوسطى عن عمرو . وذ كر عمرو أن
لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذ كر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت

لمب الديار بقنة الحجر * أقوين مذحج ومذدهم^(٦)

- (١) يريد : يا بني وائل لا تأمني غزواً فرسانه ، ويا جديلة احذريه . وجديلة أمهم وعدوان ، وكان
سنان بجاورهم . (عن الأعمى) . (٢) أى هو مطيل للغزول لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤرب بالقوم
من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعمى) . (٣) روى في لسان
العرب مادة أمم : « وعبرة » وكذلك روى في مادة سلال مردفاً بقوله : « ويروى : وعبرة » .
(٤) أى هم سبب بكائي وحزنى . (٥) الحجر : موضع بعينه وهو حجر البمامة .
(٦) فى ج ودوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا * بَعْدَى سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ^(١)
 دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَيْمٍ * خَيْرَ الْكُهُولِ وَسَيِّدَ الْحَضِيرِ
 أَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشِيرٍ * كُنْتَ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

الْقَنَةُ : الحبل الذي ليس بمنتشر . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . وَالسَّوَافِي : مَا تَسْفِي الرِّيحُ^(٢) .
 قَالَ : وَالْقَطْرُ مَخْفُوضَةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٣) ، وَالْقَطْرُ لَا سَوَافِي لَهُ^(٤) . وَهَذَا تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ
 فِي الْمَجَاوِرَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : جَحْرَضَبُّ نَحْرِبٍ .

١٥٣
٩

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبُ خَاثِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَجْنَسْ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
 أَوَّلُ بِالْيَنْصَرِ نَسَبُهُ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبَهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ
 مِمَّا ذَكَرَ حَبَشٌ . قَالَ : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقَدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَمْدَحُ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ :

صوت

صَحَّاحَ الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٥) * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَقَلُّ
 وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا * عَلَى صَيْرِ أَمْرِ مَا يُمُرُّ وَمَا يَحُلُو
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ * مَضَّتْ وَأَجَمْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَحُلُو
 وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحْدَثَ النَّأْيُ عِنْدَهُ * سُلُوفُؤَادٍ غَيْرِ حِكِّ مَا يَسْلُو
 تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا * هَجَعْتُ وَدَوْنِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالرَّمْلُ

(١) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « الْمَوْر » وَهُوَ التَّرَابُ .

(٢) هَذَا عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَسِّسُ . وَعَلَى رِوَايَةِ الْأَعْلَمِ يَرَادُ بِالسَّوَافِي الرِّيحَ ، يَعْنِي أَنَّ الرِّيحَ
 وَالْأَمْطَارَ تَرَدَّدَتْ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ حَتَّى عَفَتْ رَسُومَهَا وَغَيَّرَتْ آثَارَهَا بِمَا سَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهَا مِنَ التَّرَابِ وَبَحَثِ

الْأَمْطَارِ مِنَ الْآثَارِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَى الرِّيحِ » . (٤) إِذَا فَسَرَتْ السَّوَافِي

بِالرِّيحِ نِيصَحُ أَنْ يَكُونَ الْقَطْرُ مَا تَسْفِيهِ الرِّيحُ . (٥) فِي ١ ، ٢ : « كَانَ » .

فَأَسْمَتْ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ * وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(١)
لَأَرْتَحِلُنَّ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَذْأَبُنَّ * إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعْرِجَنِي طِفْلُ^(٢)
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُفَرِّسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا التَّخْلُ^(٣)

التَّعَانِيقُ وَالثَّقْلُ : موضعان . وَيُرَوَّى : فَأَلْتَحِلُّ : وقوله على صير أمر : أى على شرف أمر . وَأَجَحْتُ : دَنْتُ . وَتَأَوَّنِي : أَتَانِي لَيْلًا . وَالتَّأْوِيْبُ : سِيرُ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ . سُحِفَتْ : حُلِقَتْ ، يُقَالُ سَحَفَ رَأْسَهُ وَسَهَبَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ "يُعْرِجَنِي طِفْلٌ" قَالَ يُقَالُ الطَّفْلُ : اللَّيْلُ ، وَيُقَالُ الطَّفْلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطِّفْلُ : الْحَزَنُ ، وَإِقَادَهُ نَارَ التَّحْيِيرِ . وَالْخَطِيُّ : رِيحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةٍ بِالْبَحْرَيْنِ تُرْفَأُ إِلَيْهَا سُفْنُ الرِّيحِ . وَالْوَشِيجُ : الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوُشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .

غَنَى إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصِّلَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ الْمَشَامِي وَعَمَرُو . وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ . وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبَدٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ . وَأَحْمَلُوهُ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ رَمَلٍ . وَذَكَرَ حَبَشَ أَنْ لَا إِبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ . لَحْنًا مَا خُورِيًّا .
وَمِنْ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ :

صوت

لَمِنْ طَلَّلَ بِرَامَةِ لَا يَرِيمُ * عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ^(٤)

(١) المقاديم : جمع مقدم الرأس ، وأراد بالقمل : الشعر الذى فيه القمل ، على تقدير مضاف ، أى وشعر القمل . وقد يراد بالقمل على معناه فانه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها .
(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج ، وقبله :
فأيك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
(٣) نار التحير : هى النار التى توقد لهداية الحائر . (٤) لا يريم : لا يبرح .
(٥) رواية الديوان : * عفا وخلاله حقب قديم *

تَطَالَعُنِي خِيَالَاتٌ لَسَامِي * كَمَا يَتَطَالَعُ الدِّينَ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي ثَقِيلُ الْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو . وَعَقَا : درس هَاهُنَا ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
كَثُرَ ، وَهُوَ مِنْ إِضْدَادِ . وَخِيَالَاتٌ : جَمْعُ خِيَالٍ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا
عَمْرُ بْنُ شَيْبَةَ ، وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ فِي خَبَرٍ لَهُ عَنْ الْأَصَمِّ : قَالَ :

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ هَرَمٍ
عَنْهُ شِعْرًا لَهُ فِي هَرَمٍ
ابْنِ سِنَانٍ فَلَا مَعَا

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ ابْنِ سِنَانٍ يَمْدَحُهُ :

دَعُ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْخَضِرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ * كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ * إِشْوَابِكَ الْأَرْحَامِ وَالصَّهْرِ
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا * دُعِيتَ نَزَالٍ وَجُجَّ فِي الدُّعْرِ
وَأَرَاكَ تَقْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ * حُضِّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِى
أَنْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا * أَسْلَفْتَ فِي النَّجْدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسَّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

١٥٤
٩

فَقَالَ عَمْرُ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال وقال عمر لبعض ولد هيرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده .
فقال عمر : إن كان ليحسّن فيكم القول . قال : ونحن والله إن كنا لنحسّن له العطاء .
فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

قال عمر لبعض
ولد هيرم قد خلد
ذكره لكم

(١) في ٣٠٤ : « لز » بالزاي .

(٢) تقري : تقطع . وخلق أي قدرت الأديم وهيأته للقطع والحرز . والمعنى : أنك إذا
تهيات لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يعضيه
عجزاً وضعف همة . (عن شرح الأعمى) .

قال : وبلغني أن هريماً كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستجيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في مئذ قال : عموا صباحاً غير هريم ، وخيركم أستثيت . وروى المهلب : وخيركم تركت .

حلف هريم أن يعطيه كلما لقيه

سأل عمر ابنه عن
الحلل التي كساه
أباها هريم فاجابه

أخبرني الحوهرى والمهلبى قالاً حدثنا عمر بن شبة قال :

قال عمر لابن زهير : ما فعلت الحلل التي كساه هريم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحلل التي كساه أبوك هريماً لم يبلها الدهر . وقد ذكر الهنيم ابن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير

شعر له مدح :
هرما ولم يسبقه
إليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شبة : وما سبق فيه زهير في مدح هريم ولم يسبقه إليه أحد قوله :

قد جعل المتغنون الخير من هريم * والسائلون إلى أبوابه طرُقا
من يلق يوماً على علاته هرة * يلقى السباحة منه والندى حُلُقا
يطلب شأواً أمر أين قدماً حسناً * بدأ الملوك وبدأ هذه السوفا
هو الجواد فإن يَلْحَقْ بشاوهما * على تكاليفه فثله لِحَقا
أو يسبقاه على ما كان من مهيل * فثُل ما قدما من صالح سَبَقا

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلام للديوان .

يطلب شأواً أمر أين قدماً حسناً * نالا الملوك وبدأ هذه السوفا

وأراد بالمرأى : أباه وجده . بقول : تساوى أبواب الملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأنها لا يجازيان في فعل . (عن شرح الأعلام) . (٢) المهل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواب وأخذها عليه المهلة في الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قدما من صالح سعيهما سبق من جاراها . (عن شرح الأعلام) .

أخبرني الجوهري والمهليّ قالاً حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني^(١) :
قال عبد الملك بن مروان : ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة
من قوله :

مدح عبد الملك
ابن مروان شعره
في مدح آل أبي
حارثة

على مكثريهم رزق من يعتريهم^(١) * وعند المقلين الشماحة والبسذل

ألا يملك أمور الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهم زهير غنياً
ولا فقيراً إلا وصده ومدحه .

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قول زهير :
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تعلم .

مدح عثمان بن
عفان شعره له

فقال : أحسن زهير وصدق ، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .
قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث عنك به " .

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه :

أن عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن
الزبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وغنمه أهل الشام
استخف به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بس المزور أنت ؛ تكرم ضيفك
في الخلا ، وتُهينه في الملاء ، وقال : لله دَر زهير حيث يقول :

تمثل عروة بن الزبير
ببيت له وقد
استخف به عبد
الملك بن مروان

فقرى في بلادك إن قوماً * متى يدعوا بلادهم يهونوا

١٥٥
٩

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة ، فقضى حوائجه وأذن له . وهذا البيت من قصيدة
لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان ، أولها :

(١) يعتريهم : يقصدهم و يطلب ما عندهم .

(٢) في أكثر النسخ : « فقال » وفي ج : « قال »

ألا أبلغُ لديكَ بنى تميم * وقد يأتنيك بالخبر الظنونُ
الظنون : الذى لستَ منه على ثقة ، والظنين : المتهم .

وقال ابن الأعرابي :

شعره فى الحارث

ابن ورقاء وقد

أخذ إليه وغلظه

كان الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد أثار على بنى عبد الله بن غطفان

فغنى فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا . وزودوك أشتياقاً أيةً بهاسكوا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حللتَ بجحو في بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك^(١)

ليأتينك منى منطق قدع * باقى كادس القبطية^(٢) الودك^(٣)

فأردد يساراً ولا تعنف عليه ولا * تمحك بعرضك إن الغادر الملعك^(٤)

ولا تكونن كأفوام عليهم * يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا^(٥)

طابت نفوسهم عن حق خصمهم * مخافة الشر وأرتدوا لما تركوا^(٦)

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا فى الديوان .

وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون فى الدار . ولم يأووا : أى لم يرجعوا

ولم يرجعوا . (٣) جحو : واد . (٤) كذا فى ج والديوان وياقوت فى كلامه على فلك .

والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ وياقوت فى كلامه

على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : « دير عمرو : جبال فى طيى قرب قرية لم يقال لها جحو » .

ثم ذكر هذا البيت الذى بعده . وفلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا

فى الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف)

على غير قياس . وفى الأصول « القبطية » وهو تحريف . والودك : الدسم . يقول : لئن حللت بجحو

لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدنس به عرضك كما يدنس الودك القبطية . (٦) الملك : المثل

وزنا ومعنى . والملعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلى يسار فطلاك غدر . وكلها مطلتنى لحق ذلك

بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أى يطلون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتوا وبلغوا فى هجائهم .

(عن شرح الأعلام) . (٨) أى لما أودوا بالهباء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطاء ما كانوا

تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وإبقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعلام) .

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه :

صوت

أَهْوَى لها أَسْفَعُ الخَلْدَيْنِ مُطَّرِقٌ * رِيَشَ القَوَادِمِ لَمْ يَنْصَبْ لَهُ شَرَكُ^(١)
وَقَدْ أَكُونُ أَمَامَ أَجْعَلٍ تَحْمِلُنِي * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ^(٢)

- أهوى لها — يعنى القطة تقدم وصفه إياها — صقر . ورواه الأصمعيّ : "هوى لها"
وقال : هوى : آنقش ، وأهوى : أوفى . ومطرق : ريشه بعضه على بعض ليس بمنشور ،
وهو أعنق له . وقوله لم ينصب له شرك : أى لم يصطد ولم يذلل . والتموادم : العشر
المتقدمات . والفحج : تباعد ما بين الفخذين . والصكك : أصطكاك العرقوين
في الدواب ، وفي الناس الركبتيين . قال : فلما أُنشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام
إلى زهير . وقيل : بل أنشد قول زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ * يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارُ^(٣)
وَلَوْلَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ * وَشَرُّ مَنِيحَةٍ أَيْرُ مَعَارُ^(٤)
إِذَا جَمَعَتْ نِسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ * أَشْطَ كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ^(٥)

- (١) رواية الديوان بشرح الأعراس : « لم ينصب له انتبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه
بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، بنصب الوجه . (راجع شرح الأعراس) . (٢) هكذا غنى
في هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وَقَدْ أَرَوْحُ أَمَامَ الْحَيِّ مُقْتَنِصًا * قُمْرًا مَرَاتِعُهَا الْقِيَعَانُ وَالنَّبَكُ
وَصَاحِبِي وَرْدَةٌ نَهْدٌ مَرَاكِهَا * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ

- (٣) الشعار : علامة القوم في سفرهم : اسم رجل أوشى . قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه .
وإنما أراد أن يسارا صارعيا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم . (عن شرح الديوان لثعلب) .
(٤) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (٥) المنيحة : العارية . (٦) في شرح
الأعراس : « عسب » . (٧) رواية اللسان في مادة شظط : « جنحت » . (٨) كذا في
الديوان . وأشط : أنعظ واشتد . وفي الأصول : « أشد » . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد الفحل .

(١) يبرر حين يعدو من بعيد * إليها وهو قَبْقَابٌ قَطَارٌ
فردّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسل به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير
عند ذلك :

أبلغ لبيب بنى الصيّداء كلهم * أت يساراً أنا غير مغلول
ولا مهان ولكن عند ذى كرم * وفي جبال وفي العهد مأمول
وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيا أصلح : ما فعلت أو ما أردتم؟ قالوا :
بل ما فعلت .

كان يذكّر في شعره
غطفان وأخواله
بنى مرة ويمدحهم

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي :
أت زهيراً وأباه وولده كانوا في بنى عبد الله بن غطفان ، ومنزلهم اليوم بالحاجر ،
وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بنى فهر بن مرة بن
عوف بن سعد بن دُبيان يقال له الغدير - والغدير هو أبو بشامة الشاعر - فولدت له
زهيراً وأوساً ، وولد لزهير من امرأة من بنى سُحيم . وكان زهير يذكّر في شعره بنى مرة
وغطفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيّداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع .

(١) يبرر : يصوت . والقبقاب : من القبقبة وهي هدير الفعل . والقطار (بضم أوله) : وصف
من القطر أي يسيل ، وقيل عن أبي محمد : المنتصب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .
(٢) كذا في ح والديوان بشرح الأعم . وفي الديوان بشرح ثعلب : « يقدو » بالغين المعجمة .
وفي سائر الأصول : « يبدو » . (٣) ورد هذا الشطر في شرح الديوان للأعم الشنمري هكذا :
« وفي جبال وفي غير مجهول » . والحبال : العهود والذمم .
(٤) في الأصول : « بالحاجز » بالزاي وهو تصحيف . (٥) كذا في شرح ثعلب ، وقد
صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخه ، ويرجح ما سيأتي في ص ٣١٢ من هذه الترجمة .
وفي الأصول هنا : « الغابر » . (٦) كذا في شرح الديوان لثعلب في الدخول على قصيدته
الهمزية . وفي الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو محرف .

١٥٦
٩

١٥

٢٠

شكا إليه رجل من
غطفان بنى عليهم
ابن جناب فهاجم

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بنى عليهم بن جناب^(١)، وكان بلغه عنهم
شيء من وراء وراء، وكان رجل من بنى عبد الله بن غطفان أتى بنى عليهم^(٢)، وأكرموه
لما نزل بهم وأحسنوا جوارره، وكان رجلاً مولعاً بالقيار فهو عنه، فأبى
إلا المقامرة. فمر مرة فردوا عليه، ثم قرأ أخرى فردوا عليه، ثم قرأ الثالثة فلم يردوا
عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنيع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً
شديداً. فقال : ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله يعقوبة لهجائي
قوماً ظلمتهم. قال : والذي هجاكم به قوله :

عفا من آل فاطمة الجواء * قيمن^(٣) بالقوادم فالحساء^(٤)
فدو غاش فميث عربيتات^(٥) * عفتها الریح بعدك والسماء
جرت سنا فقلت لها أجزى * نوى مشمولة فتى اللقاء
كان أوابد الثيران فيها * هجان في مغابنها الطلاء
لقد طابها ولكل شيء * وإن طالت بلجاجة آتباء
وقد أغدو على شرب كرام^(٦) * تشاوى واجدين لما نشاء
لهم طاس^(٧) وراووق ومسك * تعل به جلودهم وماء

الجواء : أرض . ويمن والقوادم : في بلاد غطفان . والميث : جمع ميثاء . قال
أبو عمرو : إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء . والسماء هاهنا :

(١) كذا في شرح نعلب والمعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « حبان » وهو تحريف .

(٢) في الأصول : « غلب » وهو تحريف . (٣) الحساء : في بلاد غطفان .

(٤) ذر هاش : موضع في بلاد غطفان . (٥) عربيتات : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطير . والبسانح : ما أقبل من شمالك يريد يمينك . والبارح : ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل روبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولأك ميامنه . والبارح : ما ولأك مشائمه . وأجيزى : انقضى . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادئ إذ قطعته وخلفته ، وحرته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأوايد : الوحشية . والمهبائن : الميل بيض . والمغابن : الأرفاغ ، واحدها مغين . ومشمولة^(١) : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأجرى ذلك مجرى الدم ، فهذه السنح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلًا أول باله سبابة في نبرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل . وذكر حبش أن فيه للهذلي ثانی ثقيل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بدت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى من تذكره سقام * أعاجله ومطلبه عناء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها ، ذكر إسحاق

أنه للغريض ، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من غنائه .

١٥٧
٩

طلب من خاله
بشامة وهو يختصر
أن يقسم له من
ماله فقال له
أورثتك الشعر

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد ، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال :

(١) في الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : « ... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف ، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر ويذهب » .
(٢) في الأصول : « وفي » .

- وكان بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِير خَالَ [زُهَيْرِ بْنِ] أَبِي سُئْمَى، وكان زُهَيْرٌ منقطعاً إليه وكان مُعِجَباً بشعره . وكان بَشَامَةُ رجلاً مُقْعَدًا ولم يكن له ولد ، وكان مُكْثَرًا من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفَانَ : لئُولَتِهِمْ . وكان بَشَامَةُ أَحْزَمَ النَّاسِ رَأْيًا ، وكانت غَطَفَانَ إذا أرادوا أن يَغْزُوا أَتَوْهُ فَاسْتَشَارُوهُ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فإذا رَجَعُوا قَسَمُوا لَهُ مِثْلَ مَا يَقْسِمُونَ لِأَفْضَلِهِمْ ، فمن أجل ذلك كَثُرَ مَالُهُ . وكان أَسْعَدَ غَطَفَانَ فِي زَمَانِهِ . فلما حَضَرَهُ الْمَوْتُ جَعَلَ يَقْسِمُ مَالَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ بَنِي إِخْوَتِهِ . فَأَتَاهُ زُهَيْرٌ فَقَالَ : يَا خَالَاهُ لَوْ قَسَمْتَ لِي مِنْ مَالِكَ !! فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا بَنَ أَخْتِي لَقَدْ قَسَمْتُ لَكَ أَفْضَلَ ذَلِكَ وَأَجْزَلَهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : شَعْرِي وَرِثَتِي . وقد كان زُهَيْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ الشَّعْرَ ، وقد كان أَوَّلَ مَا قَالَ . فقال له زُهَيْرٌ : الشعرُ شَيْءٌ مَا قُلْتَهُ فَكَيْفَ تَعْتَدُّ بِهِ عَلَيَّ ؟ فقال له بَشَامَةُ : ومن أين جِئْتَ بِهَذَا الشَّعْرِ ! لعلك ترى أَنَّكَ جِئْتَ بِهِ مِنْ مُزَيْنَةَ ، وقد عَلِمْتَ الْعَرَبَ أَنَّ حَصَاتِيهَا وَعَيْنَ مَائِهَا فِي الشَّعْرِ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ غَطَفَانَ ثُمَّ لِي مِنْهُمْ ، وقد رَوَيْتَهُ عَنِّي . وأحذاه نصيباً من ماله ومات .

وبَشَامَةُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

بشامة خاله شاعر
مجيد وشيء من
شعره

صوت

- ١٥ أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَّعْتَنِي قِطْعًا * ماذا من القَوْتِ بَيْنَ الْبَخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَّاحُ بِهِ * لِلْخَاطِطِينَ فَإِنِّي لَبِئْسُ الْعُودُ^(٥)
الغناء لإِسْحَاقَ ثَقِيلُ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ .

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدم في ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون : « وقد ورثته عني » . (٣) أحذاه : أعطاه . (٤) كذا

في ب ، س . وفي سائر الأصول : « قطعني » بالنون . ويظهر أن الخطاب لزوجته أو لامة تلومه في الكرم .

(٥) يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : خبط الشجرة إذا شدها ثم نقض ورقها .

طلق زوجته أم
أوفى ثم ندم فقال
شعرا

قال ابن الأعرابي :

أُمُّ أَوْفَى التي ذكرها زُهَيْرٌ في شعره كانت أَمْرَأَتَهُ ، فولدت منه أولادًا ماتوا ،
ثم تزوج بعد ذلك أَمْرَأَةً أُخرى ، وهي أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ؛ فغارت من ذلك
وآذنته ، فطلقها ثم ندم فقال فيها :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّاتٌ * وفي طول المَعَاشِرَةِ النَّقَالِي
لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى * ولكن أُمُّ أَوْفَى مَا تُبَيِّلِي^(١)
فَأَمَّا إِذْ نَايِتٍ فَلَا تَقُولِي * لَدَى صِهْرٍ أَدْلْتُ وَلَمْ تُدَالِي^(٢)
أَصَبْتُ نَبِيَّ مِنْكِ وَنِلْتُ مَتًى * من اللذاتِ وَالْحُلَلِ الْغَوَالِي

عانت امرأة ابنه
سالمًا فأت فرثاه

وقال ابن الأعرابي :

كان لزُهَيْرِ ابْنٌ يُقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشعر . فأهدى رجلٌ إلى زُهَيْرِ
بُرْدَيْنِ^(٣) ، فَلَيْسَ هُمَا الْفَتَى وَرِكَبٌ فَرَسًا له ، فَرَبًّا أَمْرَأَةً من العرب بماء يقال له التَّاءُ^(٤) ،
فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا وَلَا بُرْدَيْنِ وَلَا فَرَسًا . فَعَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ فَأَنْدَقَتْ^(٥)
عُنُقَهُ وَعَنُقُ الْفَرَسِ وَأَنْشَقَّ الْبُرْدَانِ . فَقَالَ زُهَيْرٌ يَرِيئِهِ^(٦) :

رَأَتْ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونٌ وَتَوَيْعَتْ * سَلَامَةً أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ

(١) في ١ ، م : « لا تبالي » . (٢) أذال المرأة : هزلها وأهانها . وفي المثل : « أخيل
من مذالة » وهي الأمة لأنها تهان وهي تنبخر من حقها . (٣) في الأصول : « بردتين ...
البردتان » قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي . والبردة : كساء يلتحف به ،
وقيل غير ذلك . (راجع اللسان في مادة برد) . (٤) التاء : ماء لبنى عميلة أو هو ماء لغنى . وقال
الحفصى : التاء : نخيلات لبني عطار . ويوم التاء من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح محبوباً يُنظر حوله * بغبطنه لو أنت ذلك دائم
وعندي من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم أنما أنت حالم^(٣)
لعلك يوماً أن تراعى بفاجع . كما راغى يوم الشتاء سالم

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي :

هو وقومه شعراء . كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناء كعب وبجير شاعر بن ، وأبنته الخنساء شاعرة ، وهي القائلة ترثيه :

وما يُغني توقي الموت شيئاً * ولا عقْدُ التيم ولا الغضار^(٤)

— والغضار : كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خرفاً أخضر —

إذا لاني منيته فأمسي * يسأى به وقد حق الحذار

ولافاه من الأيام يوم * كما من قبل لم يخلد قدار^(٥)

١٠

وإبن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر ، وهو القائل :

إني لأخيس نفسي وهي صادية * عن مضعب ولقد بانت لي الطرق

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (في روضة يحبورون) أي ينعمون . وينظر حوله أي ينظر

حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا في معجم البلدان في الكلام على التاء . وفي الأصول : « تغبطه » .

وفي الديوان بشرح تلعب : « بمغبطة » . ولم ترد هذه الأبيات في شرح الأعم . (٣) يخاطب ابنه .

يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) في اللسان (في مادة غضر) : « توقي المرء » .

(٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) في شرح القاموس (في مادة ضرب) :

« وكحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الفاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . وبالوجهين

ضبط في نسخة الصحاح » . وفي كتاب الشعر والشعراء أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد دبت بركوب

٢٠

فتربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

رُعوى عليه كما أرعى على هيريم * جَدَى زهير وفيما ذلك الخلق
مَدَحُ الملوك وسعى في مَسَرَّتِهِمْ * ثم الغنى ويحد المدوح تنطلق

ما امتاز به شعره
وكان سبب تقديمه

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ ، وَأَجْمَعَهُمْ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا
فِي شِعْرِهِ .

مرثية ابنه سالم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، وَكَانَ مِنْ أُمَّ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ؛ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ ،
فُخِزَ عَلَيْهِ كَعْبٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَامَتْهُ أَمْرَأَتُهُ وَقَالَتْ : كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ
مِنَ النَّاسِ ! فَقَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوْبَعَتْ * سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَحْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ * بَغْبِطَتِهِ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ * فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلِّكَ يَوْمًا أَنَّ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ * كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ النَّتَاءِ سَالِمُ

١٥

*
*
*

صوت

عَزَفْتَ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ * وَكَيْفَ تَصَابِي مَنْ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتَ فَأَطَوَلْتَ الصَّدُودَ وَلَا أَرَى * وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

(١) رُعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أرعى فلان على فلان إذا أبقي عليه .

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم .

٢٠

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، عَزَفَتْ عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبْتَهُ نَفْسُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : يَقُولُ لَمْ تَهْزِمِ صُرْمَ بَتَاتٍ ؛ وَلَكِنْ صَرَمْتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وَأَطَوَلَتْ
 الصَّدُودُ أَيْ أَطْنَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ذَرْوَرَةُ^(١) . الشَّعْرُ لِلْمَزَارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعَعِيِّ .
 وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلَ .

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ طَوَّل) : « وَأَطَلْتُ الشَّيْءَ وَأَطَوَلْتُ عَلَى النِّقْصَانِ وَالتَّمَامِ بِمَعْنَى .
 الْحَكْمِ : وَأَطَالُ الشَّيْءَ وَطَوَّلَهُ وَأَطَوَّلَهُ : جَعَلَهُ طَوِيلًا . وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَنْبَهُوا عَلَى
 أَمْرِ الْبَابِ . قَالَ : فَلَا يَقَاسُ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْأَصْلِ » .

ذكر المزار وخبره ونسبه

هو المزار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشم بن جحوان بن ققّس^(١)
ابن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمه^(٢)
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن ريار . وأم المزار بنت مروان بن منقذ الذي أغار^(٣)
على بني عامر بتهلان فقتل منهم مائة بجيب بن منقذ عمه، وكانوا قتلوه .^(٤)
وكان المزار قصيراً مفترط الفصير ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :
عدوني الثعلب عند العدد * حتى استثاروا بي إحدى الإحدى^(٥)
ليشاً هزبراً ذا سلاح معتدى * يرى بطرف كالحريق الموقد^(٦)

نسبه وكان قصيراً
ضئيل الجسم

١٥٩
٩

- (١) كذا في ج وهو الصحيح كما في شرح القاموس (في مادة جحو) . وفي سائر الأصول : « هوازن » وهو تحريف .
- (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « معين » بالميم وهو تحريف .
- (٣) في جميع الأصول : « تغلب » . والتصويب عن شرح القاموس : « في مادتي قمن وجحو » .
- (٤) كذا في أ ، م ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقائشندي وقد أورده في باب الدال المعجمة مع الواو . وفي سائر الأصول : « دودان » بالدال المهملة . (٥) كذا في ح . وفي أ ، م : « منقذ » بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالدال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم . وفي ب ، س : « منقر » بالراء المهملة . (٦) تهلان : جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة . وقال نصر : تهلان جبل لبني نعيم بن عامر بن صعصعة بناحية الشريفة به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جد مروان وسقط اسم أبيه .
- (٨) إحدى الإحدى : الأمر المنكر الكبير . قال الشاعر : * بعكاظ فعلوا إحدى الإحدى * وإحدى الإحدى الداهية . يقول : حسبوني من عداد النعاليم عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكالخهم حتى استثاروا مني داهية . (٩) المعتدى : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنسوب . وفي الأصول : « معتد » بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفاً عن « معتد » وصف من أعتد الشيء إذا هياه وأعده ، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح . ويرى بطرف كالحريق الموقد : أراد أن عينه في غضبه حراء كالنار الموقدة الملتبة . (راجع لسان العرب في مادة أحد ، وخرانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسى . وفيه يقول المرار :
 شَقِيتَ بنو سَعْدٍ بِشَعْرِ مُسَاوِرٍ * لِمَنْ الشَّقُّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْتَقُ
 والمساور القائل فيه :

كان يهاجى
المساور بن هند

مَا سَرَّنِي أَنَّ أُمِّيَ مِنْ بَنَى أَسَدٍ * وَأَنْتَ رَبِّي يُخَيِّنِي مِنَ النَّارِ
 أَوْ أَنْتَهُمْ زَوْجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمْ * وَأَنْ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ
 والمرار من مخضري الدولتين . وقد قيل : لأنه لم يدرك الدولة العباسية .

من مخضري
الدولتين
أغار هو وأخوه
بدر على بني عبس
ونهب إياهم فبسببها
الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي
 عن المفضل والكوفيين :

- أَنَّ الْمَرَّارَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ أَتَى حُصَيْنَ بْنَ بَرِّقٍ مِنْ بَنَى عَبَسَ ، فَوَقَفَ عَلَى بَيْوتِهِمْ
 ١٠ فَبَعَلَ يَحْدُثُ نِسَاءَهُمْ وَيُنْشِدُهُنَّ الشُّعْرَ . فَنَظَرُوا إِلَيْهِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَاءِ فَظَنُّوا
 أَنَّهُ يَعِظُهُنَّ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النِّسَاءِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الرِّجَالِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
 أَنْتَ يَا مَرَّارُ تَقِفُ عَلَى آيَاتِنَا وَتُنْشِدُ النِّسَاءَ الشُّعْرَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَسْأَلُهُنَّ . فَبَغَى
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَضَرَبُوهُ عَقْرًا بِعَصَاهُ ، فَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ
 إِلَى بَنَى فَقَعَسَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبِيرَ ، فَرَكِبُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا بَنَى عَبَسَ فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ،
 ١٥ وَفَقَاتَ بَنُو فَقَعَسَ مِنْ بَنَى عَبَسَ عَيْنًا وَقَتَلُوا رَجُلًا ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . فَحَمَلَ أَبُو شَدَادٍ
 النَّصْرِيُّ ابْنَ عَبَسَ مَاتِي بَعِيرٍ وَغَلَّظُوا عَلَيْهِمْ فِي الدِّيَةِ . ثُمَّ إِنَّ بَدْرَ بْنَ سَعِيدٍ أَخَا
 الْمَرَّارِ قَالَ : قَدْ آسَتَوْفَتْ عَبَسٌ حَقَّهَا ، فَعَلَامَ أَتْرَكَ ضَرْبَ أَخِي وَعَقَرَ جَمَلِهِ ! فَخَرَجَ
 حَتَّى أَتَى جَمَالَ ابْنَ عَبَسَ فِي الْمَرْءِ ، فَرَمَى بَعْضُهَا فَعَقَرَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ . فَقَالَ لِلْمَرَّارِ :
 إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يُقْنَعُ بِهَذَا وَلَكِنْ أَخْرَجَ بِنَا . فَخَرَجَا حَتَّى أَغَارَا عَلَى إِبْلِ ابْنِ عَبَسَ
 ٢٠ فَطَرَدَاهَا وَتَوَجَّهَا بِهَا نَحْوَ تَيْمَاءَ^(١) . فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَتَقَطَعَ بِطَانٌ رَاحِلَةٌ بِدَرٍ

(١) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(١) فنَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ . فقال له المَرَّارُ : يا أُنْحَى أَطْعُنِي وَأَنْصِرْفِ وَدَعْ هَذِهِ الْإِبِلَ فِي النَّارِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا ، فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَرَضَ لَهَا ظَبْيٌ أَغْضَبَ أَحَدَ الْقَرْنَيْنِ (٢) . فقال المَرَّارُ لبدر : قد تَطَيَّرْتُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرْجِعُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ أَبَدًا ، فَأَبَى عَلَيْهِ بَدْرٌ . فَتَفَرَّقَتْ عَبْسُ فِرْقَتَيْنِ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ ، فَعَمِدَتْ فِرْقَةٌ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ (٣) ، وَفِرْقَةٌ إِلَى تَبْمَاءَ فَصَادَفُوا الْإِبِلَ بَتَمَّاعِيَّاعٍ ، فَأَخَذُوا الْمَرَّارَ وَبَدْرًا فَرَفَعُوهُمَا إِلَى الْوَالِي . وَعُرِفَتْ سِمَاتُ عَبْسٍ عَلَى الْإِبِلِ فَدُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَرُفِعَ الْمَرَّارُ وَأُخْرِجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَضُرِبَ بِأُحْشَاءٍ فَمَاتَ بَدْرٌ فِي الْحَبْسِ . فَكَلَّمْتُ عِدَّةً مِنْ قُرَيْشٍ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيِّ فِي الْمَرَّارِ نَحْلَاهُ . وَقَالَ فِي حَبْسِهِ :

* صَرَمْتُ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ *

١٠ . وهى طويلة .

وقال يَرِي أَخَاهُ بَدْرًا :

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ * وَلِلْقَدْرِ السَّارَى لِلْبَكِّ وَمَا تَذَرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ * وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكِ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخَرَّأَ * وَمَا لَكِ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ

١٥ . وهى طويلة ، يقول فيها :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمُقَادِيرَ وَالْمُنَى * وَطَيْرًا جَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْجَبْرِ (٤) (٥)
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيفَةَ بَعْدَ مَا * زَجَرْتُ فَمَا أَغْنَى أَعْتِيَافِي وَلَا زَجَرِي (٦)

(١) نَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ . (٢) الْأَغْضَبُ : الْمَكْسُورُ . (٣) وَادِي الْقَرْيِ :
وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ كَثِيرِ الْقَرْيِ . (٤) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « السُّعَافَاتُ بضم
أولها وبعدها الألف فاء وآخره تاء مثناة من فوق موضع في قول المَرَّارِ » . واستشهد بهذا البيت .
(٥) الجَبْرُ (بالكسر ثم السكون) : اسم وادٍ ، كذا ذكره ياقوت في معجم البلدان واستشهد بأبيات من
هذه القصيدة . وفي الأصول : « الجَبْرُ » بِالْجِيمِ . (٦) فِي يَاقُوتَ : « وَقَاتِلَ تَكْذِيبَ
الْعِيفَةِ » .

مات أخوه بدر
في الحبس فرثاه

١٦٠
٩

تَرَوَّحَ فَقَدْ طَالَ الثَّوَاءُ وَقُضِّيتْ * مَشَارِيطُ كَانَتْ نَحْوَ غَايَتِهَا نَجْرَ

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وَمَا لَقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بِشَاشَةٍ * وَلَا الْحَى آتِيهِمْ وَلَا أُوْبَةَ السَّقْرِ

تَذَكَّرْنِي بَدْرًا زَعَاذُ عُمُورَةٍ * إِذَا عَصَفَتْ إِحْدَى عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرِ

— الزعازع : الشديدة المهبوب . والمجخرة : السينة الشديدة —

إِذَا شَوَّلْنَا لَمْ نُؤْتَ مِنْهَا مِجْلَبٌ * قَرَى الصَّيْفُ مِنْهَا بِالْمَهْدِ ذَى الْأَثْرِ

وَأَضْيَانَا إِن نَبْهَوْنَا ذِكْرَهُ * فَكَفَ إِذَا أَنْسَاهَا غَاةَ الدَّهْرِ

إِذَا سَلَّمَ السَّارَى تَهَلَّلَ وَجْهُهُ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرِ

تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَ مَا قِيلَ عَارِفٌ * لِمَا نَابَهُ يَا مُنْفَ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ

إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةً * مَرَّتْ دَمْعَ عَيْنِي فَأَسْتَهَلَّ عَلَى تَحْوِي

وَمَا كُنْتُ بَكَاءً وَلَكِنْ يَبْهِيجُنِي * عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخِلَاقِ وَالْخُبْرِ

أَعْيَنِي إِذْ شَاكِرًا مَا فَعَلْتُمَا * وَحَقَّ لِمَا أَبْلَيْتُمَاَنِ بِالشُّكْرِ

سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي بِفُذُّمَا * تَوَاتَيْنِ بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطْرِ

(١) في - : « وما لقفول » . (٢) في الأصول : « حجرة » بتقديم الحاء المهملة

على الجيم وهو تصحيف . وفي ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : سديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من رضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع رضعها

وخف لبها . والمجلب : إناء يجلب فيه . والأثر (بالفتح والكسر وبضمين) : فرد السيف وروقه .

ورواية هذا البيت في كتاب الشعر والشعراء ص ٤١٤ طبع أوربا : « إذا شولنا لم ننع فيها بمرفد... الخ » .

(٤) عرف للأمر : صبر . (٥) مرت دمع عيني : أرسلته وأسبلته . واستهل : سال .

(٦) في ب ، س : « يبهيجني » . (٧) العوان : النصف في سنأ من كل شيء . والحرب

العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب العوان هي أشد الحروب .

فلعله يريد أن عينيه تجمتا الدمع أي أسالته مرة بعد أخرى . (٨) كذا في كتاب الشعر والشعراء .

ووردت هذه الكلمة في الأصول مصحفة ، ففي بعضها : « يا قنتي » وفي بعضها الآخر : « يا قنتي » .

فَلَمْ يَشْفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلُوَةٌ * وَأَعْذَرْتُمَا لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكَ أَنْ تُسْهِرَانِي فَكُنْتُ^(١) * صَبُورِينَ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَتِي ذُبُرُ
يقول : طويتمَا أَعْبَارَ دَمْعِكَ . وَالْأَغْبَارُ . الْبَقَايَا كَأَغْبَارِ اللَّابَنِ .

خرج حاجا وأضانه
قرشي بالأبطح

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن
زكريا بن المزار أن المزار قال :

نَخَرَجْتُ حَاجًّا فَانْخَرْتُ بِنَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ ، بَخَاءُ قَوْمٍ فَتَحَنُّونِي عَنْ مَرْضَعِي وَضُرْبِي
فِيهِ قُبَّةٌ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ :
هَذَا قَعُودِي بَارِكًا بِالْأَبْطَحِ * عَلَيْهِ عَيْكَا^(٢) أَكْبَرُ^(٣) لَمْ تُفْتَحِ
فَقَالَ : وَمَا قِصَّتُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَفْتَحُ مِنْهُمَا شَيْئًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، فَأَقِمَّ
مَعَنَا ، يَدُكَ مَعَ أَيْدِينَا ، وَقَعُودُكَ مَعَ آبَائِنَا^(٤) ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَحْتُ الْعِدْلِينَ حَتَّى أَنْصَرِفَ
بِهِمَا إِلَى أَهْلِي . لَمَّا هَجَانِي أَحَدُ قُطْ هِجَاءِهِ .

حبس هو وأخوه
بدر ، وشعره
في الحبس

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال
أخبرني أبو موهب رَتِيلُ الزُّبَيْرِيِّ أَحَدَ بَنِي زُبَيْرٍ بَنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ :
كَانَ الْمَسْرَارُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرُ لَصِينٍ ، وَكَانَ بَدْرُ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ
ظَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ . فَأَغَارَ بَدْرٌ عَلَى ذُوْدٍ لِبَعْضِ بَنِي غَنَمٍ بَنِ ذُوْدَانَ فَطَرَدَهَا ، فَأَخَذَ^(٥)
^(٦)

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتاى » .
(٢) العكم : العدل وهو الغرارة . (٣) أكبر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو
ذئب وأذؤب . وهذا الجمع سماعى فى مثل هذا الوزن . والكمر من البسر : ما لم يربط على نخله ولكنه
سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع
لم يرد فى كتب اللغة فى جمع قعود . (٥) النود : ثلاثة أبرة إلى التسعة ، وقيل إلى العشرة ، وقيل
غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالفلك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤
ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور فى تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب فى معرفة قبائل
العرب للسويدى ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

ورُفِعَ إلى عثمان بن حيان المُرِّي، وهو يومئذ على المدينة فحبسه، وطرَدَ المَرَّارُ طَرِيدَةً فَأَخَذَهَا وهو يَبِيعُهَا ؛ ادى القُرَى أو بِرْمَةٌ^(١)، فُرِفِعَ إلى عثمان بن حيان فحبسه . قال : فأجتمعا ومكنا في السجن مدة ؛ ثم أَقْلَتِ المَرَّارُ وبقي بدرُّ في السجن حتى مات م م سًا مَقِيدًا ، فقال المَرَّارُ وهو في الحبس :

أَنَارُ بَدَتْ مِنْ كُورَةِ السَّجْنِ ضَوْءُهَا * عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجَرَعِ الْعُفْرِ^(٢)
عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ أَرْضًا خَصِيبَةً ، يَطِيبُ بِهَا مَسَّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطَرِ^(٤)
فَيَاوِيلَتَا سَجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا * أَسِيرَكُمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِى^(٥)
فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَدُكُمْ لَدَارِي * بَأَنَّا لَا يَنْبَغِي لَكُمَا شُكْرِي
وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلَ الْقَيْودِ وَجَدْتُني * رَءٍ بَنَصَّ الْعَيْسِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ^(٦)
جَدِيدًا إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ * بَتَقْوِيْمَهَا حَتَّى يَرَى وَضْعَ الْفَجْرِ^(٧)

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي :

كان بين المَرَّارِ بن سعيد وبين رجل من قومه لِحَاءً، فتقاذفا وتسابَّأ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك :

خاصم رجلا من
قومه وسابه، وقال
في ذلك شعرا

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادي القرى . (٢) كذا في الأصول
بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث . (٣) كذا في حـ بالراء المهملة . والجرع بالتحريك :
جمع جرعة بالتحريك أيضا وهي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا وعوة فيها . وفي سائر الأصول : الجزع بالزاي
المعجمة وهو تصحيف . (٤) الجنائب : جمع جنوب وهي الريح التي تقابل الشمال . ومنه إذا جاءت
الجنوب جاء معها خير وتلقح . (٥) هكذا في جميع الأصول : وياويلتا بمعنى يا فضيحتا .
وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى في قوله « أطلقا أسيركما » . ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة
عن مثل قوله « فياحارمى سجن اليمامة » أو نحو ذلك . (٦) يفري : يشق ؛ والبرق يشق الطلام .
(٧) فص العيس : استحاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير . (٨) أرض مضلة (بفتح
الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق .

١٥

٣٠

صوت

ألم تَرْبَعْ فَتُخَيِّرَكَ الْمَغَانِي * فكيف وهنَّ سُذْجَجَ مَمَّا
بَرَّتْ مِنْ الْمَنَازِلِ بِرَشَوَقٍ * إلى الدار التي يلوى أَبَانُ^(١)
لِإِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَرْحَلَةِ الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكْتَى .
وكان بدر بن سعيد أخو أبا أر شاعراً وهو الذي يقول :

كان أخوه بدر
شاعراً، وثى، من
شعره

صوت

يَا حَبْذَا حِينَ تُنْمِي الرِّيحُ بَارِدَةً * وادى أَشْيَى وَفِيَانٌ بِهِ هَضْمٌ^(٢)
مُحْدَمُونَ كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ * وفي الرَّحَانِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَيْدَمٌ^(٣)
وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَـ كُرْهُمُ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ^(٤)
الغناء لابن محرز ثاني ثقليل بالخنصر والبصر عن ابن المكي . وفيه لم يتم خفيف رمل .
وذكر حبش ، أن الثقليل للهذلي . وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخر نقيس أول
عن الهشامى .

(١) أبان : يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود . فالأبيض شرق الحاجر
فيه نخل وماء وهو لبنى فزارة وغبس . والأسود : جبل لبني فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض
ميلان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في لسان العرب (في مادة هضم) ومعجم البلدان
ص ٨٠٨ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ويقال زياد بن مقذ . ومثله في لسان
العرب (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه : « زياد بن حمد » بالبدال محرفاً . (٣) أشي : موضع
بالوشم . والوشم : واد بالجمامة ؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات . (٤) هضم : جمع هضموم .
وفتيان هضم : يهضمون المسال أي يكسرونه وينفقونه . (٥) ارتفع « هم » الأخير يزيد .
وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل ؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم جاً إلى ؛ ومثله لطرفة :
أصرمت حبل الحى إذ صرموا * يا صاح بل صرم الوصال هم
(عن شرح ديوان الحماسة للبريزي) .



صوت

صوت ابن صاحب
الوضوء في شعر
الناطقة

خَطَّاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ * تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذَبًا * وَلَا حَلْفِي عِنْدَ الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُتَتَايَ عَنْكَ وَاسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتك متى شئت قدرت على كآنى
في خطاطيف تجذبني إليك ولا أقدر على الهرب منك . ويروى " وإن خلت أن
المتتوى " أى الموضع الذي تتوى قصده . والمتتاي : المفتعل من التاى .
والحجن : المعوجة . والنوازع : الجواذب . والضمغن : الحقد .

الشعر للناطقة الذبياني . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو
ماخوري بالبصرة .



اتتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادى عشر

وأوله أخيار النابغة ونسبه